

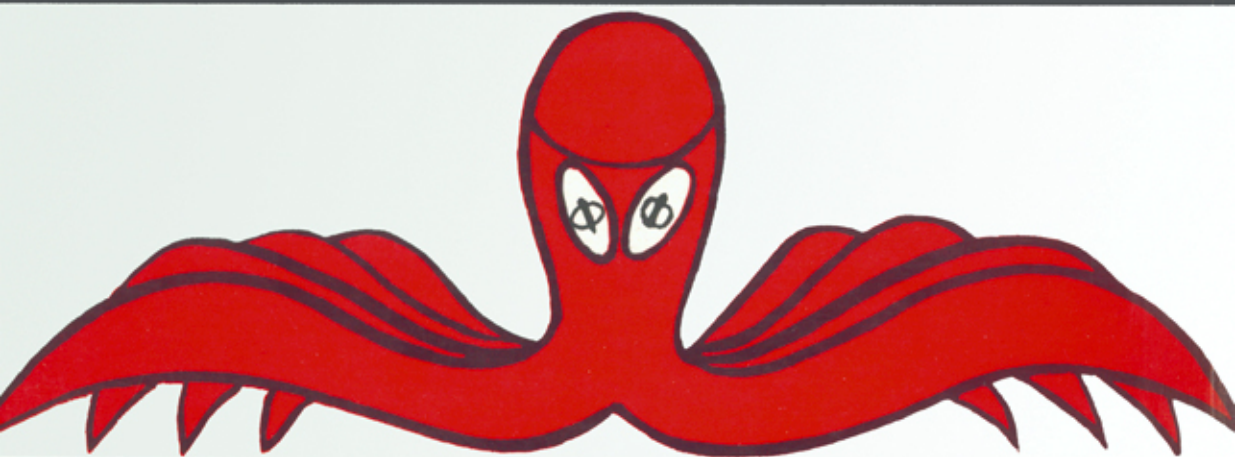
الأخطبوط الأحمر

قصة الصراع الكبير بين
أجهزة المخابرات العالمية

تأليف / توم باور

ترجمة / طلعت غنيم حسن

مجدى عبد الكريم



دار النشر

الأخطبوط الأحمر

قصة الصراع الكبير بين
أجهزة المخابرات العالمية

تأليف / توم باور

ترجمة / طلعت غنيم حسن

مجدى عبد الكريم

The RED WEB

M16 and the KGB Master Coup



TOM BOWER

Bestselling author of *Maxwell The Outsider*

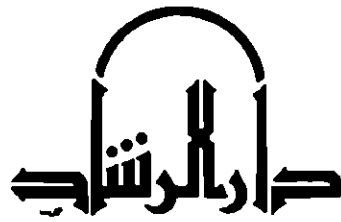
الأخطبوط الأحمر

قصة الصراع الكبير بين
أجهزة المخابرات العالمية

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م



طبع. نشر. توزيع
دار الإقتاد - بيروت - لبنان

كتاب

« الأخطبوط الأحمر »

ترجمة أمينة

لكتاب: " The Red Web "

الصادر عام ١٩٩٣

في لندن

المملكة المتحدة

لمؤلفه : توم باور

تقديم

مثيرة جداً ومحيرة في آن واحد الحياة الخفية للشعوب ، تلك الحياة التي تمتزج فيها الحقيقة بالخيال ، والوهم بالواقع ، وتعتمد على الحدس العقل ، والتكهن بما سوف ينفع من خلال مجموعة الحقائق والمقدمات التي يبني عليها الخبير السرى في أجهزة الدولة الخاصة للمخابرات نتائجه وتوقعاته بما سوف يكون عليه الحال في المستقبل .

* فقد يتوقع من خلال تلك الحقائق والأدلة نشوب حرب مستقبلية تغير الشكل السياسي لمنطقة معينة .

* وقد يتوقع أيضاً تغييراً اقتصادياً وفكرياً ، فلسفياً وعقائدياً مترتباً على التغيير السياسي والعسكري في دولة ما .

وأكبر دليل على ذلك من هذا الذي ذكرناه آنفاً هو ما توقعه « سيرجى نيلوس » الكاتب الروسى في ذلك الكتاب الوثائقى الذى أوقع في يده عن طريق الصدفة تلك الوثائق السرية للمؤامرات اليهودية من أجل السيطرة على العالم .

فأخرج لنا كتاب « برتوكولات حكماء صهيون » ؛ فتنبأ من خلاله بسقوط روسيا القيصرية ، وإحلال البلشفية مكانها . وتنبأ أيضاً بنشوب حرب عالمية في هذا الكتاب .

وتنبأ أيضاً ببناء وطن قومى لليهود . للعلم كانت أول طبعة لهذا الكتاب سنة

١٩٠٦ .

والشئ العجيب والمحير أيضاً أن الذى توقعه حدث بالفعل ، بل وأكثر منه .

والكتاب الذى بين أيدينا من هذا النوع ، فهو يحكى قصة الصراع المخبراتي والجاسوسى للدول العظمى بينها وبين بعضها ؛ فيوضح لنا مرارة الحياة التى يحيها هؤلاء الرجال الذين يحترفون هذا النوع من العمل الشاق المضى ، وما يترتب عليه من نتائج فى الغالب تكون هلاك العميل أو تعرضه لأشد أنواع العذاب من قبل رجال مخابرات الدولة المعادية التى يعمل ضدها إذا انكشف أمره .

ولكن ثمة وقفه تسترعى النظر للقارئ المدقق حين يطلع على مثل هذا النوع من

الكتب - ماهى الفائدة التى تعود عليه ؟ أو بالأحرى ما الفائدة التى تعود على الدولة من كتاب مثل هذا ؟

* أولاً معرفة أحدث النظم المخبرانية لتلك الدول العظمى والإفادة منها ، وليس فى هذا عيب ، فنحن نعرف أنهم يملكون الحضارة المادية ويسيطرون عليها ، ويصدرون إلينا كل غثٍ ثافه ؛ فينتشر بيننا انتشاراً يكاد يغلف حياتنا ، فالأحرى أن نتمسك بالشىء الذى يجعلنا نملك الحضار ونهيمن عليها .

* ثانياً جعل هذا العمل مادة علمية تدرس لطلبة المدارس من المرحلة الثانوية كما يحدث فى كثير من الدول المتقدمة ، فهى من قبيل التاريخ السياسى أو العلوم السياسية التى تركز فى ذهن الطالب المعرفة الحقيقية للعالم الذى يحياه ويعيش فيه ، فهو عالم المعلومات .

ونحن بدورنا كدار نشر نحاول أن ننشر فى وطننا العربى أحدث ما ألف فى هذه الدول فننشره مترجماً إلى العربية حتى يفيد منه القارئ العربى العادى ، ناهيك عن المتخصص .

وعلى الله قصد السبيل

« دار رشاد »

مقدمة

لا يزال جهاز المخابرات السرية البريطانية المعروف باسم « إم آى ٦ » يتمتع بسمعة واسعة بين سائر أجهزة ووكالات الاستخبارات العالمية .

ولا يزال ضباط المخابرات البريطانية يتمتعون بالصيت الذائع حول العالم بأنهم محترفون ومحنكون وأهل للثقة والاعتماد والمسئولية ، وذلك على الرغم من قائمة الفشل والإخفاق التى تعرض لها جهاز المخابرات السرية البريطانية ، تلك القائمة التى نالت الشهرة والذبول .

ولم تؤثر الثورات السياسية أو الاضطرابات العسكرية فى ذلك الجهاز الاستخبارى الذى استفاد من ميزة الاستمرارية التاريخية دون انقطاع ، مما أدى إلى اكتسابه فوائد التقاليد المستقرة وأضفى عليه طابعاً أسطورياً ، ولاغرابة أو دهشة فى ذلك ، فهو بمثابة الصورة الحسنة التى عززت مصداقيتها الحكومة البريطانية ، كما زادها شهرة الأعمال الفنية السينمائية والتلفزيونية والقصص الروائية والدرامية التى عرضت للأعمال الخفية للاستخبارات البريطانية وذلك فى هوليوود العالمية ، ناهيك عن أقوال الصحافة وتقاريرها التى تناولت الـ « إم آى ٦ » .

ولقد فتن الجواسيس وأعمال الجاسوسية والعمليات السرية رجال الصحافة منذ زمن غير معلوم ، ليس بسبب أن تقاريرهم الصحفية عن الاستخبارات تكشف فحسب الأسرار الحصينة على نحو يؤثر فى جماهير القراء ، بل أيضاً لأنها موضع اهتمامات الجماهير العريضة من القراء ، ولقد زاد الاهتمام فى أعقاب عام ١٩٤٥ لأن المؤرخين وغيرهم صار بوسعهم ولأول مرة أن يكشفوا نتائج أعمال المصادر النشيطة ورجال المخابرات السرية البريطانية وأعمالهم البطولية وتضحياتهم من أجل الـ « إم آى ٦ » إبان الحرب العالمية الثانية .

ثمة سبب آخر لذلك الاهتمام المتعاظم ألا وهو أن سائر الحكومات حول العالم ، اعتمدت اعتماداً كبيراً أثناء الحرب الباردة على أجهزة المخابرات التابعة لدولها إلا أن الفهم الصحيح لذلك كله وتلك الأنشطة سار محدوداً وضيقاً جداً ؛ لأن الحرب السرية

بين الشرق والغرب استمرت بدون انقطاع ، وعلى مدار أربعين عاما لم يلقَ الباحثون المجتهدون الذين غاصوا بدراساتهم في عالم الجاسوسية ، لم يلقوا سوى حوائط صماء بكساء قوامها الصمت ، مما جعلهم يكررون ببلاهة المعلومات المشوهة المدسوسة عمداً للتضليل ، أو استطاعوا في أحسن الأحوال أن يضمنوا أبحاثهم نتفا من الحقيقة وفي الوقت الذي أصبحت فيه حجب السرية مبررة بأن مطالب الحكومات تقتضى من الاستخبارات أن تصنع سياساتها وفق تكتُّم شديد وحرص بالغ ، كما أن هناك حالات تقتضى فيها حاجات الحكومات أن تضرب ستارا كثيفا من السرية على أنشطة الاستخبارات ليس من أجل حماية حرمة الجهاز الاستخباري فحسب بل أيضا من أجل حماية المنظمة المخبراتية من الإرباك أو الاختراق ، وتقع تلك الظروف التي عالجها كتاب « الأخطبوط الأحمر » في هذه الفئة .

ويرجع سبب الشروع في تدبيح هذا الكتاب إلى الظهور المفاجيء للمستر « كيم فيلبى » على شاشات التليفزيون في جمهورية لاتفيا السوفيتية في خريف عام ١٩٨٧ ، وفي ذلك اللقاء الذى عرضه التليفزيون البريطانى ، ادعى الجاسوس السوفيتى أن القلائل القومية التى كانت تكتسح آنذاك دول البحر البلطيقى سببها هو السخط العام أو سياسات المكاشفة والمصارحة الـ « جلاسنوست » التى اتبعتها الكريملن في ذلك الوقت ، ولكنها كانت موضع اهتمام متعمد من جانب جهاز المخابرات السرية البريطانية والحكومة الإنجليزية ، وقال « كيم فيلبى » : إن سياسة المكاشفة ماهى إلا تكرار وإعادة لسياسات واستراتيجيات جهاز المخابرات البريطانية السرية التى انتهجها البريطانيون في دول البحر البلطيقى إبان ذروة الحرب الباردة .

وفي فبراير ١٩٨٨ ، ذكرنى « بارى بينروز » بادعاءات « فيلبى » التى بدت غير قابلة للشرح أو التفسير في ذلك الحين ، أما الكتب المنشورة فقد أشارت فقط إلى فقدان جهاز المخابرات السرية البريطانية لعملائه الذين زج بهم إلى داخل الاتحاد السوفيتى في أعقاب عام ١٩٤٥ ، في حين أن « أنتونى كافيينديش » وهو أحد ضباط المخابرات البريطانية السابقين ذكر دوره المحدود في العمليات المنفذة في البحر البلطيقى بأسلوب يثير الخلاف وبطريقة المذكرات الشخصية ، أما سبب التجاهل فهو بسيط ، حيث أراد كل من الضباط الاستخباريين في كل من لندن وواشنطن أن يطبقوا نوعا من الكتمان والسرية على كارثة محدقة .

ولقد استحثني كل من « بينروز » و « جورج كاري » و « فيل ويات » و « فيلب نايتلي » و « روبيرت الاسون » عضو البرلمان ، و « توماس باورز » .. على السفر مرارا وتكرارا على مدار الأشهر الاثنى عشر التالية عبر أوروبا ، والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ؛ لاستكشاف الحقائق التي قال بها المستر « فيلبي » .

ولقد بدأت البحث وسط جملة مصادفات غير متوقعة كلها عبارة عن تناقضات وتضاربات في المواقف ، وفي حين كنت في لندن ، أدخلت الحكومة البريطانية إجراءات تقيد تقييدا شديدا أية نوع من أنواع الحديث حول أنشطة أجهزة المخابرات السرية البريطانية .

ولقد تحدثت أثناء الأشهر التسعة التي قدمت أثناءها طلب زيارة الاتحاد السوفيتي وكان المسئولون في موسكو ينظرون في شأن الزيارة ، تحدثت مع حوالي مائتي ضابط من ضباط المخابرات السابقين ، والعملاء السابقين ، والزعماء المهاجرين والخبراء العاملين في أوروبا وشمال أفريقيا .

أما مسألة تجزئة المعلومات ، وهي أمر ضروري ومتطلب من أجل الأمن ، فقد كانت تعنى أن هؤلاء الأفراد الذين خدموا داخل جهاز المخابرات السرية البريطانية أو وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية أو أجهزة مخابرات ألمانيا الغربية والسويد والدنمارك وفنلندا فقد كانوا مدركين فقط مثل تلك القصة التي أثرت على عملهم الخاص وفي نفس الوقت الذي كان الجميع فيه يعرفون أن عمليات جهاز المخابرات السرية البريطانية ووكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية قد انتهت نهاية مفاجئة وماسفته ، فلم يدرك أحد في الغرب أو يفهم الصورة الكلية للحقائق .

لهذا السبب ، حينما سمحت لي الحكومة السوفيتية في نوفمبر ١٩٨٨ بالاطلاع على المعلومات والوصول إلى العملاء والجواسيس الماسوريين والذين لا يزالون أحياء من عملاء جهاز المخابرات السرية البريطانية ووكالة الاستخبارات المركزية ، فضلا عن كبار المسئولين العاملين في المديرية الثانية الكبرى التابعة لجهاز أمن الدولة السوفيتية أو الـ « كى جى بى » ، داخل الجمهوريات السوفيتية المطلة على البحر البلطيقى ومنها « لاتفيا ولتوانيا » فقد عرفت على وجه الدقة أسماء أولئك الذين أردت أن أعقد معهم لقاءات ومقابلات ، كما عرفت أيضا بعض التفاصيل المتعلقة بأنشطتهم .

ولقد عاونني « بول هامان » و « كولين كاميرون » المسئولين في تليفزيون هيئة

الإذاعة البريطانية على زيارة دول البحر البلطيقى ثلاث مرات ، مما هيا لى الفحص المرة تلو المرة ثم إعادة الفحص تكرارا فى روايات وجدال كل من الطرفين ، وهو العمل الذى تكشف عن وجود عملية خداع كبرى وغير عادية دبرتها أجهزة المخابرات السوفيتية المعروفة باسم الـ « كى جى بى » .

وعلى جانبى الستار الحديدى ، كانت ثمة تساؤلات لاتزال غير مجابة مما تسبب فى الإحباط ، ففى بعض الأحيان كان العذر فى عدم الإجابة هو « الأمن » ودواعى الأمن ، وفى مناسبات أخرى ، وجدت أن الشخص الوحيد الذى بإمكانه وحده فقط أن يسدى لنا المعلومات الدقيقة والمطلوبة ، قد انتقل إلى الرفيق الأعلى .

وفى أحيان أخرى كنت أتعرض للارتباك والتخبط الناتج عن تضارب المعلومات وتناقضها الشديد ، مما جعلنى أشعر بأن المسائل كلها مدبرة على نحو وثيق من أجل التضليل والخداع وتضييع أية فرصة ممكنة من أجل معرفة الحقيقة ، وهى ظاهرة معروفة فى عالم المخابرات الخفى باسم « المرايا المتوحشة أو المجنونة » ، ولايسعنى إلا أن أؤكد أنه يتمخض على ذلك أن بعض التكهنات والاستنتاجات المنتقاه من هذا التضارب الوحشى ، ثبت أنها دقيقة جداً وصائبة وأنها قد لمست عين الواقع الحقيقى .

وأتوجه بجزيل شكرى إلى شخصين لولاهما لما خرج هذا الكتاب إلى حيز الوجود وهما المستر « مايكل شو » الذى كان لحماسه وتشجيعه كبير الأثر فى إتمام هذا الكتاب ، كما أشكر زوجتى « فيرونكا » التى تحملت الوحدة التى يفرضها الكاتب على زوجته وفقاً لما يقتضيه العمل ...

لندن

المؤلف

« المصطلحات المختصرة »
لأجهزة المخابرات والتنظيمات المختلفة
التي ورد ذكرها في الكتاب

- ١- سى - اى - ايه وكالة المخابرات المركزية الامريكية
- ٢- سى - اى - سي فيالق مكافحة المخابرات المعادية .
- ٣- دى - بى الأشخاص المرحلون عن اوطانهم لأسباب عرقية أو طائفية أو دينية .
- ٤- إف - بى - اى مكتب التحقيقات الفيدرالى .
- ٥- جى - سى - اس رئاسة هيئة الأركان المشتركة .
- ٦- كى - جى - بى لجنة أمن الدولة فى الاتحاد السوفيتى .
- ٧- ال - سى - سى مجلس لاتفيا المركزى .
- ٨- ان - كيه - فى - دى البوليس السرى السوفيتى .
- ٩- ان - سى - اس مجلس الأمن القومى .
- ١٠- ان - تى - اس التحالف القومى للعمال « الاتحاد السوفيتى » .
- ١١- او - جى - بى - يو الأمن الروسى الداخلى .
- ١٢- او - ام - جى - يو - اس مكتب الإدارة العسكرية « الولايات المتحدة » .
- ١٣- او - بى - سى مكتب تنسيق البوليس .
- ١٤- او - اس - او مكتب العمليات الخاصة .
- ١٥- او - اس - اس مكتب الخدمات الاستراتيجية .
- ١٦- او - يو - ان منظمة القوميين الأوكرانيين .
- ١٧- او - يو - ان - ار منظمة القوميين الثوريين الأوكرانيين .
- ١٨- بى - سى - او مكتب الرقابة على جوازات السفر .

- ١٩- بي - اتش - بي - سي لجنة تخطيط مواقع المعادين .
- ٢٠- اس - اى - اس هيئة المخابرات السرية « تغير اسمها من وقت لاحق إلى إم
- ١٦ «
- ٢١- اس - ام - تى هيئة المخابرات الحربية السويدية .
- ٢٢- اس - او - اى هيئة العمليات الخاصة .
- ٢٣- اس - اس - يو وحدة الخدمات الاستراتيجية .
- ٢٤- فى - ال - اى - كيه اللجنة العليا لتحرير لتوانيا .
- ٢٥- دبليو - اى - ان الحركة البولندية من أجل الاستقلال والحرية .

" THE RED WEB "

الأخطبوط الأحمر

BY : TOM BOWER

بقلم : توم باور

DRAMATIS PERSONAE

الشخصيات الرئيسية والأماكن الهامة

التي ذكرت في الكتاب

CHAPTER ONE

الفصل الأول

- | | |
|------------------------|------------------|
| 1 - HARRY Carr | هاري كار |
| 2 - PROKOFIEV | بروكوفيف |
| 3 - PYOTR LESCHENKO | بيوتريشينكو |
| 4 - ROMANOV | رومانوف |
| 5 - LLOYD GEORGE | لويد جورج |
| 6 - CZAR NICHOLAS | قيصر نيقولاس |
| 7 - ALEKSANDR KERENSKY | الكسندر كيرينسكي |
| 8 - SOMERSET MAUGHAM | سوميرست موم |
| 9 - LENIN | لينين |
| 10 - BOISHEVIKS | البلاشفة |
| 11 - C . MAYNARD | س . هانيارد |
| 12 - WINSTON CHURCHIL | ونستون تشرشل |
| 13 - TROTSKY | تروتسكي |
| 14 - DISRAELI | ديزرائيلي |
| 15 - FREDERICK POOLE | فريدريك بول |
| 16 - FRANCIS CROMIE | فرانسيس كرومي |
| 17 - MANSFIELD CUMMING | مانسفيلد كامينج |
| 18 - SIDNEY REILLY | سيدني ريللي |
| 19 - GEORGE HILL | جورج هيل |

20 - PAUL DUKES	بول ديوكس
21 - ROBERT BRUCE LOCKHART	روبرت بروس لوكهارت
22 - SIGMUND ROSENBAUM	سيجموند رودينبوم
23 - CHEKA	تشيكيا
24 - OKHRANA	اخرانا
25 - FELIKS DZERZHINSKY	فيليكس دزرزنيسكي
26 - EKATERINBURG	ايكاتيرزجبورج
27 - DORA KAPLAN	دورا كابلان
28 - MAXIM LITVINOV	ماكسيم ليتففينوف
29 - GEOGE KENNAN	جورج كنيان
30 - VLADIVOSTOK	فيلاديفستك
31 - MURMANSK	ميرمانسك
32 - LORD READING	لورد ريدنج
33 - WILSON	ويلسون
34 - ARCHANGEL	ارشانجيل
35 - KAISER	كيسر
36 - BLINKER	بلينكر
37 - LORD ROBERT CECIL	لورد روبرت سيسيل
38 - AMON DENIKEN	امون دينيكين
39 - EDMUND IRONSIDE	ايدموند ايرونسايد
40 - COLIN GUBBINS	كولين لوبينز
41 - UKRAINE	اكرانيا
42 - COSSACKS	القوازقة
43 - AZERBAIJANIS	الاذربيجانيون
44 - LITHUANIA	ليتوانيا
45 - LATVIA	لاتفيا
46 - ESTONIA	استونيا
47 - BREST - LITOVSK	بريست - ليتوفسك
48 - H . G . HOLMAN	هـ. جـ. هولمان

49 - DENIKEN	دېنيكين
50 - SIR WALTER COWAN	سيروولتر كوان
51 - ARTHUR BALFOUR	آرثر بلفور
52 - KRONSTADT	كرونستاد
53 - TALLINN	تالينين
54 - SIR HURBERT GOUGH	سير هربرت جوف
55 - NIKOLAI YUDENITCH	نيكولاڀي يدينييتش
56 - PAUL DUKES	بول ديوكس
57 - HELSINKI	هيلسنكي
58 - AUGUSTUS AGAR	اوجستوس آجار
59 - KING GEORGE V	الملك جورج الخامس
60 - GALLIPOLI	غاليبولي
61 - GEORGE WISKEMAN	جورج ويسكمان
62 - RILEY LE MAY	ريللي لوماي
63 - ERNEST BOYCE	ايرنست بويس
64 - VERNON KELL	فيرنون كيل
65 - LENINGRAD	ليننجراد
66 - ODESSA	اوديسا
67 - BORIS SAVINKOV	بوريس سافينكوف
68 - MARSHAL CARL VON MANNERHEIM	المارشال فون مانيرهايم
69 - RAINIS BOULEVARD	رينيس بوليفارد
70 - RIGA	ريجا
71 - LESLIE NICHOLSON	ليسي نيكولسون
72 - COLONEL ROBERT F . MEIKLEJOHN	الكولونيل روبرت ف . ميكليجون
73 - VARVICKSHIRE	فارفيكشاير
74 - GREGORY	جريجوري
75 - MAXIM LITVINOV	ماكسيم ليتفينوف
76 - SINN FEIN	سين فين
77 - ALEKSANDR YAKUSHEV	الكسندر ياكوسيف

78 - LUBYANKA	لوبيانكا
79 - V . TRIANDAFILOV	ف . ترياندا فيلوف
80 - BARON PIOTR WRANGEL	بارون بيوتر رانجيل
81 - GRIGORI ZINOVIEV	جريجوري زينوفيف
82 - DAILY MAIL	ديلي ميل « صحيفة »
83 - SAVINKOV	سافينكوف
84 - NIKOLAI BUNAKOV	نيكولاي بوناكوف
85 - RIVER SESTRY	نهر سيستري
86 - IZVESTIA	ازفستيا « صحيفة »
87 - HUGH QUEX SINCLAIR	حوف كويكس سينكلير
88 - WILFRED BIFFY DUNDERDALE	ويلفرد بيفي دندرديل
89 - KUTYEPOV	كوتيبوف
90 - ZINOVIEV	زينوفيف
91 - STALIN	ستالين
92 - SCOTLAND YARD	سكوتلانديارد
93 - PAVEL VOIKOV	با فيل فويكوف
94 - GENERAL YEVGENY MILLER	الجنرال ييفجينى ميلر
95 - JOHN LAWRENCE	جون لورانس
96 - KENETH BENTON	كينيث بينتون
97 - GESTAPO	الجيستابو (البوليس الالمانى)
98 - REX BOSLEY	ريكس بوسلي
99 - STEFAN BANDERA	ستيغان بانديرا
100 - KHRUSHEHEV	خروشوف
101 - EILEEN DAGGETT	ايلين دا جيت
102 - MOLOTOV - KIBBENTROP PACT	مولوتوف - كيبينتروب
103 - HITLER	هتلر
104 - MUNICH	ميونخ
105 - CHAMBERLAIN	شمبرلين
106 - DUKE OF WINDSOR	دوق وندسور

107 - GOERING	جويرنج
108 - JOACHIM VON RIBBENTROP	بواكيم فون ريبييتروب
109 - BYELOUSSIA	روسيا البيضاء
110 - LIEUTENANT COLONEL VALE	الليفتنانت كولونيل فيل
111 - MARSHAL MANNERHEIM	المارشال ساينرهايم
112 - SIR ORME SARGENT	السير اورمي سارجينت
113 - SIR PAUL DUKES	السير بول ديوكس
114 - REINO HALLAMAA	رينو هالااما
115 - BALDWIN	بولدوين
116 - COLONEL SEAMUS MCGILL	الكولونيل سيموس ماكجيل

الفصل الثاني CHAPTER TWO

- 1 - JOHN PINCHER MARTIN جون بينشير مارتين
- 2 - BIRGER JARLSGATAN بيرجر يارلسجاتن
- 3 - VICTOR MALLET فيكتور ماليت
- 4 - CHURCHILL تشرشل
- 5 - PETER FALK بيتر فولك
- 6 - OSSIAN GOULDING أوسيان جولدنج
- 7 - DAILY TELEGRAPH ديلي تليغراف « صحيفة »
- 8 - GOUTEBOING جوتيبورج
- 9 - GOULDING جولدنج
- 10 - COLONEL VILLEM SAAREN الكولونيل فيليم سارسين
- 11 - RICHARD MASSING ريتشارد ماسينج
- 12 - KARL - HEINZ KRAEMER كارل هاينز كريمير
- 13 - VICTOR CAVENDISH BENTINCK فيكتور كافينديش بينتريك
- 14 - SIR ORME SARGENT السير اورمس سارجينت
- 15 - ROOSEVELT روز فيلت
- 16 - PLACENTIA BAY خليج بلاسينتيا
- 17 - NEWFOUNDLAND نيوفونديلان « دولة »
- 18 - WEHRMACHT فيرماخت
- 19 - KAUNAS كوناس
- 20 - CORDEL HULL كورديل هول
- 21 - MOLOTOV مولوتوف
- 22 - SUMNER WELLES سومنر ويليس
- 23 - STALINGRAD ستالينجرا
- 24 - ANGLO - SAXONS الأنجلو ساكسون
- 25 - STEWART MENZIES ستيفورت منيزيس
- 26 - YALTA يالطا

27 - SIR ALAN BROOKE	السير آلان برووك
28 - SIR CHARLES PORTEL	السير تشارلز بورتال
29 - SIR ANDREW CUNNINGHAM	السير اندرو كافينجهام
30 - FELIX COWGILL	فليس كوجيل
31 - ABWEHR	أبويهر
32 - HAROLD KIM PHILBY	هاروادكيم فيلبي
33 - SAVENSKA MILETER TGANST	سافينسكا ميليتير جانست
34 - ALLMANR SACKERAETST	ألنر ساكراتست
35 - AKE EEK	أكي إيك
36 - ALEXANDER SANY MACKIBBIN	الكسندر ساندن ماكيبين
37 - VILNIUS	فيلنيوس
38 - ALEXANDER WARMA	الكسندر فارما
39 - WALTER ZILINSKAS	وولتر زيلينسكاس
40 - VYTAUTAS GYLYS	فيتوتاس جيليس
41 - COLONEL KAZYS SKIRPA	الكولونيل كازيس سكيربا
42 - GENERAL POVILAS PLECHAVICIUS	الجنرال بوڤيلاس بليشڤيوس
43 - VLIK	فليك
44 - HERSHEL JOHNON	هيرشيل جونسون
45 - IVER OLSEN	ايڤر اولسين
46 - RAOUL WALLENBERG	راؤول والينبيرج
47 - WILLIAM DONOVAN	ويليام دونوفان
48 - EDGAR HOOVER	إدجار هوڤر
49 - GYLYS	جيليس
50 - ALGIRDAS VOKETITIS	الڤيرداس فوكيتيتس
51 - STUTTHOF	ستاتوف
52 - DR . VALDEMARS GINTERS	دكتور فالديمارس جينترس
53 - VERNERS TEPFERS	فيرنوس تيفيرس
54 - BRUNO KALNINS	برونو كالنيس
55 - HIMMLER	هيلمير

56 - VALDEMARS SALNAIS	ڦالڊيمارس سالنيس
57 - PETER KLIBITIS	بيٽر ڪليبٽيس
58 - GENERAL JANIS KURELIS	الجنرال جانييس ڪوريليس
59 - ERWIN HASELMANN or LILIA	ابوقئين هاسيلمان او « ليليا »
60 - SICHERHEITSDIENST	سيڪيور هائٽسدئينس
61 - JANIS BERZINS	جانييس بيرزينس
62 - GENERAL GRECIEN	الجنرال جريسين
63 - ARTHURS ARNITIS	آرٿر ارنيتس
64 - RIHARDS ZANDE	ريٽشارس زانڊي
65 - VENTSPILS	فينٽسپيلز
66 - KRAPA	ڪراپا
67 - ROBERTS SEBRIS	روبرٽس سيبريس
68 - JAGD KOMMANDO	جاءڊ ڪو مانڊو
69 - MAJOR VICTOR ARAJS	الميجور ڦيڪٽور اراجس
70 - MIKHAIL SUSLOV	ميخائيل سوسلوڦ
71 - GENERAL SERGEI KRUGLOV	الجنرال سيرجي ڪروجلوڦ
72 - PANAVESCIS	پانافيسيس
73 - ALLEN DULLES	آلان ڊالاس
74 - KRUGLOV	ڪروجلوڦ

الفصل الثالث CHAPTER THREE

- 1 - DE VERE GARDENS دهی فیروی « حدائق »
- 2 - KENSINGTON کینسجتون
- 3 - KENNETH COHEN کینیت کوھین
- 4 - JAMES JACK EASTON جیمس جاک ایستون
- 5 - CHICHESTER شیشیستر
- 6 - WILFRED BIFFY DUNDERDALE ویلفرد بیفی دندرديل
- 7 - HAROLD GIBSON ھارود جیسون
- 8 - PRAGUE براغ
- 9 - BUCHAREST بوخارست
- 10 - BAD SALZUFLEN باد سالزوفلین
- 11 - ERNEST BEVIN یرنست بیفین
- 12 - PICCADILLY پیکادیللی
- 13 - BASIL SMEDLEY باسیل سمیدلی
- 14 - CHARELES ZARINS شالز زاریننز
- 15 - T . C . SHARMAN ت. س. شارما
- 16 - POTSDAM بوتسدام
- 17 - ATLANTIC CHARTER میثاق الاطلنطی
- 18 - HARY TRUMAN ھاری ترومان
- 19 - GENERAL WLADYSLAW ANDERS الجنرال فلادیسلاو اندرز
- 20 - WALTER ZILINSKAS ولتر زیلینسکاس
- 21 - ODENGARTEN او دینجارتس
- 22 - GEORGE BERGER جورج بیرجر
- 23 - MACLACHAN SILVEWOOD - COPE ماکلانشان سیلفیروود - کوپی
- 24 - ALGIRDAS VOKETITIS الیجیرداس فو کیتیتیس
- 25 - ANTHONY VAIVADA انتونی فبفادا

26 - GENERAL PATTON	الجنرال باتون
27 - PHILADELPHIA	فيلاديلفيا
28 - BATARIA	باتاريا
29 - RIVER ELBE	نهر إيلبي
30 - PILSEN	بيلسين
31 - WURZBURG	ورزبيرج
32 - MONSIGHOR MYKOLAS KRUPAVICIUS	المونسنيور ميكولاس كروباڤيسيوس
33 - ROBERT MURPHY	روبرت ميرفي
34 - GENERAL LUCIUS CLAY	الجنرال لوسيوس كلاي
35 - EISENHOWER	إيزنهاور
36 - STASYS LOZORITIS	ستاسيس لوزوريتيس
37 - GENERAL RAYMOND SCHMITTEIN	الجنرال ريموند شميتلين
38 - FRENCH DEUIEME BUREAU	المكتب الثاني الفرنسي « الاستخبارات الفرنسية »
39 - TUBINGEN	طوبنجين
40 - ZAKEVICIUS	زاكيفيسيوس
41 - MAJOR JOHN LIUDZIUS	الميجور جون ليو دزيوس
42 - JONAS DEKSNYS	جوناس ديكسنيس
43 - KLEMENSAS BRUNIUS	كليمنساس بروينوس
44 - HUGO GINTERS	هوجو جينترس
45 - JANIS SMITS	جانيس سميتس
46 - LAIMONIS PETERSONS	ليمونيس بيترسون
47 - EDUARDS ANDERSONS	إدواردس أندرسون
48 - ALBERTS BUNDULIS	البيرتس بونديوليس
49 - VICTOR KOZINS	فيكتور كوزنيس
50 - ALPHONS NOVICS	الفونس نوفيكس
51 - GENERAL JANIS VEVERS	الجنرال جانيس فيفيرس
52 - GENERAL SERGEI KRUGLOV	الجنرال سيرجي كروجلوف
53 - CALAIS	كالاييس
54 - BERGMANIS	بيرجمانيس

55 - JAMES BYRNES	ڄيمس بيرنيس
56 - WILLIAMSBURG	ويليا هزبورج
57 - FRANK ROBERTS	فرانڪ روبيرتس
58 - ANDREI VYSHINSKY	اندريه فيشينسڪي
59 - SIR STAFFORD CRIPPS	السير سٽافورڊ ڪريپس
60 - THOMAS BRIMELow	ٿوماس بريمالو
61 - CHRISTOPHER WARNER	ڪريستوفر وارنر
62 - MANCHURIA	مانشوريا
63 - OKINAWA	اوڪنياوا
64 - ALGER HISS	الجيرو هيس
65 - DR . ALAN NUNN MAY	ڊڪٽور آلان نون ماي
66 - HANS HELMUT KLOSE	هانز هيلموت ڪلوس
67 - MONTGOMERY	مونٽگو مري
68 - CAUCASIANS	القوقاز
69 - BILL COFFIN	بيل ڪوفين
70 - GENERAL ANDREI VLASOV	الجنرال اندريه فلاسوف
71 - NIKOLAI KRASNOV	نيڪولائي ڪرسنوف
72 - CHARLES KEIGHTLEY	تشارلز ڪيٽلي
73 - ROBERT ARBUTHNOTT	روٿيرٽ آربوٽنوٽ
74 - SIR HAROLD MALEXANDER	السير هارولڊ الڪسنڊر
75 - JUDENBURG	جوڊينبورج
76 - DR . ALFREDS VALDMANIS	الڊڪٽور الفريڊز ٿالڊمانيس
77 - MARSHAL GRIGORI ZHUKOV	المارشال جريجوري زوڪوف
78 - COLONEL ARVIDS KRIPENS	الڪولونيل آرڱيڊس ڪريپينز
79 - MAJOR THOMSON	الميجور ٿومسون
80 - ZYMANTAS	زيمانٽاس
81 - CAPTAIN ORE LILJENBERG	الڪاپٽن اوري ليلچينبيرج
82 - VYTAUTAS STANEVICIUS	فيٽوٽاس سٽائينڱيسوس
83 - RIHARDS ZANDE	ريهارڊز زانڊي

84 - ERIKS TOMSONS	إريكس تومسون
85 - LUKINS	لوکینر
86 - SKOBE ELMARS	سکوبس ، إلمارز
87 - FRED LAUNAGS	رید لوناگز
88 - KARLIS ARINS	کارلیس ارنیس
89 - HELSINGBORG	هیلسینجبورج
90 - HAGBARD	هاجبارد
91 - GOTLAND	جوتلاند
92 - BERTIL BONDS	بیرتیل بوندس
93 - TJELDERS	جیلدرز
94 - OTTO DANIÉLSSON	أوتو دانیلسون
95 - ARTURS PLUME	آرثر زبلومس
96 - KJELLSONS KONDITORI	جیلسونزکوندیتوری
97 - COLONEL LEONARD JOHNSON	الکولونیل لیونارد جونسون
98 - KARLIS ARINS	کارلیس ارنیس
99 - FELIKS RUMNIEKS	فیلیکس روماینکس
100 - ROBERTS OSIS	روبرتس اوسیس
101 - MELBARDIS	میلباردیس

الفصل الرابع CHAPTER FOUR

- | | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| 1 - JUOZAS LUKSHA | خوراس لوكشا |
| 2 - DR. JUOZAS ALBINAS MARKULIS | الدكتور جوزاس البيناس
ماركوليس |
| 3 - ERELIS | ايليرس |
| 4 - HAMBURGH | هامبورج |
| 5 - DONOVAN | دونوفان |
| 6 - HARRY ROSITZKE | هاري روزيتزك |
| 7 - RICHARD SORGE | ريتشارد سورج |
| 8 - LEOPOLD TREPPER | ليوبولد تريبر |
| 9 - GEORGE KENNAN | جورج كينان |
| 10 - JAMES FORRESTAL | جيمس فورريستال |
| 11 - ROSCOE HILLENKOETTER | روسكو هيلينكوثير |
| 12 - REINHARD GEHLEN | راينهارد جيهلن |
| 13 - GIBRALTAR | جبل طارق |
| 14 - PENTAGON | البنطاجون |
| 15 - GUSTAV HILGER | جوستاف هيلجير |
| 16 - EINSTAZGRUPPEN | اينشتازجروپين |
| 17 - GENERAL ANDREI VLASOV | الجنرال اندريه فلاسوف |
| 18 - CHARLIE KATEK | شارلي كاتيك |
| 19 - KAUFBEUREN | كوفبورين |
| 20 - GEORGE BELIC | جورج بيليك |
| 21 - CONSTANTINOPLE | القسطنطينية |
| 22 - RICHARD HELMS | ريتشارد هلميز |
| 23 - GORDON STEWART | جوردن ستيوارت |
| 24 - ANATOLI GRANOVSKI | اناتولي جرانوفسكي |
| 25 - MONSIGNOR KRUPAVICIUS | المونسنيور كروبافيسوس |

26 - COLONEL ANTANAS SOVA	الكولونيل انتاناس سوفي
27 - MARKULIS	ماركيوليس
28 - SVEICS	سيفيكس
29 - BIELESKANS	بيليكانس
30 - KAZIMIERAS PIPLYS	كازيميراس بيليس
31 - JUSTAS BREDIS	جوستاس بريديس
32 - JONAS DEKSNYS	جوناس ديكسنيس
33 - LIDINGO	ليدينجو
34 - STRAUMENI	ستروميني
35 - VALDIS AMOLS	فالديس امولس
36 - GUTERSLOH	جويتسرلوه
37 - ANTHONY COURTNEY	انتوني كورتني
38 - HAS HELMUT KLOSE	هانز هيلموت كلوس
39 - MINDEN	ميندين
40 - MICKLENBURG	ميكلينبورج
41 - LORD MOUNTBATTEN	لورد مونتباتين
42 - WILLIAM HAYTER	ويليام هايثير
43 - LORD TEDDER	لورد تيدر
44 - GLADWYN JEBB	جلادوين جيب
45 - LORD JELICOE	لورد جيليكوي
46 - FRNK LINDSAY	فرانك ليندساي
47 - JAK EASTON	جاك ايستون
48 - CLEMENT ATTLEE	كليمنت اتلي
49 - CHARLIE KATEK	شارلي كاتيك

الفصل الخامس

CHAPTER FIVE

- | | |
|-----------------------------|--------------------------|
| 1 - A . W . H . WILKINSON | ا . و . هـ . ويلكينسون |
| 2 - COLONEL ALFONS REBANE | الكولونيل الفونس ريبان |
| 3 - GENERAL JOHANNES SOODLA | الجنرال جوانيس سودلا |
| 4 - CAPTAIN VAINO PARTEL | الكابتن فينو بارتيل |
| 5 - RUDOLPH SILARAJA | رودولف سيلاراس |
| 6 - PEGGY COCKERTON | بيجي كوكيرتون |
| 7 - VITOLDS BERKIS | فيتولدس بيركس |
| 8 - ANDREI GALDINS | اندريه جالدينيس |
| 9 - MEONIS | ميونيس |
| 10 - GEORGE COLLIER | جورج كولير |
| 11 - JOHN CORFTON | جون كروفتون |
| 12 - FORT MONKTON | فونت مونكتون |
| 13 - MONCKTON | مونكتون |
| 14 - ANTHONY CAVENDISH | انتوني كافينديش |
| 15 - GALDINS | جالدينيس |
| 16 - MAJOR ALBERTS BUNDULIS | المايور البرتس بونديوليس |
| 17 - GAILITIS | جاليتيس |
| 18 - QUEEN MARY | الملكة ماري |
| 19 - KRUPAVICIUS | كروبافيسيوس |
| 20 - BENEDICTUS TRUMPYS | بينديكتوس ترومبيس |
| 21 - PAULUS SIRVYS | بولوس سيرفيس |
| 22 - SKRA JUNAS | سكراجوناس |
| 23 - AUGUST TORMA | اوجست تورما |
| 24 - BERKIS | بيركس |
| 25 - SENATOR McCARTHY | السناتور ماكارتي |
| 26 - DULLES | دالاس |

27 - MICHAEL BURKE
28 - PAUL HARTMAN
29 - KUKAUSKAS

میشیل بورک
پول هارتمان
کوکوسکاس

الفصل السادس CHAPTER SIX

- | | |
|--------------------------|--------------------|
| 1 - JOHN LIUDZIUS | جون ليودزيوس |
| 2 - JOHN CORFTON | جون كروفتون |
| 3 - BURGESS / MACLEAN | بيرجس ماكليان |
| 4 - FELIKS DZERZHINSKY | فيلكس دزورزينسكي |
| 5 - ANTONYS SPRINGOVITCH | انتونوي سبرنجوفيتش |
| 6 - ERGLIS | ارجليس |
| 7 - VIDZEME | فيدزيمي |
| 8 - KLOSE | كلوس |
| 9 - JANIS BERZINS | جانيس بيرزينز |
| 10 - LODIS UPANS | لوديس اوبانيس |
| 11 - PETER | بيتر |
| 12 - VITOLDS | فيتولدس |
| 13 - ALPERTS DABOLS | البيرتس دابولس |
| 14 - VYACHESLAV MOLOTOV | فيكيسلاف مولوتوف |
| 15 - LADY JANE RUSSELL | السيدة جين روسيل |
| 16 - REMESS | ريميس |
| 17 - DAMPENING UPANS | دامبيننج اوبانس |
| 18 - GABRIEL | جابرييل |
| 19 - PITANS | بيتانس |
| 20 - EDMUNDES | ادمونديس |
| 21 - ALBERT KUSK | البيرت كوسك |
| 22 - ZIGMAS KUDIRKA | زجمانس كوديركا |
| 23 - CONRAD | كونراد |
| 24 - WILLIAM COLBY | ويليام كولبي |

الفصل السابع

CHAPTER SEVEN

- | | |
|-----------------------------|------------------------|
| 1 - GENERAL ROBERT MACCLURE | الجنرال روبرت ماككلور |
| 2 - GENERAL LUCIAN TRUSCOTT | الجنرال لوسيان تروسكوت |
| 3 - PETER JESSUP | بيتر جيسوب |
| 4 - TOM JESSUP | توم بولجار |
| 5 - MICHAEL BURKE | ميشيل بروك |
| 6 - WALPOLE DAVIS | فالبول ديغيس |
| 7 - TURSCOTT | تروسكوت |
| 8 - DAVID MURPHY | ديفيد ميرفي |
| 9 - LEONIDS BRMBERG | ليونيدز برومبيرج |
| 10 - COLONEL KULL | الكولونيل كول |
| 11 - ALFREDS RIEKSTINS | الفريدس ريكستينس |
| 12 - IMANTIS | ايمانتييس |
| 13 - NIKOLAI BALODIS | نيكولاى بالوديس |
| 14 - BORIS | بوريس |
| 15 - EDVINS OSOLINS | إدفينس اوسولينز |
| 16 - HERBERT | هيربرت |
| 17 - RIEKSTINS | ريكستينز |
| 18 - DWIGHT EISENHOWER | دوايت ايزنهاور |
| 19 - JOHN FOSTER DULLES | جون فوستر دالاس |
| 20 - HARRY LAMBTON CARR | هاري لامبتون كار |
| 21 - DOROTHY COLLIER | دوروثي كولير |
| 22 - KLIMKANS | كليمكانس |
| 23 - LEONIDS ZARINS | ليونيدس زارينس |
| 24 - PILSETNIKS | بيلسيتينكس |

الفصل الثامن CHAPTER EIGHT

1 - POPS	بوبس
2 - FRED	فريد
3 - ALEX	اليكس
4 - VITOLINS	فيتولينس
5 - HARVEY NICHOLS	هارفي نيكولس
6 - ABERDARE	ابيرداري
7 - RIVER DAUGAVA	نهر دوجافا
8 - MCKIBBIN	ماكيبين
9 - SCOTT	سكوت
10 - NORA DASHOOD	نورا داشوود
11 - HYDE PARK	هايد بارك
12 - EDVINS OSOLINS	إدفينس اوسولينز
13 - BUNDULIS	بونديوليس
14 - ANCIETAS DUKAITIS	آنستياس دوكاتيس
15 - MIKE	مايك
16 - KARKMAN	كاركمان
17 - SIR DICK WHITE	السير ديك وايت
18 - PHILBY	فيلبي

صور الشخصيات الهامة



هاري لامبتون كار ، رئيس المنطقة
الشمالية لعمليات المخابرات السرية
البريطانية ، قبل فترة وجيزة من
تقاعدته عن العمل في الأجهزة
المخابراتية البريطانية عام ١٩٦١ .



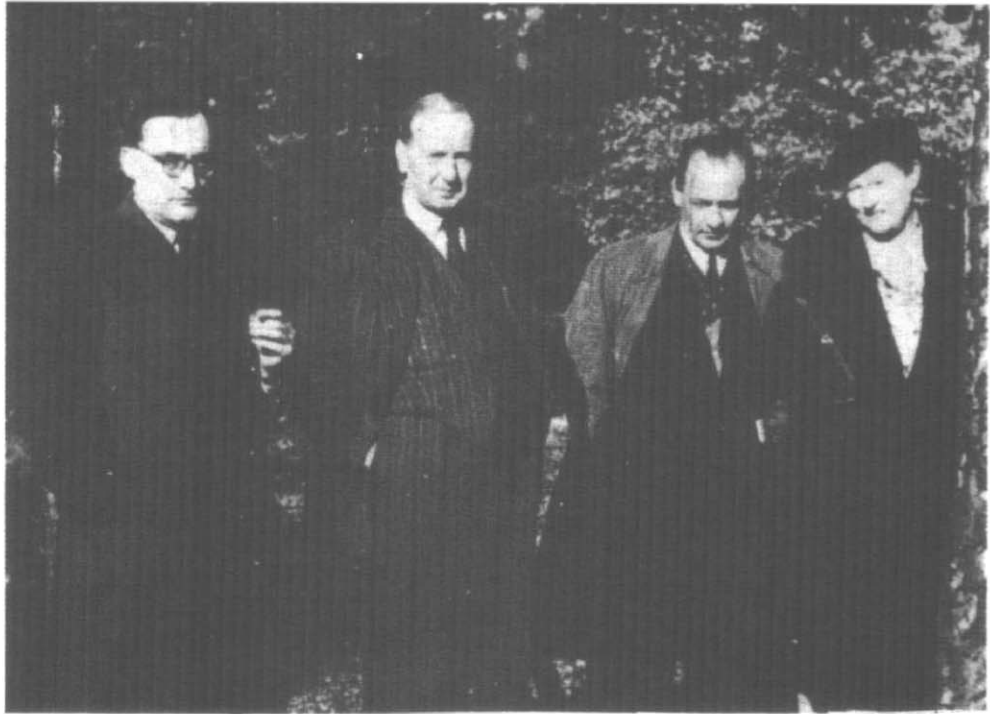
كار (ويجلس في المقعد الثاني من جهة اليسار) كان يعمل مترجماً للجنرال « ايرونايد »
قائد جيش التدخل البريطاني .



أعلى اليسار : الكسندر « ساندى ماكيبين » المولود فى
موسكو ، وزوجته الفنلندية « هيلمى » عملاء لصالح
المخابرات البريطانية فى « استونيا » حتى عام ١٩٣٩ .



صورة لـ « ستاسيس زيمانتيس »
الذى نظم عمليات تجنيد العملاء
للاستخبارات البريطانية فى
« ليتوانيا » .



فى عام ١٩٤٥ أصبح « ماكيبين » (الثانى من ناحية اليسار) رئيساً لعمليات المخابرات السرية
البريطانية فى دويلات البحر البلطى السوفيتية ، ويقف عن يمينه « ستاسيس لوزوريتس » الممثل
الدبلوماسى فى حركة مقاومة ليتوانيا ، أما عن شماله فيقف « ستاسيس زيمانتيس » .



العقيد السابق كولونيل الفونس ريانى لقيلى
« اس - اس » في ليتوانيا ، قام بتجنيد رفاقه
القدامى في قوات اس - اس ليصبحوا عملاء
للاستخبارات البريطانية في بلادهم .



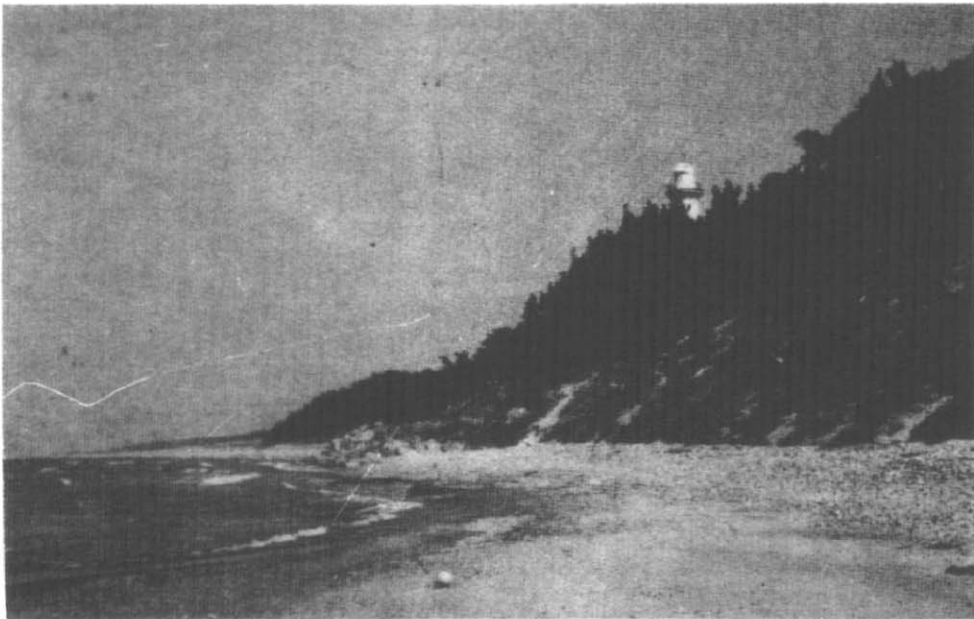
رودولف سيلاريس كان منظم عمليات
المخابرات البريطانية في « لاتفيا » .



تشارلز زارين في الوسط ، سفير لاتفيا في لندن ، كان بؤرة وهدفاً لتجنيد عميلاً
من عملاء المخابرات البريطانية .



« اريكس تومسون » في منظقة حائط الميناء حيث هبط علي رأس إحدي فرق عمليات
المخابرات السرية البريطانية عام ١٩٤٧ . جاء تومسون مع مشغل أجهزة الراديو واللاسلكي
« ريهاردز زاندي » ولقد وقع كلاهما في براثن الأخطبوط الأحمر الـ « كي - جي - بي »
السوفيتي .



منارة « فنار » يوجافا الواقع على سواحل لاتفيا ، وهو موقع
التعارف الذي يتم فيه إسقاط عملاء المخابرات البريطانية .



وولتر زيلينسكاس ، ممثل الاستخبارات البريطانية في ستوكهولم ، جالساً مع أربعة عملاء من لانفيا قبيل تنفيذ المخابرات البريطانية لكبري عملياتها مباشرة ، في مايو ١٩٤٩ ، ويجلس من اليسار إلى اليمين : جوناس ، ديسكنيس ، خوازالوكاشا ، جوستاس برديدس و كازاميراس بيليس



لم تكن أجهزة الاستخبارات البريطانية تعلم أن المستر « ديسكنيس » كان بالفعل قد سقط في قبضة السيطرة القوية للمخابرات أمن الدولة السوفيتية « كي - جي - بي » منذ فترة طويلة .

فيدفودس سيفيكس
وخششى أن يكون
عميلاً من عملاء الـ
« كى - جى - بى »



انسحب « فريد لونجاس » فى اللحظة الأخيرة من عملية
الاختراق الأولى السرية للاستخبارات البريطانية وعدد أفرادها
سنة عملاء فى مايو ١٩٤٩ لأنه ارتاب فى أمره .

الميجور « البيرتس
لوكاسيفيكس »
ويعمل فى منصب
الرئيس الثانى
للمديرية الثانية للـ
« كى - جى - بى »
التي دهرت وأشرفت
بنجاح على عملية
التخادع



تزعّم فيستولدس بيركيس « ثانى دفعة من عملاء
الاستخبارات السرية البريطانية للقيام (بعملية أدغال)



« كازيميرز كيبورز » المتقاعد حالياً من
استخبارات الـ « كى . جى . بى » عاش
فى غابات « كورزيم » كأحد الفلاحين

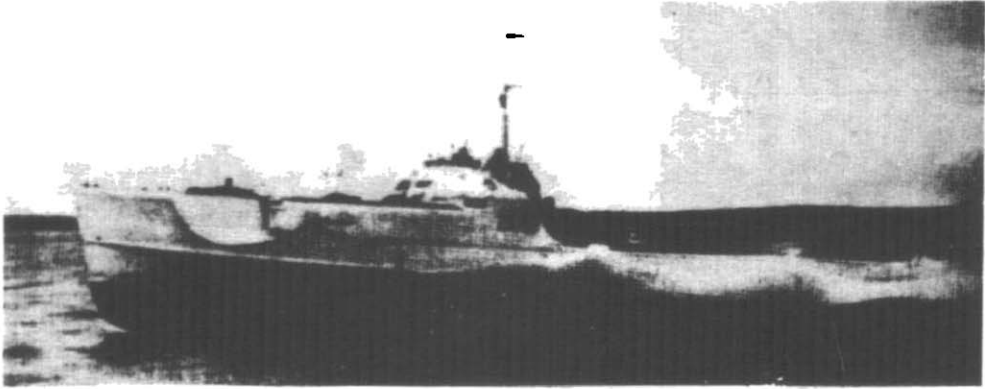


الميجور « جانيس بوندبوليس » تظاهر بأنه زعيم إحدى
جماعات (ماكسيس) الفلاحية « للفلاحين »



جينرال « جانيس فيفيريس فى مخابرات الـ « كى .
جى . بى » السوفيتية أشرف بنفسه على التحقق من
اتفاق التقارير الاستخبارية المرسله للمخابرات
البريطانية

جزء صغير من الغنائم المأسورة التي تم الاستيلاء
عليها من أجهزة المخابرات السوفيتية



سفينة من طراز
اس ٢٠٨



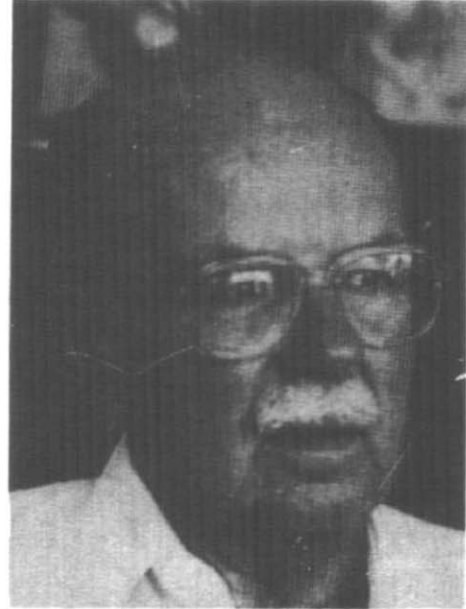
« هانز هيلموت كلوس » قائد الزوارق الألمانية على عهد الحرب ، قامت
المخابرات البريطانية بتجنيدده لإسقاط العملاء على سواحل البحر البلطى
باستخدام السفينة الموضحة فى الصورة من طراز « اس - ٢٠٨ » .



« هارى روزتيك » أسس أولى الفرق العسكرية التابعة لوكالة المخابرات
المركزية الأمريكية المعادية للشيوعية داخل روسيا



« بول هارتمان » كان
مسئولاً عن العمليات
التخريبية التي قامت بها
أجهزة المخابرات المركزية
الأمريكية في « لاتفيا »



« جورج بيبليك » رئيس فرع الاتحاد الشيوعي
داخل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في
ميونيخ في الفترة ما بين ١٩٤٨ وحتى ١٩٥١

« ايدفينس أوسولينس » كان أحد أفراد الفريق الأول الذي تم إسقاطه بالبراشوت من جانب أجهزة المخابرات المركزية الامريكية إلي داخل لاتفيا ، ولدي وصوله عمل لصالح المخابرات السوفيتية ال « كى - جى - بى » وأغرى « ليونيدس زارين » و « ليونيدس برومبيرج » للدخول في فريق « الأخطبوط الأحمر » السوفيتي .



« ليونيدس زارين »

« ليونيدس برومبيرج »

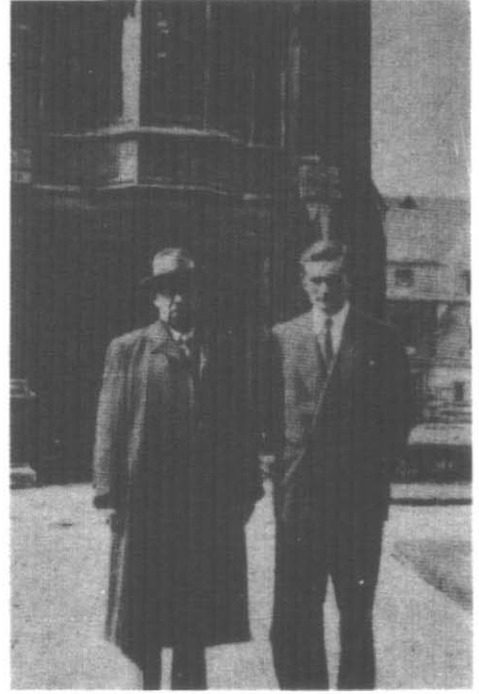


« خوازا لوكاشا » تزوجت قبل فترة وجيزة من إسقاطها بمساعدة
« المونسنيور كروبا فينسيوس » الجالس على يمين عروسه



« لوكاشا » القاعد القرفصاء علي اليسار مع أعضاء
جماعة « إخوان الغابات من الفلاحين » عام ١٩٤٧

« زيجماس كوديدكا » (اليمين)
 تلقي تدريباته على أيدي رجال
 المخابرات السرية البريطانية عام ١٩٥٠
 ليصبح مشغلاً لاسلكياً في ليتوانيا
 بجانب زعيم الفلاحين « إدمونديس »
 (اليسار)



« مارغيزيس فيتوليس » المتخفي في زي
 أحد الفلاحين ، أرسلته إلي لندن الـ « كى
 - جى - بي » لطمأنة الاستخبارات السرية
 البريطانية من أن شبكتهم التجسسية في
 أمان ، والآن يعمل فناناً



حينما اكتشفت المخابرات البريطانية خداع الـ « كى - جى - بي » فأرسلوا
 « جانيس كليمكانس » إلي بريطانيا حيث حقق معه « سكوت »

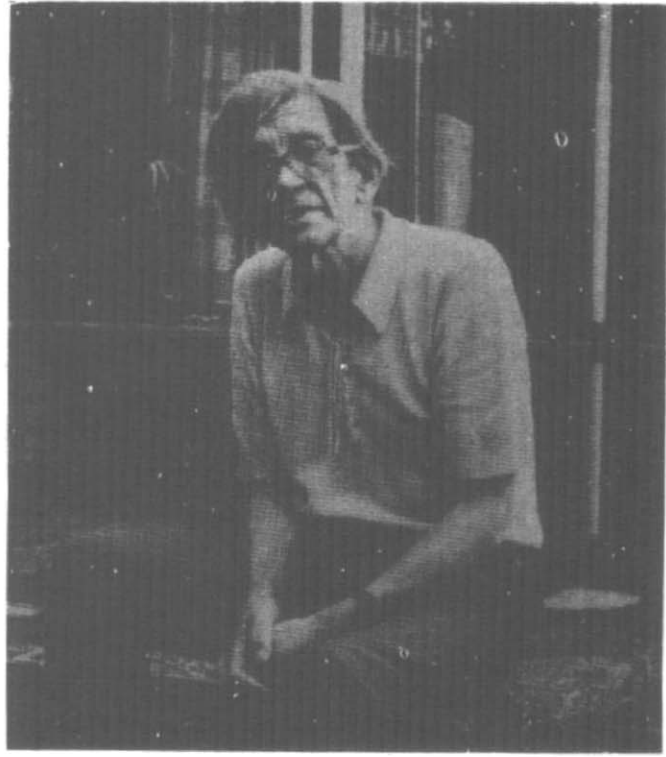


مقر المخابرات السوفيتية الـ « كى - جى - بى » فى شارع لينين ،
ريجا حيث خرجت من هناك عملية الخداع



السفارة البريطانية السابقة فى « ريجا » اثنى أصبحت قاعدة
هامة لعمليات المخابرات السرية البريطانية فى روسيا السوفيتية
فى أعقاب حصول لانفيا على استقلالها عام ١٩٢٠

تم إطلاق سراح « كار ريميس »
من معتقله في سيبيريا ليعمل مع
ال « كى - جى - بى » وكان
معيناً لائتين من أجهزة المخابرات
السرية البريطانية في « ريجنا »



« جون ليودزيوس » الضابط المولود
في بريطانيا ويعمل لصالح أجهزة
الاستخبارات السرية البريطانية ،
والذى أشرف على تدريب العملاء
في « تشلسيا »

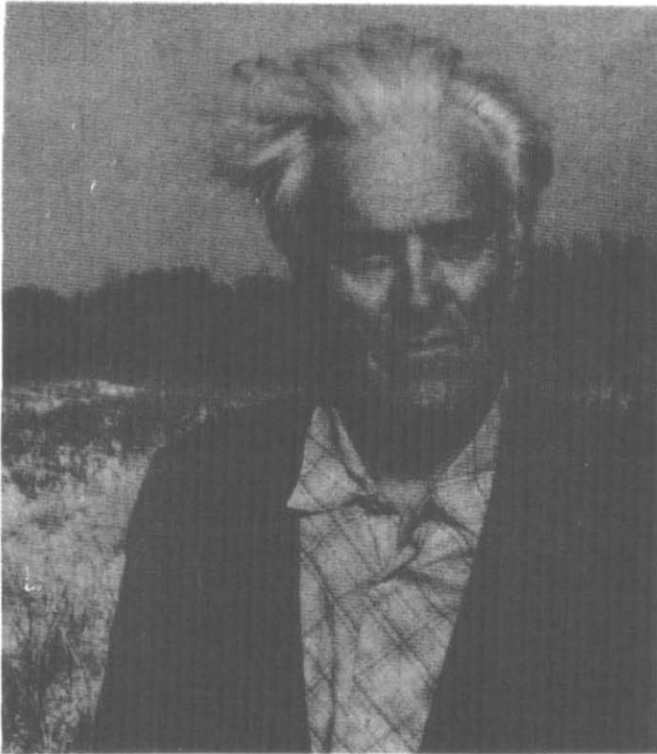
في نوفمبر ١٩٥٥ أنكر « كيم فيلبس » أنه
« الرجل الثالث » في مسألة « بورجيس - ماكليلان »



في نوفمبر ١٩٨٧ اجتمع الجنرال « جانيس لوكاسيفيكس »
وفيلبي « أخير فيلبس المستر » لوكاسيفيكس « بأنه لا يعرف شيئاً
عن عمليات المخابرات البريطانية ولا المخابرات السوفيتية



صورة نورا داشوود سكرتيرة « ماكيبين »
رسمها مار جيرس فيتولينس أحد
جواسيس الـ « كى - جى - بى »
حينما كان يعيش عميلاً للمخابرات
السرية البريطانية في لندن ..



في عام ١٩٤٩ كان « بوليسلاف
بيتانس » خبازاً في بيتربورج وبعد
تلقية تدريبات على أيدي المخابرات
البريطانية السرية تم إسقاطه بالمظلات
على سواحل لانفيا لإقامة صلة
لاسلكية مع لندن . ألقى القبض عليه
عام ١٩٥٥ وهو الآن يعيش في لانفيا

اندلاع الحرب الضروس

إن حياة كاملة من السرية المطبقة والتفرد المهني والاحتراف ، كانت الثمن الذي دفعه « هارى كار » ليتفادي المتاعب تفاقدا كاملا في خضم الكفاح الهائل الذى خاضه مدى الحياة ، ولقد عاش « هارى كار » حياة طويلة حافلة بلغت الثامنة والثمانين ، أما أيامه الأخيرة فقد كانت مليئة بالذكريات ومفعمة بالأحاسيس ، وكان يفهم دائما أن الحرص المنظم بمثابة المؤهلات الضرورية للرجل الحرى ولم تخل تلك الحياة الحافلة من الاتهامات التى نسبت إلى صاحبها وكذا الاتهامات المضادة ، وفى حالة المستر « كار » كانت تلك الاتهامات والمضادة أكثر عنفا عن المعتاد - على الرغم من أن معظم زواره كانوا يستثيرون حفيظته وغضبه .

كان « هارى كار » يعيش فى شقة بها غرفة نومه ذات الطلاء الأبيض الشاهب وتقع فى الدور الثانى من بيت تقاعده الذى يطل على المناظر الطبيعية بنوافذه الجميلة ، إن « هارى » هو الذى وصف نفسه فى كتاب « هوية الشخصيات » أنه ضابط سابق بقسم جوازات السفر والسكرتير الأول فى الجهاز الاستخبارى الخارجى البريطانى ، ولقد أحاط نفسه بمجموعة أشياء تمثل ذكريات غالية لديه مدى الحياة وفيها : الأيقونة الفضية ، والقليل من لوحات ألوان الماء ذات الطلاء الجيد وتصور الطبيعة الخلابة ، وهدايا من المستر « بروكوفيف » الذى قام بطلاء اللوحات أثناء إحدى رحلات النزهة العائلية ، وصور فوتوغرافية عن أشخاص فى مشاهد الثلج ، وأدوات لعبة التنس وغيرها .

وتكشف هذه الهدايا التذكارية النذر اليسير أو على الأصح لا تكشف شيئا عن الأربعين عاما الماضية من حياة المستر « كار » وهى التى أنفقها كموظف فى الحكومة البريطانية على الرغم من أن الزائر ربما يلاحظ أن كتبه توحى بانشغاله الدائم واهتمامه بأجهزة المخابرات البريطانية .

وعلى مدار فترة إقامته فى داخل بيت التقاعد ، كان المستر « كار » يزهد فى كل شيء ويحتقر متاع الدنيا الزائل إلا الاتصال الروتينى مع جيرانه وأصدقائه المقربين

وكان يتحرك بين تارة وأخرى داخل بيته ويستمع حيناً إلى الأغاني الشعبية الراقصة العاطفية التي تنتمي إلى الفن الشعبى والفلكلور الروسى وبخاصة تلك التي يشدو بها المغنى والمطرب المفضل « بيوتر ليشينكو » ، إلا أنه لم يعرف يقيناً ما هو السبب الذي يدفع به إلى النزعة الفطرية في الاستماع إلى تلك الأغاني بولع وغواية .

وحينما كان الشباب ذوو الوجوه الظريفة من الموظفين الجدد يزورونه على غير موعد أو بدون توقع منه ، ويصلون إلى مكان عمله القديم التماساً — على حد قولهم — لخبرته وحنكته في بعض شئون العمل وبخاصة تلك التي كان يقوم بها في الماضي قبل تقاعده ، فإنهم عادة ماكان يجابهم تحفظه وتكتمه وفي نفس الوقت يلقون منه حسن المعاملة وأطيب اللقاء .

وهذا ربما كان السبب في أن يعاود أرباب العمل (قسم الجاسوسية بجهاز الاستخبارات) إرسال ممثلين رسميين آخرين إلى بيته لمعاودة التماس الخبرة وبعض التصفح في شئون خاصة بأدق أسرار العمل نظراً لثقتهم العالية في مقدرته المهنية وفي أيامه الأخيرة كان كبار رجال الجهاز الاستخبارى يرسلون بعمال النظافة (الذين هم أصلاً من رجال المخابرات) وقد تخفوا في زى العمال العاديين من أجل البحث عن أية مستندات في منزله ربما يكون قد أخفاها منهم ، وخشيت أن تقع في نفس الوقت في أيدي غير أمينة تسيء استغلالها مما يضر بالأمن القومى للبلاد .

وحينما توفي « هنرى لامبتون كار » وفاة طبيعية في ١٩ مارس ١٩٨٨ ، كان قد ترك فراغاً رهيباً في العمل السرى البريطانى ، فهو على مدار أربعين عاماً ، كان قد شن خلالها حرباً ضروساً — وهو أحد مؤسسى جهاز المخابرات السرية البريطانية — على روسيا السوفيتية ، وذلك بالتوازي مع أبناء العم من الولايات المتحدة الأمريكية داخل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الذين شنوا هم أيضاً حرباً ضروساً ضد روسيا .

ولقد أحس بفطرته أنه من الأفضل أن يترك الحسابات والتي لم يتم تسويتها بعد طالما أن الأمور قد قضت بذلك ، وعلى الرغم من أن التاريخ قد سجل له جنونه واهتمامه الزائد بمراعاة الأمن القومى لبلاده ، وانه تعرض للغدر وهَوْن الناس في الجهاز البريطانى السرى من أعماله وانتصاراته ، ولذلك فقد ظل دائماً مقتنعاً بما حققه من النجاحات الشخصية التي لم يكن مستعداً لشرحها ، إن وفاة « كار » قطعت آخر صلته بتلك القصص التي لاتنتهى أعاجيبها .

مولد رجل الاستخبارات القوى

ولد المستر « كار » في ٢٨ نوفمبر ١٨٩٩ بالقرب من عاصمة سانت بيترسبرج لأب يعمل مديراً لخمسة مطاحن بريطانية ، وكان يتمتع بحياة طلاقة سعيدة كرجل مهاجر يسكن في جزيرة « موسى » التي كانت تحتوي على ملعب تنس فريد في نوعه مكسو بالخضرة والمناظر البهيجة ، كما كان والده يفاخر بوظيفته وحبه العظيم لبلاده ووطنه البعيد .

وفي ذلك الزمان البعيد كان آلاف من الألمان والبريطانيين والفرنسيين يعيشون مع عائلاتهم بالقرب من البحر البلطى حيث يعملون ويديرون أعمالهم ويكسبون أرزاقهم ومنهم من حقق الثروات الطائلة والأموال العريضة من المصانع والعقارات والضياع والبنوك في روسيا الرأسمالية .

فقد كانت روسيا شأنها في ذلك شأن سائر البلدان الأوروبية والأمريكية في الغرب ، كانت موطناً لاجتذاب رؤوس الأموال والاستثمارات الأجنبية وكان يستثمر أمواله هناك أجيال كاملة كثير من رجال الأعمال الأجانب والتجار .

وهكذا جنى الثمار من جاء من بعدهم ، فضلاً عن حقيقة أن فقر روسيا مكن أهل الغرب المستثمرين في روسيا من الاستمتاع بحياة رغدة ومستوى معيشى مماثل لذلك الذى كان سائداً في ظل الحكم البريطانى .

وحتى عام ١٩١٤ كان المستر « كار » قد شهد بحياته طرقاً من هذا النعيم والبهجة وانطلاقة الحياة ، وفي نفس العام اندلعت نذر الحرب العالمية الأولى ، مما اضطر الأسرة إلى العودة إلى إنجلترا في مدينة « هيلى بيرى » حيث تلقى تعليمه هناك في الكلية المسماة بنفس اسم المدينة .

وفي اثناء سنوات الحرب الناشبة ، أنفق المستر « كار » ذلك الزمان في الدراسة منقطعاً عن أسرته إلا أنه كان واثقاً من سلامتهم وأنه لن يلحقه أذى بسبب ظروف الحرب ، وكذلك أسرته التي كانت تبعد مئات الآلاف من الأميال عن موقع العمليات العسكرية والحربية في الجبهة الشرقية ، إلا أن هذا الوهم انفصم عام ١٩١٧ ، بسبب إندلاع الثورة البلشفية والإطاحة بأسرة « رومانوف » الحاكمة .

أصاب الاضطراب المستر « كار » لأن تقارير الصحافة آنذاك كانت تسجل تحقيق البلاشفة والثوار لانتصاراتهم المتوالية ، وكتب أن الثوار الجدد ثاروا يتحدون أعمق

أسس وجذور الرأسمالية الغربية ، حيث كانوا يدعون إلى الشيوعية ، ومناهضة المجتمع الرأسمالى الليبرالى المفتوح ويأمنون بالاقتصاد الموجه والمجتمع المنفلق وفرض الستار الحديدى .

وأخذ « لويد جورج » عقب تخرجه من كلية المدفعية الملكية وتوليه المناصب الكبرى فى انجلترا ، أخذ يجند المتطوعين الموالين المشهورين بالولاء والإخلاص والوفاء ويعدهم من أجل الاضطلاع والقيام بمهام خاصة داخل روسيا الشيوعية من أجل تغيير عجلة الأحداث هناك وإيقاف المد الشيوعى ، وتغيير وجه الحياة والتاريخ فى تلك البلدان التى عرفت آنذاك بجمهوريات الاتحاد السوفيتى .

انتهز « كار » الفرصة وعاد إلى روسيا عام ١٩١٩ عضوا فى جيش من الرجال السريين والعملاء والجاسوسية من أجل الإطاحة بالشيوعيين ، وكان شأنه شأن الكثيرين من الضباط المؤسسين لجهاز المخابرات السرية البريطانية ، إذ صارت حياته كلها مكرسة من أجل المغامرات العجيبة والخطيرة فى العمل الجاسوسى والسرى ، مما أدى إلى كسر شوكة العدو .

تنازل القيصر الروسى نيقولا الثانى فى مارس ١٩١٧ ، وكانت الحكومات البريطانية والفرنسية والأمريكية قد شغلته المشكلات الملحة للحرب الدائرة على الجبهة الغربية وتجاهلت التحذيرات الواردة التى أضاءت الضوء الأحمر ضد الثورة الناشبة فى روسيا ، وفى ذلك الحين كانت الاستجابة الصادرة عن تلك العواصم الثلاث ، لندن وباريس وواشنطن بطيئة ومرتبكة ، فضلا عن نقص المعلومات وتشوها وفقدان التعاطف مع النظام القديم القيصرى المخلوع .

وأصدر « لويد جورج » تعليماته - وكان رئيسا لوزراء بريطانيا آنذاك - بإرسال بعض المال إلى « الكسندر كيرينيسكى » رئيس الوزراء الجديد ، غير أن المزيد من المعونات والعون قد تم حجبها ، حتى يتم تلقى تقارير العميل الذى استأجره الأمريكان وهو المؤلف « سوميرست موم » الذى كان يسافر مرتحلا حينذاك عبر اليابان وفيلاديفستوك ، عن تحرياته وتجسسه فى تلك البقاع الشيوعية ، وحدث بعد ذلك أن استقال « كيرينيسكى » فى ٨ نوفمبر وحل محله « لينين » والبلاشفة .

وعلى الرغم من أن تلك الأخبار كانت مفزعة ، إلا أن الحكومة البريطانية اجتمعت وأخذتها الدهشة والرعب من التقارير التى قالت بأن الزعيم السوفيتى الجديد عقد

مباحثات ومفاوضات سلام - بعد توليه الحكم بأيام معدودة - مع الألمان ، وهكذا صار واضحاً أمام الحلفاء الغربيين أن هدنة على الجبهة الشرقية صارت الآن مما يحسب حساب وقوعه ، والنتيجة هي أن الجيوش الألمانية سوف تتركز في الغرب من أجل شن الهجوم الجديد ، وأنه في حالة انهيار الحكومة السوفيتية الجديدة ، فإن الألمان سوف يتجهون من أجل ملء الفراغ على حساب الاستثمارات البريطانية الضخمة هناك .

وباءت جميع محاولات « لويد جورج » لإقناع البلاشفة بالاستمرار في الحرب ، وفي ٣ مارس ١٩١٨ ، وقع البلاشفة السوفيت مع الألمان معاهدة سلام كان من بنودها ، أن يدين الحكام الروس الجدد ويتخلوا عن مزارعهم التاريخية في فنلندا .

كما جاء في بنود هذه المعاهدة أن يتنازل الروس عن مزارعهم في كل من جمهوريات البحر البلطيقى الثلاث وبولندا وأوكرانيا ، وراح الجيش الألماني والقوات الألمانية تدعم من احتلالها لسائر هذه المناطق .

إن المحاولات السوفيتية اللاحقة للتنصل من تعهدات لينين هي التي وضعت الأساس للكثير من مؤامرات « كار » التي قام بها على مدار الأعوام الأربعين التالية ، وفي ٦ مارس ١٩١٨ ، اتخذ الحلفاء أول إجراء وقائي لهم حيث تم إرسال مائة وثلاثين غواصة بريطانية إلى روسيا تحت إمرة الميجور جنرال « ماينارد » ، وهي بمثابة المقدمة الأولى لما صار يعرف فيما بعد باسم « القوة التأديبية لشمال روسيا » .

وكان من مهام هذه البنود حماية المخازن والمواقع العسكرية الضخمة التي وردها الحلفاء إلى الجيوش القيصرية وتشكيل سلك شائك ضد المحاولات الألمانية لغزو شمال روسيا ، وكان هناك بعض الشخصيات في لندن ، وبخاصة منهم المستر « ونستون تشرشل » الذين صاروا يتحدثون عن استخدام القوات والجنود البريطانيين كنواة لقوة مستقبلية للإطاحة بالبلاشفة .

وكان تشرشل حينئذ يشكل أقلية بصوته ، وبخاصة منذ هبوط الجنود البريطانيين في « ميرمانسك » طبقاً لأحكام اتفاقية « تروتيسكي » ، إذ كان المستر تشرشل تراوده أحلام توسيع الإمبراطورية البريطانية ، وكانت روسيا هي العدو التقليدي لبريطانيا في آسيا ، ومصدراً للصراع الدائم على طول الجبهة الهندية وفي الأراضي الغنية بالبتروول في الشرق الأوسط .

ولقد أدت تعهدات لينين بنشر الثورة الشيوعية عبر العالم الغربي إلى أصداء واسعة

التذكير وبمخاوف « ديزرائيلي » الكبرى التاريخية ، إذ كان يرى في روسيا الدولة العظمى الضخمة المتنامية ، وقال تشرشل : إن البلاشفة سوف يتسببون في المزيد من تفاقم الأوضاع وسوءها عما كانت الأحوال على عهد القيصرية ، فكانت إزالتهم أمراً حيوياً لتأمين وحماية الاستثمارات البريطانية الضخمة وبخاصة الاستثمارات المتعاظمة داخل روسيا .

وتزامن مع وصول أول فرقة من القوات البريطانية إكمال الميجور جنرال « فريدريك بول » المشرف على إمدادات جيوش الحلفاء ، إكماله بنجاح المفاوضات السرية لشراء الأسهم الكبرى داخل البنوك الروسية الرئيسية .

واقترح مجلس الحرب البريطاني أن يكون هذا الشراء بمثابة الضربة لأن الاقتصاد الروسى سيكون مملوكا لبريطانيا مما سوف يساعد مساعدة فعالة في تدعيم موقفها ، وكان الاعتقاد السائد في الحكومة البريطانية في ذلك الحين أن انقلاب البلاشفة سوف يكون بمثابة سحابة الصيف التى سرعان ماسوف تنقشع ويحل محلها حكومة أكثر اقترابا مع الغرب .

أما بالنسبة إلى البريطانيين ، فقد كانت الأولوية تتمثل في إعاقة التقدم الألماني إلى داخل روسيا في نفس الوقت الذى يشن فيه العملاء البريطانيون داخل موسكو انقلابا مضاداً ناجحاً لإزالة الأنقاض الحمراء المثيرة للمتعاب والاضطرابات هناك .

وعلى مدار القرون الخالية ، كانت البراعة البريطانية في خلق واحتلال الأراضي وضمها إلى الامبراطورية البريطانية يعتمد أساساً على النشر الناجح للعملاء السياسيين الدواهي إلى المناطق الرئيسية لشراء المساندة من جانب الجماعات المناوئة والمنشقة ولأجل الانضمام في صفوف بريطانيا للحرب ضد العدو المشترك .

فكان بذلك « العمل الخفى » بديلا رخيصا وفعالا عن الاشتباك العسكرى ، وفي عام ١٩١٨ ، كانت هناك أكثر من سبب للحكومة البريطانية من أجل اللجوء إلى هذه التكتيكات البارعة المتقنة والماكرة ، وبالتالي فقد ساعد البريطانيون المقاومة السوفيتية المعادية لنظام حكم البلاشفة وأمدوهم بالمال والعتاد .

كان الكابتن (نقيب) « فرانسيس كرومى » أحد مهندسى الانقلاب المضاد ، ويعمل مساعدا للملحق البحرى ، وجمع مليون جنيه نقداً لتمويل أية مؤامرات تقى بالغرض المطلوب ، وفي أثناء العام الماضى ، كان « كرومبى » الذى يعمل مع ضباط

بريطانيين آخرين وعملاء مختلفين مُدكُون شبكة من البحارة والعمال الروس الذين سوف يفرقون في مقابل الرشاوى وتنفيذا لأوامر البريطانيين ، يفرقون المناجم ، وينسفون مواقع الذخائر والمخازن ويفرقون الأساطيل الروسية في البحرين البلطى والأسود .

وكانت الخطة تستهدف رسميا حرمان الألمان من أية مميزات مثل القيام بشن غزو مفاجيء ، كما كانت المخططات التى رسمتها أجهزة المخابرات السرية البريطانية تستهدف حرمان البلاشفة أيضا من أية ميزات تمكنهم من المقاومة مستقبلا ، فكان عليهم كذلك استخدام نفس الاستراتيجية ونفس الشبكة للتضييق على البلاشفة .

ومثل حلفاء الدبلوماسيين فى شتى البقاع ائتلافا صلداً مكونا من مختلف الجماعات القومية التواقين لاستغلال تفكك الحكم المركزى الروسى من أجل فرض استقلالهم الخاص بهم وكذلك استقلال القياصرة ، وكانوا يعرفون لأسباب مختلفة باسم الروس البيض .

وتدعمت أنشطة « كرومبى » حيث تم تزويده بسلسلة متوالية ومتعاقبة من العملاء المرسلين من لندن ، وكان مرسلهم هو السير « مانسفيلد كامينج » رئيس جهاز المخابرات البريطانية السرية ، وكان الغرض الكبير هو استغلال أية فرصة لإبعاد الثوار عن الحكم .

ولقد أقنعت أنشطة ثلاثة عملاء على وجه الخصوص هم « سيدنى ريللى » ، والكابتن « جورج هيل » ، و « بول ديوكس » ، بالتعاون مع وجود الممثل البريطانى الأول المستر « روبرت بروس لوكهارت » فى موسكو ، أقنعت البلاشفة عام ١٩١٩ بأن جهاز المخابرات البريطانية السرية كان هو عدوهم الأول والاقوى ، ولقد ظل هذا الانطباع سائدا على مدار أربعين عاما تقريبا .

أما « ريللى » الذى كان يطلق عليه أساسا اسم « سيجموند روزينبوج » ، فقد كان مغامرا ومستثمرا ورجل أعمال اكتسب ثروة لا بأس بها كتاجر سلاح قبل واثناء اندلاع الحرب العالمية الأولى ، ومن خلال ذلك استطاع أن يكون صداقة ناجحة مع جهاز المخابرات البريطانية السرية ، وفى ذلك الوقت فى زمن البلاشفة وانقلابهم الذى تم فى عام ١٩١٧ ، كان « ريللى » يقوم بزيارة إلى سانت بترسبرج كعميل وسرعان ما استطاع استغلال الفوضى الضاربة هناك .

وكان ذلك الرجل قد حباه الله بالمقدرة والموهبة على التنكر والتخفى في وجوه عديدة بطرق متقنة لا تكشف حيث كان يستطيع أن يقدم نفسه للناس ببراعة كتاجر تركى أو تاجر يونانى أو كوميسار روسى .. الخ ، مما هيا له الاطلاع على والوصول إلى مكتب « بروتسكى » في وزارة الخارجية .

والاشياء التى راها أكدت بغضه ومقته لما وضعه « السرطان الخفى » للشيوعية ، وسرعان ما قبل فى شوق عرض الجهاز السرى للمخابرات البريطانية بالقيام بأية مؤامرات من شأنها أن تطيح بالشيوعيين عن السلطة فى البلاد ، وكان له اسم كودى هو « س . ت . ا » .

وحيث كانت الإمبراطورية الروسية غارقة فى الحروب الأهلية ، فقد كان أمرا واقعيًا أن يتدبر ويتأمل فى كيفية تنفيذ انقلاب ناجح ومضاد ومناهض للبلاشفة ، واستطاع المسئول البريطانى والممثل الأنجليزى فى روسيا ، وهو « ريللى » استطاع أن يقابل مجموعة من الضباط فى جمهورية لاتفيا السوفيتية ، وهم أعضاء فى العرس الخاص للزعيم « لينين » وكانوا مستعدين لخيانته .

وسرعان ما شرع « ريللى » فى التآمر مع « كرومبى » بناء على أوامر من لندن لتدمير الأسطول الروسى فى البحر البلطيقى ، ولم يمض وقت طويل حتى استطاع عملاء وجواسيس الـ « تشيكا » الجهاز الاستخبارى الروسى أن يكشفوا تفاصيل المؤامرة البريطانية ، ناهيك عن خيانات الجواسيس والعملاء المزدوجين ، وكان الـ « تشيكا » هو جهاز المخابرات السرية السوفيتية الذى أعقب المخابرات القديمة المعروفة باسم « أوخرانا » وكانت روسيا القيصرية قد وسعت من أنشطته على مدار ثلاثة عقود كاملة من الزمان قبل الحكم الشيوعى للبلاد ، لكشف الروس المتآمرين والثوريين فى المنفى .

اخترق عملاء مخابرات « أحرانا » تنظيمات العديد من الشيوعيين ومجمعاتهم وحيدتهم وبخاصة المنظمات التى اتخذت من أوروبا الغربية منفى لها (كما قيل : إنها زرعت أحد العملاء فى داخل بيت لينين على الرغم من أن ذلك لم يؤد إلى نفع ملموس) ، وفى أثناء العهد الذهبى وأيامه السعيدة التى أعقبت نشوب الثورة ، أمر لينين بتسريح وتفكيك جهاز الـ « أحرانا » كرمز لاحتقاره لنظام القياصرة ، إلا أنه سرعان ما استبدل به جهاز الاستخبارات السوفيتى الشهير المعروف باسم الـ « تشيكا » .

كان الرفيق « فيلكس دزرزنيسكى » مؤسس جهاز الاستخبارات السرية

السوفييتي الجديد الذي عرف باسم « اللجنة غير العادية لعموم روسيا الخاصة بمكافحة الثورة المضادة والتخريب » ، ينتمى إلى أصول بولندية وتشبع رجال دزرزنيسكى بإرشاده وتوجيهاته العنيفة : « إننا هنا من أجل القضاء على الإرهاب المنظم ... يتعين على جهاز الـ « تشيكا » أن يدافع عن الثورة ويقهر الأعداء حتى لو كان سيفه في النهاية سوف يبتز رؤوس الأبرياء » ، مما جعلهم يؤمنون بأن جهاز التشيكا ليس من اختصاصه إصدار الأحكام بل الضرب بشدة وعنف .

ولما مات القيصر في ٢٥ يوليو وإعلان السوفييت موته رسمياً شهدت « ايكاتينبرج » مقتل كافة أفراد العائلة الامبراطورية ، وفي نفس اليوم استولى الروس البيض على المدينة المسماة « ايكاتينبرج » .

وفي ٢١ اغسطس تم استكمال مؤامرة اشترك فيها المستر « ريللى » وكان من جرائها أن أطلقت « دورا كابلان » وهي امرأة اشتراكية رصاصتين على الزعيم لينين فأصابته في الرئة والعنق ، وكاد لينين أن يشرف على الموت وبعد ساعات من العملية اقتحم عملاء جهاز استخبارات الـ « تشيكا » السفارة البريطانية وأطلقوا الرصاص على « كرومبى » فأردوه قتيلاً ، وشرعوا في العريضة والقتل ، وأسروا وسجنوا الضباط القياصرة والمتعاطفين معهم .

هرب « ريللى » إلى بريطانيا غير أنه تم إلقاء القبض على « بروس لوكهارت » ثم تم إطلاق سراحه فيما بعد بالمقايضة والمبادلة مع أحد الممثلين السوفييت وهو « ماكسيم ليتفينوف » الذى ألقوا القبض عليه في لندن كإجراء وقائى ، ومن هنا بدأت العلاقة المستقبلية والتاريخية بين جهاز التشيكا وجهاز الاستخبارات السرية البريطانية .

وعلى الرغم من أن مؤامرة « ريللى » جاءت بنتيجة عكسية ، نجد أن الحكومة البريطانية بالاشتراك مع معظم المراقبين الغربيين ظلوا على قناعة بأن نظام « لينين » سرعان ماسوف ينهار ، ضحية للفوضى والعوز والفقر والجاعة والطاعون ونتيجة أيضاً لزحف الجيوش الروسية البيضاء التى جعلت تحتشد وتتلاقى في فنلندا وسيبيريا وجنوب روسيا استعداداً للسير صوب موسكو وبيترومراد .

وفي يونيو هبط ستمائة جندي بريطانيين جدد في « ميرمانسك » اعتبرت موسكو - تلك المدينة التى اتخذها الزعماء السوفيت عاصمة جديدة لدولتهم لتجنب مخاطر احتمال السقوط في أيدي الألمان أو الحلفاء - إن وصول القوات الإرسالية التأديبية يخلو

من أية مصداقية تبرر الادعاءات التي ساقها ومنها الاطلاع بمهام الحماية والحراسة .
أما لينين فقد استشفى وتعافى من محاولة الاغتيال ، فقد نظر بعين الشك والريبة
إلى الجيش الجرار المعادى الذي اتخذ معسكرا له في الشمال ، مما حدا به إلى الشك من
أن القوات البريطانية سرعان ما سوف تزحف على الكريملن .

وأما « لويد جورج » فقد كان يعتبر هذه القوات غير ذات قيمة في روسيا إلا أنها تم
إرسالها من أجل أسباب سياسية وليس من أجل أسباب عسكرية ، على أية حال كان
البلاشفة يؤمنون بأن السياسة في لندن لن يوافقوا على احتواء الثورة أو تدميرها ، غير
أنه لم يكن هناك ثمة وزير يمانع في إيقاف الانزلاق صوب تأييد الروس البيض ضد
الروس الحمر ، ولقد كان التمويل أكبر عقبة وكان أسهل الحلول تجنيد الحلفاء .

وفي الواقع كانت هناك فرقتان تنتميان إلى الجنود التشيك هما الحليفتان وقوامهما
٧٠٠٠٠ رجل ، الذين كانوا حتى عام ١٩١٧ ، يقاتلون في صفوف الجيوش القيصرية
ضد الألمان ، وعلى الرغم من أنهم كانوا يرتحلون ويسافرون إلى بلادهم عبر مدينة
« فيلاديفوستك » إلا أن لويد جورج كان يأمل في التحول معهم والعودة صوب مدينة
« ميرمانسك » حتى يتسنى للقيادة البريطانية السيطرة عليهم .

وبذلك صارت ضمانه سلامة التشيك الحجة والذريعة من أجل كافة أعمال الهبوط
والإبراز اللاحقة التي قامت بها قوات الحلفاء .

وكان المصدر الثاني للقوات الضاربة هي الولايات المتحدة الأمريكية ، وشرع
اللورد « ريدنج » السفير البريطاني في واشنطن ، في حث الرئيس الأمريكى ويلسون
للاللتزام باحتواء الثورة البلشفية ، أما العقبة فهي المبادئ الأربعة عشر التي نادى بها
الرئيس ويلسون التي طالبت بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للأمم الأخرى .

واقترح ويلسون أن يرسل ١٥٠ فرداً من مشاة البحرية الأمريكية إلى مدينة
« ميرمانسك » على الرغم من أن الهدف كان أساسا الحراسة والقيام بواجبات الحماية ،
ولدى وصول هذه القوات وبدون الرجوع إلى واشنطن تجاهل الضباط المحليون الأوامر
ووضعوا أنفسهم تحت إمرة الجنرال « ماينارد » ثم تم دفعهم صوب الجبهة والهدف
حسبما قيل آنذاك : هو استطلاع التقدم الألماني ، إلا أن الخطط البريطانية كانت تتغير
بصورة رئيسية .

وفي أول أغسطس اقترب أسطول صغير تابع للحلفاء يقوده الجنرال « بول » ، اقترب من « شانجيل » ثم اجتازه البلاشفة حينذاك ، وسرعان ما تبادل الجنود البريطانيون النار مع المدافعين الشيوعيين الذين هربوا في وقت لاحق ، ورحب الروس البيض بالقائد « بول » الذى استوثق من خلال التقارير بأن الجيش الأحمر كان يتقهقر في كل من سيبيريا في الشمال وفي الجنوب ، وصارت موسكو عارية من الدفاع أمام الجيوش المعادية للثورة .

وبينما كان « تروتسكى » يطلب المزيد من القوات ، لم يرسل الرئيس ولسون سوى تعزيزات قدرها : ٤٥٠٠ من رجال المشاة الأمريكان ، والمهندسين والأطباء ، هم الذين أبحروا إلى « ميرمانسك » ، أما القوات الأمريكية الأخرى فقد أرسلت إلى سيبيريا للمساعدة في تدعيم صفوف الـ ٧٢٠٠٠ جندي ياباني وكتيبة من المشاة البريطانيين الذين هبطوا في « فيلادفيستوك » من أجل حماية الفرقتين التشيك حسبما قيل آنذاك .

وفي خضم هذه التعزيزات ونشر القوات ، شن الحلفاء في ٨ أغسطس هجوماً مضاداً كاسحاً وناجحاً على الجبهة الغربية ، التى صنعت نهاية لطموحات القيصر والعدو الأصيل لإرسال القوات المتحالفة إلى روسيا ، وبدأت قوات الجنرال « ماينارد » بناء على مبادرة ذاتية منهم بتجاهل الموقف الجديد ، وشرعوا في تجنيد القوات الروسية غير النظامية لمحاربة البلاشفة .

أما في لندن ، حيثما اقتربت الحرب من وضع أوزارها ، شرع مجلس الوزراء في التركيز على روسيا السوفيتية ، أما الإجماع الذى تصور لينين أن يجمع ويوحد الوزراء ومستشاريهم العسكريين لإصدار هجوم مباشر على موسكو فلم يكتب له أن يتم على أرض الواقع .

وبعد مناقشة حاسمة في ١٢ نوفمبر ، وبعد يومين من الهدنة استهدفت تقرير عما إذا كانت بريطانيا تعتزم سحق الثورة ، احتشدت مجموعة صغيرة من الوزراء في قاعة العميد بحرى « بلينيكرز » في وزارة الخارجية البريطانية لدراسة الاختبارات المقدمة من جانب الجنرال السير هنرى ولسون ، رئيس أركان الحرب العامة الامبراطورية .

وكان ولسون صريحا إن طالب إما أن ترسل بريطانيا فرقا عديدة إلى روسيا وهو أمر ربما يكون صعبا في نفس الأسبوع ، حيث أن أعظم حمام دم في تاريخ العالم كان

قد انتهى وولى ، وإما أن تبذل بريطانيا كل ماتستطيع فعله على أرض الواقع لمساعدة أصدقائنا عن القيام ببداية جديدة ثم الانسحاب .

ولقد تزعم ونستون تشرشل ، عشية تعيينه وزير دولة لشئون الحرب الصقور المناهضين لما أسماه « الهلاك » ويرفع رأيه قبل أسبوعين من ذلك اللورد روبرت سيسيل ، وكيل الوزارة لشئون البرلمان (وكيل وزارة الخارجية البريطانية لشئون البرلمان) الذى اقترح أن تتخذ الفرقة من روسيا مقراً وأن تكون بمثابة رأس الحربة للحرب الصليبية الغربية ضد البلشفية .

وكان المستر تشرشل يقول : إن روسيا سرعان ما صارت حيوانا بربريا على أيدي البلاشفة ، فهم قوم أسسوا بنيانهم على المجازر والدماء والاعتقالات وهكذا فإن الحضارة تتعرض للفناء تدريجياً فى مناطق كثيرة حول العالم .

وحدث مجلس الوزراء على كسر شوكتهم باستخدام جيش جرار مرووع من قوات التدخل متعددة الجنسيات لأنه مالم يتم ذلك ، فإن الحلفاء سوف ينتهى بهم المطاف فى مؤتمر السلام إلى الابتهاج بانتصار ليس له أساس ، وليس بانتصار فى شىء .

وعلى الرغم من أنه بحلول نهاية عام ١٨١٩ ، كان هناك ١٨٠٠٠٠٠ جندي أجنبى على أراضى روسيا والمناطق التى يسيطر عليها البلاشفة التى كانت لاتزال صغيرة ، غير أنه يؤيد المستر ونستون تشرشل أصدق الوزراء فى المجلس واعتبروا أن اقتراحاته عدوانية .

ولقد تزعم لويد جورج الإدانة لما أسماه « المشروع المجنون » الذى سوف يتسبب على حد قوله فى نشوب « ثورة فى بريطانيا » غير أن تشرشل كان صلفا عنيداً فى موقفه ، ولما سمع بأن رئيس الوزراء ينظر فى عقد مفاوضات مع النظام الجديد ، هرع مسرعاً إلى مقر رئاسة الوزراء البريطانية فى ١٠ داوننج ستريت وأخبر زعيمه بأنه « ليس من الحكمة إضفاء المشروعية على اللواط حيث ذلك يكافى الاعتراف بالبلاشفة ، وأدان فظائع لينين إدانة عنيفة وكذلك المذابح التى نصبها للأبرياء .. وجعل يصب جام غضبه على النظام الروسى الجديد ويصفه بأقذع الوصائف .

ولما كان السياسة قد افتترقت كلمتهم حينما اصطدموا بهذا المأزق ، فإنهم جعلوا يتبادلون كلمات الهراء والجدل ، وتقرر أن يتم إرسال بعض القوات البريطانية إلى « أرشانجيل » وإرسال جنود ومستشارين وإمدادات إلى الجنرال أنتون دينكين الذى

كان يقود الجيوش المناهضة للبلاشفة في الجنوب ، كما تقرر أن يتم تنصيب تجريدة عسكرية من الجنود لحراسة خط السكك الحديدية الذي يربط بين البحر الأسود وبحر قزوين .

وفي الأسابيع التالية تم إرسال ٤٠٠٠ (أربعة الاف) جندي بريطاني إلى أرشانجيل ، فصار العدد الاجمالي ٦٢٠٠ (في مقابل ٥٢٠٠ جندي أمريكي) ، فضلا عن زيادة اعدادها إلى ١٨٤٠٠ جندي ، وكان هذا الحل الوسط عرضة لتفسيرات عديدة مختلفة ، وفي الوقت الذي كانت فيه وزارة الخارجية تؤمن بأن بريطانيا يجب الا تتدخل في الشئون الداخلية لروسيا إلا أنها مع ذلك كانت تخشى من أن انسحاب القوات البريطانية سوف يؤدي إلى سوء الفهم ، وأما الآخرون فقد كانوا يعتقدون بأن هذا القرار ماهو إلا عبارة عنا التزام لتدمير البلاشفة .

وكان من بين الذين وصلوا إلى « ميرمانسك » في ١٩١٩ شاب اسمه « هاري كار » ، ويبلغ من العمر تسعة عشر عاماً ، والذي استطاع أن يشق طريق عودته إلى روسيا وإن وجد فرصة في الخدمة من صفوف الجيش ، وجندته وزارة الحربية كمترجم ، وتم إلحاقه على هيئة العاملين التابعة للجنرال « مارينارد » ، وفي غضون أيام سرعان ماتم تقديمه إلى قدس أقداس المؤتمرات والمكائد البريطانية .

وبعد ستة أسابيع من وصوله ، تعرف والده على القائد الجديد للبعثة التأديبية وهو الجنرال « إدموند إيرونسايد » ، واستطاع أن يضمن لابنه النقل إلى المقر الكائن في « أرشانجيل » والعودة إلى أفراد عائلته .

كان التراجمة أعضاء في قسم المخابرات الحربية واعتمدت أركان « إيرونساند » عليهم اعتماداً كبيراً أكثر من المعتاد وكذلك على الجواسيس ومتعهدي توريد وتقديم المعلومات لقسم العمليات الخاصة التنفيذية ، واستطاع المستر « كار » عن طريق سفرياته مع « إيرونساند » أن يتبوأ مكانته داخل مهنة المخابرات السرية .

وكانت روسيا حينذاك لاتزال تبدا على شفا حفرة التفكك ، وتم الإحاطة بالجيش الأحمر من ثلاث جهات وأعلنت أغلبية الأجناس غير الروسية من سيبيريا حتى البحر البلطي استقلالها .

وصدرت المزاعم من اكرانيا وكريميا وسكانهما من القوازقة وأهل جورجيا ، والأرمن ، والأذربيجانيين التي تطالب بالحق في إنشاء دولة خاصة بهم ، في حين أن

سكان ليتوانيا ولاتفيا وأستونيا قد أفادوا من معاهدة « بريست ليتومنسك » ومناشدة الغرب بالاعتراف بقومياتهم ، وهى المطلب التى سرعان ما أشبعتها لهم بريطانيا وأمريكا .

وتناثرت التقارير عن الفظائع والاهوال التى يرتكبها الشيوعيون وأوخم التهديدات بأسوأ العواقب التى ينتظر حدوثها من الزعماء الثوريين ، وشهد « كار » كيف أن نسيج وطنه الذى اختاره لنفسه يتفكك ، وأمن بتحذيرات المستر تشرشل ضد التهديد الشيوعى ، ومن هنا ارتبط مصيره بمصير المستر ونستون تشرشل .

وفى لندن ، تجاهل وزير الحربية الجديد مراوغات رئيس الوزراء وشن حروبه الصليبية لتدمير البلاشفة ، أما الميجور جنرال هـ . ح . هولمان ، قائد البعثة البريطانية إلى جيش « دينيكين » فقد تلقى توجيهات محددة من تشرشل بأن غرض التدخل هو تدمير الثورة ، وأصدر تشرشل أوامره بإرسال تعزيزات عسكرية فورية بحراً إلى « كريميا » لمساندة قوات « دينيكين » .

وبمجرد وصولهم ، أبحر سرب بحرى من البوارج والسفن تحت إمرة الأدميرال السير « والتر كوان » إلى البحر البلطى ، وفى مجلس الوزراء قال وزير الخارجية « آرثر بلفورد » على نحو حازم بأن الالتزام الأخلاقى لبريطانيا يمنع البلاد من التخلّى عن الروس الموالين لقضية الحلفاء وهم يقومون أيضاً حالياً بالقتال دفاعاً عن أرواحهم .

وقال آرثر بلفورد : لقد كنت أزالو الضغط على البحرية وقتاً من الزمن من أجل القيام باستعراض للقوة فى البحر البلطى من أجل تقوية وتعزيز سكان هذا الجزء من العالم ضد البلشفية .

وكانت أوامر الأدميرال « كوان » التى وضعت بريطانيا بالفعل فى حالة حرب مع روسيا ، استهدفت حصار الأسطول الروسى فى « كرونستاد » وفى أثناء مارسته لأعماله اعترض كوان « هجوماً بحرياً سوفيتياً » فى ميناء « تالينين » الواقع فى أستونيا والقوات الفنلندية أثناء تسللهم خلف خطوط البلاشفة ، وهبطت القوات البريطانية فى « لاتفيا » لتأمين استقلال الأمة .

كما قامت هذه القوات بحماية الجنرال السير « هيربرت جوف » وبعثته العسكرية التى تنتمى إلى جيوش الحلفاء فى فنلندا ، وكانت تستهدف تنظيم الروس البيض تحت

قيادة الجنرال « نينكولاى يو دينتش » الذين كانوا يخططون من أجل عبور الخليج إلى فنلندا أو أسر القديس بطرس .

وتلقى « جوف تعليمات قبيل مغادرته لندن بعدم التدخل في الشؤون الروسية ، غير أن هذه التعليمات تناقضت مع أوامر ونستون تشرشل وزير الحربية الذى طالب وهو أمام الخريطة الضخمة التى تبين جيوش الروس المتجهة صوب موسكو ، طالب الجنود بالاسراع فى تحقيق انتصارهم ، فكان أن اتبع « جوف » تعليمات وأوامر تشرشل غير أنه لى وصوله واجهته صعاب جمة ، حيث رفضت الحكومات الجديدة لجمهوريات البحر البلطى أن تساعد الحرب الصليبية للحلفاء ضد البلشفية ، خشيت ان تعرض للمخاطرة اعتراف لينين باستقلالهم وهو الأمر الذى اكتسبوه بعد عناء ، ولقد كان الجنرال هذا شأنه شأن معظم القياصرة كان رجعياً وأكثر استعداداً للتعاون مع الجيوش الألمانية التى يقودها النازيون المتزمتون الذين كانوا لايزالون يحتلون الدول الواقعة على البحر البلطى .

وفى شتاء عام ١٩١٩ ، تعرضت معركة روسيا إلى الوصول إلى طريق مسدود ، غير ان الاتجاهات السياسية كانت متشددة ، إذ كان أولئك القوم فى الكريملن على يقين من أن الحكومة البريطانية وجهاز المخابرات السرية البريطانى مصممين على إزالتهم بالقوة وكانت نظرة واقعية إذا ماتدبرنا الخطاب الذى أفضى به الأميرال « هول » إلى كبار معاونين العسكريين عشية تقاعده كمدبر للمخابرات البحرية حيث قال :

وأريد أن أحذركم ، لقد كانت المعركة صعبة ومريرة ويتعين علينا الآن مواجهة الخوف ، وعدواً لامثيل له فى الصرامة والشدة ، عدواً متوحشاً سوف تنتشر قوته الشريرة حول العالم أجمع ، إن هذا العدو هو روسيا السوفيتية .

أما تشرشل وخوفه المرضى من روسيا وقناعته بأن العمليات الخاصة إنما هى أسلوب من أساليب الحرب العسكرية والسياسية الملائمة لبريطانيا خاصة ، فقد شجع السير « مانسفيلد كامينيجز » على الخوض فى المخاطر من أجل احداث وفاة لينين .

وفى عام ١٩١٩ ، كان « بول ديوكس » أحد الذين حلوا محل « ريللى » فى روسيا ، وتسلسلوا إلى روسيا البلشفية عن طريق « ميرمانسك » فى عام ١٩١٨ كان تواقاً للهروب والفرار .

واستطاع « ديوكس » تهريب معلومات إلى لندن عبر هيلسنكى ، وكان متخفياً علي

طوال العشرة أشهر الماضين علي ذلك ، في زى جندي بالجيش الأحمر أو حتى عميل للـ « تشيكا » ، غير أن تخفي المستر « ديوكس » تعرض للهتك وصار هدفا للقناصة من جهاز مخابرات الـ « تشيكا » الذين حاولوا اصطياده .

وفي اثناء الأشهر التي كان فيها « كامينجز » يرسو في أحد الموانى الفنلندية قبالة قاعدة « كونستاد » البحرية اتصل الكابتن « اوجست اجار » على توربيد من سرب « كوان » وأغرق بنجاح الطراد الروسى « اوليغ » ، ابتهاجاً بشجاعته وإتقانه تنفيذ العملية شن « كوان » عملية مركبة من القاذفات البريطانية ، وأسطول صغير من الزوارق البحرية الساحلية ضد الأسطول الروسى في الميناء .

أما الخسائر الروسية فقد انحصرت في سفينتين حربيتين غرقتا ، وتدمير وتحطيم الغواصات واستمرار القوات الروسية على القيام بتمرد مسلح ضد البلاشفة ، مما أدى إلى حدوث المخاوف المتجددة في موسكو واكتساب امتداح تشرشل وإشادته بالانتصارات .

ولدى عودتهم المنفصلة إلى بريطانيا ، تم استقبال كل من « اجار » و « ديوكس » استقبال الأبطال ، واستقبل الملك جورج الخامس كلاً منهما ، وتناول « ديوكس » الغداء مع تشرشل وأنعم عليه فيما بعد برتبة فارس ، في حين أن « آجار » حصل على نيشان « صليب فيكتوريا » وهو وسام بريطانى لأبطال الحرب ، إلا أن انتصارهم لم يدم طويلاً حيث أن الثورة المضادة بدأت في صيف عام ١٩١٩ في الزوال .

وعانى « يودينتس » من سوء الإدارة المتفشى ونقصان العون البريطانى وانتهى هجومه القادم من فنلندا عن طريق التسلل خلال أحرش « بتروجراد » انتهى نهاية دموية وهزيمة نكراء ، وفي سيبيريا انتهى التقدم الزاحف للروس البيض جنوب موسكو ، على الرغم من المساندة الأمريكية واليابانية والتشيكية نهاية مأسوية ، كتب اللورد هاردينج في مضبطة وزارة الخارجية يصف هذه الهزيمة بأنها « مشروع غير ذى مصداقية على الإطلاق » وتواكب ذلك مع الانسحاب البريطانى والأمريكى لآخر قواتهم هناك ، وفي الجنوب فشل كذلك زحف جيش الجنرال « دينيكن » وتوقف فجأة ، وخارت قوى جيشه بسبب الفساد الضارب في صفوف قواته وتفشى الخلافات والمشكلات الداخلية ، وسرعان ما تراجع جيشه إلى الورا .

وفي الشمال تمردت قوات جيش « إيرونسايد » وانضم الكثير من الروس إلى

البلاشفة ، وتم تكليف المستر « كار » للقيام بالترجمة للجنة التي تولت التحقيق في اغتيال الضباط البريطانيين ، وصدر أمر الجنرال بالانسحاب يوم ٢٧ سبتمبر وانتهت جميع خطط الحلفاء للإطاحة بنظام البلاشفة نهاية مشينة ، وأنفقت بريطانيا ما يزيد عن اللازم في حروبها الصليبية ضد البلاشفة وباكثر مما فعل سائر الحلفاء مجتمعين .

وهكذا فإن الفضل في ضمانته استقلال دول البحر البلطى وفنلندا إلى لويد جورج ، فضلاً عن فضله في إيجاد الفرصة المناسبة لاستقلال القوميات الروسية . أما ونستون تشرشل فقد كانت فلسفته هي أن الدول الكبرى في أوروبا سوف تندم بسبب فشلها في سحق الهلاك البلشفي في مركزه وقبيل نموه نمواً ضخماً .

وكان كل من ضباط وزارة الخارجية البريطانية والجنرالات الذين عادوا من روسيا متفقين على أن الوحشية والاستبداد والشمولية التي اتصف بها ملامح الجنرالات الروس البيض الذين حاربوهم « لم تكن تختلف عن البلاشفة في شيء » .

وفي خريف عام ١٩٢٠ ، سقط ١٥٠,٠٠٠ روسي أبيض ، هم بقايا جيش « دينيكين » سقطوا فريسة للأمراض والفوضى ، وتم إجلاؤهم بمساعدة البريطانيين إلى شبه جزيرة « غاليبولى » .

وسرعان ماتفرقوا في شتى البلاد وأنحاء الأرض ، حيث صاروا مطلباً لأجهزة المخابرات الغربية ليصبحوا عملاء في المعركة المستمرة من أجل تقويض النظام الشيوعى الحاكم .

وكان من بين هؤلاء البريطانيين الذين تم إجلاؤهم مع جيش « ايرونسايد » المستر « كار » وعائلته . وكان المستر « كار » يشترك مع آلاف المعجبين بالشعب الروسى ، في أنه تعرض للتجريح والأذى النفسى بسبب الفوضى الضاربة التي تسببت فيها الثورة الحمراء ، إذ كانت شخصيته تتصف بالمحافظة وشدة الحساسية .

وبمرور الوقت ، دمر جيش « إيرونسايد » عتاده ومعداته وألقى مهمته وتخلى عن أهدافه ، أما المستر « كار » فقد كان قد استقر على خوفه البالغ ومقته واشمئزازه من حمامات الدم والفوضى التي تسببها البلاشفة .

وكان « كار » يضمراً فضلاً عن ذلك الشعور بالظلم الفادح في داخلات نفسه ، ذلك

أن جميع مدخرات عائلته المودعة في أحد البنوك الروسية تعرضت للضياع ، أما أبوه فقد تعرض للبطالة والفقر .

وكان طبيعياً أن ينجذب « كار » إلى السير في مسار من شأنه أن يوفر له فرصة تسوية الحسابات والهروب من البطالة . وجعل يتعلم الكتابة على الآلة الكاتبة والاختزال ، وهي أمور تدل على ذكائه وقدراته . وبدأت الفرص أمام طموحاته محدودة حتى تقابل والده مصادفة في أحد النوادي مع « جورج ويسكيمن » نائب القنصل البريطاني السابق في « أرشانجيل » . وتساءل « ويسكيمن » عن عمل الشاب « كار » واقترح أن يصبح مترجماً في القنصلية البريطانية في « هلسنكي » .

وتم استدعاء « كار » لمقابلة في « تشارنج كروس » أحد الحوانيت وتقابل هناك مع « ريل لي ماي » الذي قدمه إلى القائد إرنست بوليس . وتركزت محادثتهم في مؤخرة الحانوت حول الخلفية التي يتمتع بها واللغات التي يتقنها . وغادر « كار » المكان بدون أية فكرة أو ظن في أن « بوليس » كان ممثلاً لجهاز المخابرات البريطانية السرية في روسيا أثناء الحرب .

وظل على جهله حتى عند مقابلته مع « مانسفيلد كامينج » في شقة المستر « سي » في « وايت هول كورت » بالقرب من وزارة الحربية . ولم يثن العرض المالى البخس « كار » عن رغبته في العمل ، إذ عرض عليه رئيس جهاز المخابرات البريطانية السرية دخلاً محدوداً قوامه ٥٠٠ جنيه استرليني سنوياً ترتفع إلى ٧٥٠ جنيهاً فيما بعد .. ويقول « كار » بعد السابعة والستين إنه بعد بضعة أيام من عمله في ترجمة تقارير العملاء خلف غرفة الرقابة على جوازات السفر في هلسنكي ، تعرف على الطبيعة الحقيقية لواجبات عمله .

وكان « كار » شأنه شأن معظم ضباط المخابرات السرية البريطانية يعتبر أن المكاسب المادية غير ضرورية . وكان يستحثهم الدافع والشعور بواجب الخدمة التي قد تجعل منهم أسطورة في حياتهم المعاشة .

وبعد أشهر قلائل من تعيينه ، تكشف عدم استقرار حالته العملية حينما شهد المستر « كامينج » يتصرف تصرفات شديدة القسوة ضد المستر « ثيرنون كيل » ، رئيس جهاز الـ « ام اي ه » أو (جهاز المخابرات العسكرية للأمن القومي البريطاني) . فكان

ذلك رمزاً لكفاح جهاز المخابرات السرية البريطانية للبقاء في ظل ميزانية تم تخفيضها إلى النصف ضغطاً للإنفاق .

ولما أصبح « ريللى » ، و « بروس لوكهارت » و « ديوكس » خارج روسيا ، يجمعون المعلومات الاستخبارية حول البلاشفة ، تحولت المهام التجسسية إلى أمر بالغ الخطورة والهلاك .

فقد كان الأجانب تحت الرقابة المستديمة وحتى فرص الدبلوماسيين في العمل الاستخباري صارت مقيدة في أعقاب إغلاق القنصليات في « لينجراد » و « أوديسا » من جانب الحكومة السوفيتية . ولهذا السبب ، سعى « كامينج » إلى الحصول على حلفاء مدينة « أوديسا » المطلة على البحر الأسود ، لإقامة القواعد للعملاء .

وكان وضع هؤلاء الموظفين يعتمد على الاتفاق مع وزارة الخارجية التي كان كبار مسئولياتها معادين أشد العدا ل سوء استخدام الغطاء الدبلوماسي . وذهبوا إلى أن الجواسيس سوف يؤثرون على سلامة العمل الذي يقوم به الدبلوماسيون وسوف يضر بهم أشد الضرر .

فكان الحل هو إقامة مكتب رقابة على جوازات السفر داخل وزارة الخارجية يتمتع موظفوه ليس بالحالة أو الوضع الدبلوماسي ولا بالمنافع التي تدفعها الحكومة للدبلوماسيين من رواتب عالية أو معاشات . ويتم إلحاق أعضاء جهاز المخابرات السرية البريطانية إلى هيئة خاصة نظام نظم مختلفة ، كما تقرر أن يتم الدفع لهم نقداً لتجنب أية تحريات حول طبيعة عملهم ، كما تقرر أن يتسامح معهم السفير طالما أنهم قصروا أنشطتهم على نحو خاص على الحوادث الجارية في الدول المجاورة .

وعلى الرغم من أن منافسات « وايت هول » لم تؤثر على المستر « كار » إلا أنه كانت ضمن الضباط المجندين في عام ١٩١٩ - ١٩٢٠ دفعة من الشباب المتفتحين الذين شبوا عن الطوق في روسيا وامتلكوا ناحية الفهم لتلك الدولة وشعبها الذين وثقوا في مدى تقدمى المهني . وصاروا معتنقين وجهة نظر تشرشل في أن الامبراطورية البريطانية صارت عرضة للهلاك مالم يتم هزيمة الشيوعية . وكان حلفاؤهم الوحيدون هم الروس البيض ضد البلاشفة .

وكان مدين أكثر هؤلاء المهاجرين أهمية أولئك الذين وافق كاتنح عن تمويلهم ، بناء على نصيحة « ريللى » وصار المستر « بوريس سافينكوف » يقودهم ، وهو سفاح

معادى للشيوعية متشدد بطبيعته ومتآمر محترف ، ولقد وصفه تشرشل بكلمات مؤثرة عقب اجتماع به رتبه المستر « ريللى » فى عام ١٩٢٢ .

ووصفه قائلاً : (وفى هذه الحالة ، ليس ثمة شىء أو إنسان يخشاه أو يخافه ..) .
أما المستر « ريللى » فيقول : « إن سافينكوف كان رجلاً ضمن اثنين أو ثلاثة لم يستطع البلاشفة النوم ملء جفونهم طوال حياته . وأرسل سافينكوف بالعملاء عبر الحدود الفنلندية والبولندية إلى داخل روسيا من أجل تنظيم الخلايا الاستخبارية ثم العودة مزودين بالمعلومات .

أما القائد « بوليس » فقد كان ضابط اتصالات المخابرات السرية البريطانية وعمل مع « سافينكوف » وكان « بوليس » هذا هو الذى قام بتجنيد « كار » أول مرة وفى أعقاب كارثة ١٩٢٠ ، قسم « بوليس » هذا هو الذى قام بتجنيد « كار » أول مرة . وفى أعقاب كارثة ١٩٢٠ ، قسم « بوليس » وقته بين « تالين » و « باريس » من أجل الحفاظ على الصلات مع الروس البيض ، ولكن فى عام ١٩٢١ ، تم نقله إلى هلسنكى حيث إن أهمية فنلندا أمة مستقلة منذ عام ١٩١٧ ، حينما استفادت الميزة من ثورة أكتوبر ووضعت الخاتمة لقرن من الاحتلال الروسى . وتسبب إعلان الاستقلال الفنلندى فى إحداث حرب أهلية قصيرة ولكنها قاسية وانتهت بالهزيمة لأنصار البلاشفة على أيدي المارشال « كارفون ماينوهايم » الذى سرعان ما دفع بأعداء البلاشفة إلى استخدام الدولة من أجل شن غارات ضد الثوار .

وبرغم التخفيض الحادث فى ميزانية المخابرات السرية البريطانية ، إلا أن محطة هلسنكى قد حظيت بمخصصات قدرها ٢٠,٠٠٠ جنيه استرلينى سنوياً من أجل العمليات ، فضلاً عن تعيين مساعد لضابط مراقبة جوازات السفر وهو المستر هارى كار .

وفى مارس ١٩٢١ ، كان المستر كار فى صميم وقلب المحاولات البريطانية للإطاحة بالبلاشفة وأوشك على تبوء أعلى المراكز التى يهفو إليها قلب كل ضابط مخابرات .

وتزامن تعيين المستر كار مع توقيع اتفاقية تجارة بين الحكومتين البريطانية والسوفيتية ، وكانت بذلك أول اعتراف بريطانى رسمى بدولة البلاشفة . وعلى الرغم من أن الاتفاقية احتوت على تعهد من جانب الحكومتين بالتوقف عن ممارسة أنشطة الاستخبارات المعادية ، إلا أن هذا النص وذلك البند تم تجاهله .

ونجد أن كلاً من وزارة الحربية والادmirالية (البحرية) قد وصفتا الهجوم الروسى بأنه أكثر التهديدات خطورة ضد بريطانيا ، وبأنه ربما كان أكثر الأسباب وجاهة في اندلاع الحرب في المستقبل القريب حيث سوف تتورط الإمبراطورية البريطانية .

وفي هذه الظروف كانت المخابرات البريطانية السرية غير مستعدة للتقيد بالاتفاق إلا أن الجهاز الاستخبارى تعرض للشلل والتعويق بسبب نقصان المعلومات والافتضاح الشديد لعمليتين قامت بهما المخابرات البريطانية ضد السوفيت .

وبعد فترة وجيزة من توقيع الدول المطلية على البحر البلطى على معاهدات السلام مع ممثل لينين عام ١٩٢٠ والتي تم الاعتراف بمقتضاها بسيادتها على أراضيها ، حصلت المخابرات السرية البريطانية على تسهيلات في « ريجا » غير بعيد من السفارة الضخمة الواقعة في « رينيس بوليفارد » .

وفي جو قوامه الامن النسبى استطاع عدد كبير وأجيال كثيرة من ضباط المراقبة على جوازات السفر والملحقون العسكريون ، استطاع كل هؤلاء مع لاجئى الروس البيض ، وعاونهم في ذلك خير العون البوليس والعسكرية التابعة لجمهورية لاتفيا ، ضد الشيوعيين عبر الحدود .

وأضحت السفارة البريطانية مقراً معروفاً لجمع المعلومات وقاعدة للضباط البريطانيين لتعلم اللغة الروسية . ويقول « لينسى نيكولون » : إن المدينة كانت بمثابة المرتع الخصب للتأمر والجريمة ... وملاذ عشرات العملاء منعدمى الضمير الذين ينتمون إلى كافة القوميات والذين بمقدورهم بيع خدماتهم ومعلوماتهم الاستخبارية لمن يدفع المال الأكثر بدون أدنى ندم أو وخز ضمير ، ثم إعادة بيعها إلى الطرف المعادى وبسعر أعلى .

وتم تأسيس شبكة مماثلة في « تالين » وقام بذلك الكولونيل روبرت ميكليجون ، وهو ضابط سابق في الفيلىق الملكى البريطانى ، وكان قد خدم في جيش التدخل وفي عام ١٩٢١ ، جند ميكليجون رجلاً المانيا كعميل وكان يدعى « جريجورى » ، زعم أنه يستطيع الاطلاع على الأكواد السرية في السفارة السوفيتية ، وكانت آنذاك تحت سيطرة وإمرة - كيم ليتفينوف .

أرسل ميكليجون حوالى ٢٠٠ برقية من أكواد ليتفينوف إلى لندن اتضح منها أنه

على النقيض من نصوص وبنود اتفاقية التجارة ، كان السوفيت يمولون « سين فين » في أيرلندا ومثري الشغب المعادين للإمبريالية في الهند . وسرعان ما تأكدت الحكومة البريطانية من صحة المعلومات عن طريق مشاهدتها للقلاقل التي وقعت هناك وأرادت الحكومة البريطانية التثبت قبل أن ترسل الحكومة باحتجاج ، فوجدت أن المعلومات والبرقيات التي قدمها ميكليجون مزورة .

وأدى هذا الاكتشاف إلى تكثيف الضغط على المستر « كامينج » لإنتاج المزيد من المعلومات الاستخباراتية مقتنعة أنها لاتزال موجودة لإثبات أن السوفيت كانوا في حقيقة الأمر ينظمون ويملون عدداً متزايداً من المشاغبين ومثري القلاقل المعادين للبريطانيين ، وبخاصة في الهند .

وتلقى كامينج من عميل المخابرات السرية البريطانية في برلين نسخة من وثيقة سرقت من مكتب الممثل السوفيتي أكدت على وجود مؤامرة سوفيتية لزعزعة استقرار الحكم البريطاني في شبه القارة الهندية . وعلى الفور ، بناء على أوامر وزارة الخارجية البريطانية قدم الممثل البريطاني في موسكو الدليل المدين ووثيقة الإدانة وقدم احتجاجاً شديداً للمسئولين السوفيت .

وقدم السوفيت الرد بسرعة مساوية وبصورة مؤثرة . وأثبت الروس أن الوثيقة ما هي إلا أوراق الدعاية الروسية البيضاء الموزعة في ألمانيا . وفي تلك اللحظة ذاتها ، قدم مصدر قوى جديد نفسه وأعرب عن استعداده لتقديم المعلومات لجهاز المخابرات السرية البريطانية . ووصل « الكسندر ياكوشيف » ، وهو مهندس رى وصل إلى « تالين » قادماً من موسكو . وكان معروفاً للروس البيض كعنصر تنفيذي لمجموعة سرية تعمل من تحت الأرض وتنادى بعودة الحكم القيصرى إلى البلاد .

وسافر من « تالين » إلى « برلين » و « باريس » واقترب بحذر من زعماء مهاجرى الروس البيض وشرح لهم كيف أن الاساس قد أقيم عبر الحدود في روسيا من أجل إنشاء منظمة مناهضة للشيوعية لتدمير « قوى الظلم » .

وأوضح أن « هيئة الائتمان المحلى في موسكو » ماهى إلا بنك جديد ثم أسسه الشيوعيون للأعمال الدولية ، والأمر غير معروف للبلاشفة هو أن الملكين من أنصار القياصرة الذين كانوا يستخدمون الاسم المستعار « ترست » كانوا بالفعل قد اخترقوا

البنك . وبرغم أن بعض الزعماء المهاجرين كانوا شكاكين وارتابوا في « ياكوشنب » إلا أن الآخرين شجعتهم تقاريره الخاصة بالمقاومة .

وتزايد إعجابهم بالعمل الجديد حيثما شاهدوا السر الذي يستطيع به السفر عبر الحدود جالباً المعلومات والرسائل بأن البلشفية تكافح من أجل البقاء . ولما تواصل التدفق المعلوماتي ، تحقق المهاجرون أيضاً من قضية استغلال هذا الرجل الجديد من أجل إنشاء وإقامة مركز سياسي أقوى .

وتم تقديم إنتاج الشبكة إلى جهاز المخابرات البريطانية السرية ووكالات المخابرات الغربية الأخرى . لقد كانت لحظة حظ وسعادة .

أما وقد تعرضت المصادر الخاصة بجهاز المخابرات السرية البريطانية ، فقد صار « كامينج » منجذباً صوب الفرص المغرية التي عرضها « ياكوشيف » . وكان فريق يطالب بتوخى الحذر ، وكانوا على يقين من أن أجهزة الاستخبارات البولندية والفرنسية والفنلندية جميعها قبلت مصداقية « ترست » وصارت « ترست » هذه المصدر الخصوصي للغرب لتزويده بالمعلومات الاستخبارية الموثوق فيها حول الأحوال داخل روسيا ، وهو أمر طرحه الروس البيض وأكده « بويس » .

على أية حال فإن « ياكوشيف » الذي كان مجهولاً لدى أهل المنفى ، تم إلقاء القبض عليه ، قبل أشهر من وصوله إلى « تالينين » وزجوا به في السجن في « لوبيانكا » ولم يتم إطلاق سراحه إلا بعد أن يقنع « دزرزنيسكى » بمهارة أن يقنع المهندس ليصبح عميلاً من البلاشفة . وكان « دزرزنيسكى » يسعى إلى اختراق المنظمات الروسية البيضاء التي كانت تتآمر للقيام بثورة مضادة في الغرب .

وبالنسبة إلى المكتب السياسي السوفيتي ، بدأ مليون روسي في المنفى ، وبخاصة البقايا المنظمة التابعة لجيش « دينيكن » تمثل تهديداً محتملاً . وكانت أسباب وجيهة تثير مخاوف القيصر من أن هؤلاء القوم الذين يعيشون فيما وراء الحدود يدبرون عمليات التخريب وإثارة الفوضى داخل روسيا . كتب « ف . ترياندافيلوف » ، أحد كبار مسئولى جهاز مخابرات الـ « تشيكا » عام ١٩٢٢ يقول : « إننا بصدد مراقبة روسيا الثانية هذه » . وكانت تكتيكات الـ « تشيكا » مماثلة لتلك التكتيكات الخاصة بجهاز مخابرات « أكرانا » الذي كان يعمل في عهد القيصر . والشخص الذي أسس البنك ومؤسسة « ترست » هو « فيليكي دزرزنيسكى » من أجل اختراق جماعات المنفى .

كان الهدف الرئيسي للمستتر « ياكوشيف » هو « بوريس سافينكوف » الذي كان قد دعم « البارون بيوتر رانجيل » ، وانضوى تحت لوائها ١٥,٠٠٠ - ٢٠,٠٠٠ رجل ، وقادها الجنرال « اليكسندر كوتيبوف » . وأخذ « لويتيبوف » يدرّب المهاجرين صغار السن للعمل العسكري ضد الشيوعيين والأنشطة السرية داخل روسيا . وفي أثناء ١٩٢٣ ، تقابل « ياكوشيف » بصورة دورية مع « كويتيبوف » ، وأقنع المهاجر بأهمية مصادر « ترست » وطور تدريجياً علاقات جيدة ووطيدة مع بوريس سافينكوف . وبحلول عام ١٩٢٤ ، حينما أصبح الـ « ترست » المصدر الرئيسي لجهاز المخابرات السرية البريطانية لاستقصاء المعلومات ، تلقى « سافينكوف » سلسلة من الرسائل نتيجة لاتصالاته داخل روسيا قالت بأن الأحوال صارت مثالية للانقلاب المضاد ، وأن الـ « ترست » استطاع حشد شبكة مسلحة وذات نفوذ ضد البلاشفة .

وقبل « سافينكوف » الدعوة بعد اجتماعه مع « بويس » وارتحل مع « ياكوشيف » إلى الحدود السوفيتية . وبعد العبور ، سرعان ما تم إلقاء القبض عليه . كما وصلت أخبار القبض عليه واعترافاته بالتجسس أمام محكمة سورية إلى الغرب سريعاً . ونظمت السلطات المقابلات الصحفية معه للصحفيين القادمين من أوروبا الغربية إلا أن ظروف القبض عليه لم يتم الكشف عنها . وبعد ستة أشهر من محاكمته ، أعلن السوفيت عن انتحاره في سجن « لوبيانكا » .

عصفت الأخبار السيئة بـ « سيدنى ريللى » إذ كان قد باع بنجاح لجهاز المخابرات البريطانية في العام الماضى رسالة كتبها على ما قيل « جريجورى زينوفيف » ، إلى أعضاء الحزب للإعداد من أجل الثورة ضد الحكومة البريطانية . وتأكد المستر كامينج من صدق وحقيقة الرسالة ، وكذلك وزارة الخارجية ورئيس الوزراء الذى ينتمى إلى حزب العمل البريطانى ، ثم تم نشر الرسالة في صحيفة الـ « ديلى ميل » مما أدى إلى اكتساح حزب المحافظين الانتخابات وصلوا إلى الحكم اعتماداً على العداء المستحكم ضد الشيوعيين .

وفي حقيقة الأمر ، كان الخطاب مزوراً وأكد القناعة السوفيتية بأن المخابرات السرية البريطانية وراء هذه الخيانة . وسحقت نشاطات « ريللى » حينما عرف بالقبض على سافينكوف واعترافاته . وشن بعد ذلك كبير رجال الجاسوسية « ريللى » على مدار

سبعة أعوام ، شن حرباً ضارية وخطيرة ويبدو أنها كانت غير ذات جدوى ضد الشيوعيين ، مما أدى إلى استنفاد واستنزاف الثروة استنزافاً مخزياً .

وفي أوائل عام ١٩٢٥ كتب « بوليس » يقترح أن يضطلع بعملية أخرى داخل روسيا ، فكان « ريللي » آنذاك متردداً على نحو غير محدد فلم يرد . وأخيراً سافر إلى فرنسا في أعقاب العديد من التوسلات والتضرعات لمقابلة « بوليس » .

وكشف رجال المخابرات السرية البريطانية بعضاً من المعلومات التي شكلت مصدراً للتعذيب ، وكانت تستحق مع ذلك التحري بشأنها ومصداقيتها وكانت تتعلق بوجود عداء دموي في الكريملين عشية وفاة « لينين » .

وعلى الرغم من أسر « سافينكوف » إلا أن « بوليس » أخبر « ريللي » بقناعته أن « ترست » بمثابة « الحركة ذات القوة والنفوذ الهائل داخل روسيا » وكان يريد التيقن إذا كانت المنظمة لاتزال موضع اعتماد ام لا . وحث « بوليس » المستر « ريللي » للقيام باتصالاته المبدئية مع ممثلي « ترست » في هيلسنكي مستخدماً المساعدات والجهود الطبية التي قام بها مساعده الجديد ، السيد « هارى كار » .

وفي ٢١ سبتمبر ١٩٢٥ ، وصل « ريللي » إلى هيلسنكي واجتمع مع « احد الشباب الأذكياء جداً الغيورين على مصلحة العمل » ، وهو الذى قدمه إلى « نيكولاى بوناكوف » ممثلاً عن « الترست » .

وبعد ذلك بأيام ، تبذدت أية شكوك كان من المحتمل أن تساور المستر « ريللي » . وكتب ذلك الجاسوس رسالة إلى زوجته قال فيها : « ثمة شىء جديد للغاية وفي منتهى القوة ويستحق التنبه إليه يحدث الآن في روسيا ، واختتم الرسالة قائلاً : إننى بصدد المغادرة اليوم ، إذ ليس هناك أدنى خطر على الإطلاق .

وبعد توديعه المستر « كار » سافر إلى الحدود السوفيتية لمقابلة مجموعة قدموا أنفسهم على أنهم روس بيض . ووصفت الجماعة التي كان يتزعمها « ياكوشيف » مدى القوة والنجاح الذى وصلت إليه « ترست » واقترحت سفر المستر « ريللي » لمدة ثلاثة أيام إلى موسكو لمناقشة الخطط مع زعماء « ترست » .

واختفى « ريللي » الذى كان يصاحبه بعض المرشدين ، عبر نهر « سيستوى » إلى داخل روسيا . وبعد ذلك بأسبوع ، كتبت صحيفة « إزفيستيا » تقاريراً صحفية عن اعتراض وموت ثلاثة عملاء على الحدود الروسية الفنلندية . وبعد ذلك بثلاثة أشهر ،

أعلنت صحيفة « التايمز » عن وفاة المستر « ريللى » .

ولقد كانت وفاة « ريللى » بالنسبة إلى المستر « سى » ، وجهاز المخابرات السرية البريطانية بمثابة المفجعة للعصر الذهبى للاستخبارات ، والأسوأ من ذلك أنه أفضى إلى تشويه سمعتهم وضياع مصداقيتهم في كل من وزارتى الخارجية والحربية .

وبناء على الافتراض بان الـ « تشيكا » أو « او جى بى يو » (وهو الاسم الجديد للمخابرات الروسية الذى حل محل جهاز استخبارات « تشيكا ») عرفت من « ريللى » معلومات كافية من شأنها إفساد جميع عمليات المخابرات البريطانية في روسيا ، ثم نقل المستر « بوليس » بسرعة إلى « تالينين » ثم تقاعد بدون توجيه الشكر له . أما خليفته في « هيلسنكى » فقد عينه مستر « سى » الجديد .

وكان نجم المستر « كار » قد ارتفع في عالم الجاسوسية عن طريق عمليات الغش التى كان يقوم بها ضد السوفيت . واستطاع السوفيت عن طريق جهاز مخابراتهم الجديد « أو - جى - بى - يو » أن يخرقوا عمليات جهاز المخابرات السرية البريطانية ليس فحسب داخل روسيا ولكن أيضاً في جمهوريات البحر البلطى وفنلندا وفرنسا .

أما ثواب « دزرزنسكى » فقد تمثل في المزيد من الاستخبارات ، ليس هذا فحسب ، بل وأيضاً المال . ذلك أن كثيراً من المال المدفوع الذى قدمته أجهزة المخابرات الغربية إلى « ترست » تم استخدامه في تمويل الكثير من عمليات جهاز « أو - جى - بى - يو » الأخرى وكان الدرس القاسى الذى تعلمه « كار » هو أنه لم يضع ثقته في أى مخلوق .

واستثار السوفيت الخوف ، وكانت أجهزة مخابراتهم في حاجة إلى اكتساب الاحترام . وبالنسبة إلى « كار » كان الأمر يتطلب السرية ، كما أن ولعه بالسرية أدى إلى التسبب في سلسلة من أعمال السخرية منه ، ذلك أن رفاقه وزملاءه جعلوا يسخرون من هذا التصرف . لكن « كار » ظل منيعاً حصيناً ضد بذاءاتهم .

كان الاعتماد على المهاجرين يكلف الكثير ، وأصبح المهاجرون ومن بعدهم جهاز المخابرات السرية البريطانية مهتمين وشفوفين إلى الاستماع إلى معلومات تؤكد رغباتهم ونزعاتهم ، ولكنهم جميعاً سقطوا ضحايا حمقى لخداع الذات . وضاع الأمر وكذلك الدروس النافعة التى كان يتعين أن يفيدوا منها .

ولحقت السمعة السيئة جهاز المخابرات السرية البريطانية وقيل : إنه الهواة متفك

ومشوش ، يفتقد إلى المقدرة على تحليل المعلومات الاستخباراتية التي يتلقاها أو تحليل صدقها أو عدم تلاعب وخداع مصادرها . وهكذا فقد وقع على الجيل الجديد مهمة بناء الشبكات الجديدة بناءً كاملاً ليكون خالياً من أية صلات بالمصادر المطعون فيها . وبذلك لم يكن يساور المستر « كار » الشك شأنه في ذلك شأن ضباط المخابرات السرية البريطانية حول أهميتهم وخطورة شأنهم .

وكان بين أفراد خلية ضباط جهاز المخابرات البريطانية السرية المجندين مع المستر « كار » ، المستر « هارولد » والمستر « ارش جيبسون » وكلاهما صاراً صديقين حميمين له . وأصبح « هارولد » رئيساً لمحطة في بخاريسست وبراغ وعهد له بتشغيل وإدارة أكثر الجواسيس نجاحاً داخل الاتحاد السوفيتي إبان زمن الحرب .

وعمل المستر « أرشي » في المقر الرئيسي لجهاز الاستخبارات البريطانية السرية أولاً في « وايتهاول كورت » ثم بعد ذلك حينما تم تحويله إلى « برودواي » في سانت جيمس . أما المجموعة الثانية فهم الأخوة « سيليم » الذين امتلكوا مصنعاً للجنة في استونيا ، على الحدود مع روسيا وفنلندا ، كما عمل في « ريجا » .

والثالث هو القائد « ويلفريد دندريدل » المولود عام ١٨٩٩ ، الذي اتخذ أولاً من القسطنطينية مقراً له ثم باريس واستطاع بالتعاون مع أجهزة المخابرات الغربية أن يقوم بأعمال كثيرة . وغذى من هذه المجموعة « كويكس سينكلير » الذي عرف عبر لندن بأنه رجل « معادى للبلاد عداء هائلاً » .

وفي كلمة القيت في ٦ مايو ١٩٢٥ ، حدد ستالين بصراحة بريطانيا على أنها الدولة المثيرة والمتسببة في التدخل ، وأن امبراطوريتها لاتزال تحيط برربع أراضي الكرة الأرضية ، وأنها العدو الرئيسي والأول لروسيا . غير أن « سنكلير » عانى من الإعاقة . وعلى الرغم من أن رجاله الذين جندهم كانوا مخلصين ، إلا أن جهاز المخابرات البريطانية ، لم يستطع التفوق على أجهزة الاستخبارات الروسية العملاقة .

وفي عام ١٩٢٧ ، انفجرت أزمة جديدة في العلاقات الانجليزية السوفيتية وكانت القضية هي تجديد معاهدة التجارة ، وهي المعاهدة التي طالب معظم الساسة المحافظين بإلغائها . وكشفت المناقشات البرلمانية عن تركة ثقيلة من الشكوك والريبة . وحدث عشية العثور على خطاب « زينوفيفا » الذي كانت مصداقيته لم تفقد بعد ، طالب الساسة البريطانيون بإيقاف العلاقات الثنائية عقاباً على التخريب الشيوعي .

وفي الكريملن اقتنع ستالين ومستشاروه من أن التوتر الناشب من الممكن أن يصبح مقدمة فحسب للتدخل الجديد أو حتى الحرب . وتضاعفت مصادر القلق كما حدث في الأشهر الأولى من ذلك العام ، حيث شهد زيادة مفاجئة في الأنشطة التي خططتها أجهزة الاستخبارات البريطانية .

وفي مايو ١٩٢٧ ، شنت « سكوتلاند يارد » غارة ضد « اركوس هاوس » في لندن ، وهو مقر الوفد التجارى السوفيتى الذى حامت حوله الشكوك بأنه مركز التخريب الذى تنفذه أجهزة « او - جى - بى - يو » للاستخبارات السوفيتية . وفي وقت لاحق ، زعم المسئولون الروس أنهم رعايا أعمال البحث والتحرى والاستقصاء الشخصية المهنية .

وردت الحكومة البريطانية بأن عمليات الاستخبارات الروسية كشفت عن الدولة المدينة وكيف أن الـ « كومينتين » يتأمر لإحداث تشويه مستديم عبر أرجاء الامبراطورية . وبعد ذلك بتسعة عشر يوماً ، قطعت الحكومة البريطانية رسمياً العلاقات ، وهو أمر شجع المخابرات السرية البريطانية على العودة إلى شن هجماتها وتنفيذ عملياتها .

وحدث في نفس ذلك الأسبوع أن عبرت مجموعة من ستة رجال ونساء ، هم أعضاء فريق المكافحة التابع للمستر « كويتوف » عبرت بمساعدة المستر « كار » الحدود من فنلندا إلى روسيا . وانقسم الفريق الذى كان مسلحاً ومزوداً بالمتفجرات إلى مجموعتين شقتا طريقهما صوب موسكو وليننجراد . وكانت نواياهم هى قتل المسئولين العاملين في جهاز المخابرات الروسية المعروفة باسم « او - جى - بى - يو » بنفس روح التفاءول التى كانت محركاً للعمليات السابقة التى قامت بها أجهزة المخابرات السرية للدولة البريطانية .

وفي أعقاب زرع القنابل التى راح ضحيتها الكثير من أرواح العاملين في الاستخبارات السوفيتية فضلاً عن المدنيين الأبرياء ، لقي ثلاثة عملاء مصرعهم في كمائن غير أن البقية عادت .

وبعد ذلك بفترة وجيزة ، تم اغتيال السفير السوفيتى في بولندا « بافل فويكوف » وهو أحد البلاشفة الذين تردد تورطهم في اغتيال القيصر وعائلته ، وذلك أثناء تجوله في أحد شوارع وارسو . واقتنعت مخابرات « او - جى - بى - يو » بأن البريطانيين هم الذين

كانوا يدبرون مؤامرة أخرى معادية للسوفيت وشنوا مكيدة لاسر ما أسموه أفراد الطابور الخامس .

وقالت الصحف السوفيتية أن حوالى مائتى عميل بريطانى وبولندى تم القبض عليهم وأن فريق أجهزة المخابرات البريطانية كان يتفقد المنشآت العسكرية في دول البحر البلطى توقعاً لحدوث انفجار ما . وفي الأسابيع الأولى من يونيو ١٩٢٧ ، بدت شكوك الكريملن لها ما يبررها للمرة الثانية .

وأرسل « كمويبوف » أربعة فرق أخرى من رجال حروب العصابات ، تشجعاً بالنجاحات الأولى المتحققة ، أرسل بهم عبر الحدود الفنلندية لاغتيال المسئولين الشيوعيين . وبحلول شهر أغسطس ، كان معظم المغيرين (أفراد الغارة) قد تعرضوا إما للقتل أو الأسر . وأكدت السلطات السوفيتية في موسكو – التى تولت سلسلة المحاكمات – أن هؤلاء الرجال تلقوا المساعدات من أجهزة الاستخبارات البريطانية والبولندية .

وقال نائب رئيس مخابرات الـ « او - جى - بى - يو » ، في أحد المؤتمرات الصحفية غير المعتادة . إن هذه المؤامرة وواضح أن ليس لها جذور داخل اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، وأضاف الرفيق « يوجودا » : « وإنما هى بمثابة تنفيذ لتلك المهمة التى تم تكليف المخابرات البريطانية بها وكذلك أنصار القياصرة في خارج روسيا » .

وكان صوت « يوجودا » بمثابة التقييم المعقول لتصرفات أعداء الشيوعية ولم يكن صوتاً يعبر عن جنون العظمة غير المتعقبة . وأقنع الكريملن الحكومة الفنلندية - في محاولة منه لإزالة التهديد – بطرد ممثلى القوات الأجنبية من هلسنكى ، وشن عملية اختراق ثانية اتخذت من « ال : ترست » كنموذج لها .

وتم اختطاف الجنرال « كويتبوف » بعد ذلك بعامين في باريس واختفى للأبد . أما خليفته الجنرال « يفجينى ميللر » فقد لقى نفس المصير بعد ذلك بعشرة أعوام ، إن اختطاف « كويتبوف » عرض جهاز المخابرات السرية البريطانية للمرة الثانية للفشل في الحصول على معلومات ذات جودة وقيمة داخل الكريملن والجيش الأحمر ، وهى المعلومات التى كانت الحكومة البريطانية تتوقع الحصول عليها .

ولقد حرضت السفارة البريطانية في « ريجا » جهاز الاستخبارات السرية

لجمهورية لاتفيا ، أن تقدم خدماتها على نحو فعال لأجهزة الاستخبارات البريطانية السرية .

وتلقى « جون لوراتن » السكرتير الأول تقارير دورية من كبار المسؤولين والقادة العسكريين ، إلا أن هذه التقارير في جملتها التي قدمت إلى الساسة الشغوفين في لندن فشلت في شرح نوايا ستالين . أما سبب الفشل فهو الفكرة البائسة القائلة بأن جمع الاستخبارات والمعلومات يعتمد ببساطة على الاقتراب من الهدف أو يعتمد في زمن الحرب على إرسال العملاء والزج بهم عبر الحدود .

ولما كان ليسلى نيكسون قد أرسل بمصادر مخابراتية بريطانية إلى « ريجا » بالقرب من روسيا ، فقد كان هذا أمر يبعث عن انتظار النتائج ، غير أن هذه المصادر لم تقدم سوى القليل عما يحدث من وقائع داخل الكريملن . وفي حقيقة الأمر ، على الرغم من أن نيكلسون قد سخر فيما بعد من هؤلاء العملاء ، إلا أنه ظل زبوناً مواظباً في تلقى عروضهم .

ولم يتغير سوى القليل أثناء السنوات العشر التالية . ففي عام ١٩٣٧ ، عبر السفير البريطاني في موسكو الذي كان قد منع المخابرات البريطانية السرية من تعيين ممثلاً لها في السفارة لأن هذا سيؤدي إلى الإضرار بمهمته ، عبر عن إحباطه لوزارة الخارجية البريطانية ، وقال حيث أن الروس لا يجرءون على زيارة السفارة ، فإنه لم يتلق « أية معلومات وصارت أحوال البلاد أمراً غامضاً للغاية » .

وفي أكتوبر ١٩٣٨ أبلغ السفير مرة ثانية أنه من المستحيل الحصول على أية بادرة مما يتم مناقشته داخل أسوار (الكريملن) . أما محطة المخابرات البريطانية السرية في « ريجا » فقد نجحت نجاحاً ضئيلاً في ذلك . وفي عام ١٩٣٨ ، انضم إلى نيكلسون مساعد جديد لضباط مراقبة جوازات السفر وهو « كينيث بينتون » الذي نجا بأعجوبة من القبض عليه من جانب الجستابون الألماني أو (البوليس السرى النازي) بسبب تجسسه في فيينا .

وقال بينتون : إن تقارير رؤسائه إلى لندن التي جاء فيها أنه وزوجته قد انكشف أمرهما ، ما هي إلا تكرارات غير ذات قيمة عن القيل والقال والشائعات والمقالات الصحفية . وكان بينتون مدرساً سابقاً ، وكان يلقي باللائمة على نقص التدريب .

وكان كل من بينتون و « كار » قد تلقيا شأنهم في ذلك شأن المجندين الآخرين

تعليمات روتينية وتعليماً غير كامل في الاتصالات ، والاكواد والشفرة وغيرها إلا أن الأغلبية تعترف وتقر بأنهم تولوا أعمالهم ومناصبهم وهم لا يزالون جهلة بحرفتهم والمهنة الخطرة التي يعملون فيها . وكتب نيكلسون يقول : « إن أحداً لم يعلمه كيف يصبح جاسوساً ، وعقد الاتصالات مع الخبراء والحصول على المعلومات منهم بدون أن يشعروا ، وذلك بعد عودته من « ريجا » .

والحقيقة هي أن أولئك الذين ينتظرون تعلم هذه المهنة التي هي بمثابة الغريزة غالباً ما يكون مآلهم الإخفاق ، ويصبحون غير مناسبين للعمل فيها . بل فضلاً عن ذلك هي مهنة المخاطر حيث أن الاحتياطات الأساسية ربما يتم تجاهلها عند حد معين . وعندما تم إخلاء السفارة البريطانية عام ١٩٤٠ ، كشف الوكيل المسئول ذو الجنسية « اللاتفيه » المعروف باسم « توني » كشف عن أن رؤساءه الحقيقيين إنما هم كبار رجال الاستخبارات الألمانية .

وكانت هلسنكى قاعدة استثنائية لأجهزة المخابرات السرية البريطانية ووفرت للمستر « كار » الفرصة لبناء مجده وشهرته وسمعته . ذلك أن علاقاتها التاريخية مع روسيا واتساع رقعة حدودها المشتركة البالغة ألف ميل سمحت لأجهزة الاستخبارات التي تتخذ من فنلندا قاعدة لها أن تتمتع بالفرصة الفريدة في اختراق جارتها السوفيتية .

وكان المصدر الرئيسي للسيد « كار » هو أجهزة المخابرات العسكرية الفنلندية ، التي كان ضباطها يتلقون التدريبات على مدار مايزيد على القرن من الزمان على أيدي الروس ، وهو أمر وفر البصيرة الضرورية وحسن النظر والتدبير في الاستراتيجية الروسية . وكان من طبيعة المخابرات البريطانية وعملياتها التي اعتمدت على استعارة وشراء المعلومات من الدول المستضيفة والمجاورة وبخاصة الدول ذات الاهتمام بما جرى في روسيا ، وتكون لها المقدرة على قراءة الأحداث، الأمر الذي يجعل من مصادر معلوماتها الثقة والدقة والحدة اللازمة .

وبذل « كار » قصارى جهده لتطوير وتنمية التفاهم مع كل مصدر ممكن للاستخبارات في هلسنكى عن طريق توطيد صلاته والفوز بالخطوة عند الفنلنديين العاملين في أجهزة الاستخبارات العسكرية والعامّة الفنلندية ، وبخاصة أولئك الذين كانت لديهم الاستعدادات الكافية للمساعدة والعون . ولقد أهله لذلك تحدّثه الروسية

والسويدية بطلاقة وإتقان لعبة التنس وبخاصة استعراض التقاليد البريطانية العتيقة . ولقد كان الفنلنديون أعداء للسوفيت ومتعاطفين مع الألمان .

أما مساعد المستر « كار » واسمه « ريكس بوسلى » فقد كان يتحدث اللغة الفنلندية بطلاقة ، وهى إحدى أصعب لغات العالم قاطبة ، وصار صديقاً لمعظم الوزراء الحكوميين وعضواً فى الجماعات « الماسونية » الدولية مثل كبار قادة أركان الجيش والعسكرية الفنلندية .

كان « بوسلى » نقيضاً للمستر « كار » حيث كان « بوسلى » عياساً يحب الانطلاق وبهجة الحياة ويعشق الانغماس فى ملذات العيش .

وكان من بين العملاء السريين سلسلة متعاقبة من القومسيات الأكرانية يتزعمهم « ستيفان ناتديرا » الذى أسس معه المستر « كار » علاقة قوية صارت زاداً له بعد ذلك فى أعقاب عام ١٩٤٥ .

وعلى خلاف « كار » لم يكن « بوسلى » يستطيع إخفاء نواياه . وكان عند تقديمه نفسه فى الحفلات ، يرفع من ياقته ، ويرشق الناس بنظراته ، ويخفض من صوته ، ويقول لمحدثيه : « لاتخبرن أحداً .. بأننى جاسوس خطير » . وكانت تلك تمثيلية محببة ، فصار يكررها وأضحى امتناعه عنها عسيراً عليه ، حتى أنه فى عام ١٩٦٤ ، حينما زار « خورشوف » النرويج قدم نفسه للزعيم السوفيتى على مائدة العشاء قائلاً : « يسعدنى تقديم نفسى إليكم .. أنا عضو فى أجهزة المخابرات السرية البريطانية » .

وجعل ثلاثتهم : المستر « كار » والمستر « بوسلى » وسكرتيرهما « إيلين داجيت » يفاخرون بأنهم كانوا المصدر الأكثر كفاءة لاستيفاء المخابرات البريطانية المعلومات منهم وبخاصة حول الاتحاد السوفيتى . وكانت هلسنكى أكثر محطات المخابرات البريطانية نجاحاً أثناء السنوات المفضية إلى اندلاع ونشوب الحرب العالمية الثانية ، وكانت بذلك تغنيهم عن إرسال سلسلة متعاقبة من العملاء غير المعتمد عليهم عبر الحدود لجمع معلومات قديمة من الفنلنديين .

وفى عام ١٩٣٩ ، فشل جهاز المخابرات البريطانى فى التنبؤ بالكثير من الازمات ، ليس أقلها توقيع « حلف مولتوف - ريبينتوف » فى موسكو فى ٢٣ أغسطس ، غير أنه بينما كان إخفاق مخابرات بريطانيا فى روسيا لا يرجع إلى عدم المحاولة ، نجد أن الفشل فى ألمانيا نسب إلى النقاد الذين هاجموا الخوف المرضى من روسيا لدى أجهزة المخابرات

السرية البريطانية ، والخلافات الناشئة بين رؤساء أقسامها .

ولقد برهن توقيع المعاهدة الانجليزية الفرنسية مع هتلر في ميونخ في سبتمبر عام ١٩٣٨ بشأن استسلام تشيكوسلوفاكيا ، برهن للكثيرين على أن « تشمبرلين » سوف ينظر عند ظروف معينة في تحالف غير مكتوب مع هتلر ضد البلاشفة .

وفي الاسبوع التالية لعودة رئيس الوزراء البريطانى إلى لندن مادحاً ومشيداً بجهوده الخاصة في تأمين « السلام في هذا الزمان » اقترحت الحكومة السوفيتية للبريطانيين والفرنسيين احتمال القيام بعقد اتفاقية مساندة وتدعيم مشتركة ضد الألمان . ولما كان هناك كم كبير من عدم الثقة في النوايا الروسية ، نجد أن الإجابة كانت غير مشجعة .

واعتقد « تشمبرلين » بوضوح أن الاتفاق مع هتلر مقدم ومفضل على أى اتفاق مع ستالين . أكثر من هذا ، كانت الضغوط الممارسة من جانب موسكو لعقد مناقشات مفضية إلى اتفاق ، تتطلب استجابة رداً ، وأرسل تشمبرلين إلى روسيا بناء على المطالب السوفيتية الملحة ، بطريق عسكرى لعقد المفاوضات .

واقنع تشمبرلين بأن ستالين كان يأمل في نشوب حرب بين بريطانيا وألمانيا يخرج منها السوفيت سالمين ويبرزون كقوة ، فأرسل وفداً على مستوى منخفض التمثيل غير ذى تأثير ، سافر عن طريق البحر في رحلة بحرية من أكثر الرحلات بطناً وبدون أية سلطات تخولهم الاضطلاع بمناقشات جديدة .

ولما تدبر في سياسات العلاقات الانجليزية السوفيتية على مدار السنوات العشرين الماضية ، استنتج ستالين أن البريطانيين لم يسألوا بعد اشتياقهم للإطاحة بالبلاشفة . ووردت تقارير دقيقة من أوروبا تصف زيارة دوق وندسور المبهجة السارة إلى هتلر وعقد المباحثات على مستوى عال بين « جويرنج » والشخصيات البريطانية لصياغة اتفاقية مضادة للـ « كومينترن » .

وبالنسبة إلى ضباط المخابرات البريطانية ، الذين كانوا في معظمهم يشاركون وجهة النظر التى قالت بها الحكومة من أن أكثر أعداء بريطانيا إنما هم الشيوعيون وليس النازيين ، وهكذا كان الحكم الذى توصل إليه ستالين صائباً . غير أن البريطانيين وأجهزة استخباراتهم أخطأوا حينما تجاهلوا مقدرة ستالين على أن يبرز ويفوق أعداءه ويرم سياسة تأمين مع هتلر .

وفي أثناء عقد المفاوضات الروسية الألمانية في الكرملن ، افترض وزير الخارجية الألماني « فون ريبينروب » أن اعزاء ستالين بعقد وإبرام تحالف مع أعدائه الآخرين الألمان ، كان بمثابة الفرصة غير المتوقعة للاستيلاء على تلك الأراضي الواقعة بطول الحدود الروسية الغربية ، وهي التي تخطى عنها « لينين » في معاهدة السلام الشهيرة المعروفة باسم « بريست - ليتوفسك » عام ١٩١٨ ، وتشمل تلك الأراضي كلاً من البلدان الآتية روسيا البيضاء « بيلوروسيا » وأكرانيا ودول البحر البلطى .

واقترح « فون روبينتوب » أن تعيد روسيا ضم معظم هذه الأراضي حالة اندلاع الحرب الألمانية مع بولندا .

أما المفاوضات البريطانيون الذين أخذوا نصب أعينهم التعهدات البريطانية على مدار العشرين عاماً السابقة على حماية الاستقلال الجديد للدولة الواقعة على البحر البلطى ، فقد عرضوا فحسب إمكانية النفوذ السوفيتي وليس فرض السيادة الكاملة .

واستمسك ستالين بالعرض الألماني ، وشرب الشمبانيا نخب تحالفه مع الألمان وودع الألمان أحر الوداع لدى رحيلهم ومغادرتهم إلى برلين عائدين لبلادهم . وبعد ذلك بعشرة أيام ، غزا هتلر بولندا وبعد شن الهجوم الخاطف الألماني « بليتز كريج » غير المسبوق ، أصبحت روسيا وألمانيا مشتركتين في الحدود المشتركة . أما بريطانيا وفرنسا فقد أعلنتا في نفس الوقت الحرب ضد ألمانيا .

واكتسبت محطة المخابرات البريطانية في هلسنكى أهمية جديدة في سبتمبر ١٩٣٩ ، وكان ستالين لا يثق في حلفائه الألمان الجدد ، وشرع سراً في عقد المفاوضات في هلسنكى لإيقاف الزحف الألماني عبر فنلندا وحماية البحر البلطى الذى سوف يؤدي تلغيمه إلى شل الأسطول الروسى فى « كرونستاد » غير أن الفنلنديين رفضوا العرض الروسى الخاص بتقديم المساعدات العسكرية وتحصين الجزر الكبرى الواقعة على البحر البلطى ومداخله ، وزعموا أن أى اتفاق من هذا القبيل سوف يضر بحياد دولتهم . غير أن ستالين لم يأبه لذلك ، حيث أفضى لهم بأنه عندما تنشأ الضرورة ، فإن هتلر لن يحترم أى حياد لفنلندا .

وفي ٣٠ نوفمبر ١٩٣٩ ، وفى أعقاب انتهاء المفاوضات ووصولها إلى طريق مسدود ، أصدر ستالين أوامره بشن قصف مدفعى ودك صاروخى محدود للمناطق الساحلية الفنلندية ، وشن غارة جوية على العاصمة وإرسال الجيش السابع للاستيلاء على

لمسكى . وتوقع الزعيم السوفيتى تحقيق النصر في غضون اسبوع واحد . وكان شاركه تفاؤله الليفتنانت كولونيل « فالى » الملحق العسكرى البريطانى فى هلسنكى ، ذى كان يقدم معلومات ضئيلة عن الجيش الاحمر ، واستبعد احتمال بقاء الفنلنديين امام الغزو لما يزيد على الايام القليلة .

أما « كار » فقد كانت له وجهة نظر اخرى ، حيث تأثرت عواطفه مما كان يكنه من عب وتقدير للفنلنديين ، ولم يكن يابه كثيراً لاعتبارات التكتيكات العسكرية التى لم يكن فهم منها كثيراً . وكتب يقول : إن « فالى » قد أساء الحكم على الحقائق الخاصة بالقتال ، بقاء درجة الحرارة فيها تبلغ الأربعين تحت الصفر ، وفى تلك الظروف تكون الميزة التفوق للجودة النوعية وليس للضخامة العددية أو الكم الجرار .

وأضى « كار » يقول : إنه لن يكون ثمة انتصار كاسح والحالة هكذا وجعل مراقب حركة القتال وأرسل المعلومات العظيمة حول تكتيكات الجيش الاحمر ، تسلحه ، وقيادته ، وقدراته ، ذلك أن الحرب المعلنة ليست أقل من استعراض عام لتفصيلات العسكرية التى تصبح فى زمن السلم أسراراً مطبقة التكتم . وبلغت خسائر لجيش الاحمر حوالى ٢٠٠,٠٠٠ مابين قتيل وجريح وفقاً لتقارير رجال العسكرية ، ضلاً عن استخبارات المستر « كار » التى اتفقت كلها حول هذا الرقم .

ولما انهار التقدم السوفيتى ، بدأت حكومة تشمبرلين فى تغيير توجهاتها . ومن هنا كتب السير « أورمى سارجنت » نائب وكيل وزارة الخارجية البريطانية ، يقول : إن بريطانيا لم تعلق أى أهمية حقيقية على الوجود المستمر لفنلندا ، غير أن هذا التقييم تغير أن بريطانيا الآن تريد استغلال الفرص الخاصة بقتال فنلندا ضد روسيا .

وهذه بمثابة اللحظة المهمة بالنسبة إلى « كار » وعلى الرغم من أن بريطانيا كانت فى حالة حرب مع ألمانيا ، إلا أنه كان يعمل فى دولة تحارب وتقاتل من أجل الحفاظ على وجودها ضد روسيا . ولم يكن وحيداً فى الشعور بإحياء الحروب الصليبية ضد لشيوعية . إن السير « بول ديوكس » وصل إلى هلسنكى نيابة عن جهاز المخابرات لسرية البريطانية من أجل قياس فرص الدعاية المناهضة ضد روسيا وحتى من أجل استكشاف إمكانية أن يقوم الفنلنديون بالحاق الهزيمة المنكرة بالجيش الاحمر واحتلال « ليننجراد » .

واعتقد الضباط العسكريون والاستخباريون الفنلنديون الذين كانوا ينصتون إلى

« ديوكس » و « كار » أن المخابرات السرية البريطانية وحتى الحكومة البريطانية كانوا حلفاء أشداء وأقوياء حيث أن كلا الضابطين وصفا ، بمبالغة كبرى ، المادة الحربية الحيوية التي أرسلتها بريطانيا .

وبالنسبة إلى العمل المهني للمستر « كار » كانت الحرب الشتوية نعمة وبركة فالعلاقات الحميمة التي تمت بين ضابط مخابرات الدولة البريطانية السرية وأجهزة المخابرات الفنلندية ، كانت بمثابة المفتاح لترقيته .

وتعرضت شبكة استخبارات فنلندا للعزلة على الصعيد الجغرافي والسياسي ، وخصوصاً وكالاتها وأجهزتها المتخصصة التي كان يديرها « رينو هالاما » التي كانت تعد مفخرة بين سائر الأجهزة الأخرى . وفي أوائل الثلاثينات ، اشترى « هالاما » من اليابان المفتاح الخاص بفك الشفرة السوفيتية خماسية الأرقام المستخدمة في الشرق الأقصى .

وفي عام ١٩٢٧ ، بدأ السوفيت في استخدام نفس الكود في الحرب ، وبالتالي ، أثناء الحرب ، مما أهل الفنلنديون آنذاك كنتيجة طبيعية من قراءة الرسائل الروسية الخاصة بسلاحى البحرية والمشاه . واعتبر هذا أمراً ذا أهمية واهتمام قصوى لدى المخابرات البريطانية لأنها في عام ١٩٢٧ ، وفي أعقاب تقديم حكومة « بولدوين » إلى الحكومة السوفيتية - رموز فك الأكواد الخاصة بالرسائل السوفيتية ... وذلك بغرض الإثبات أمام الشيوعيين أنهم متورطون في الأنشطة المعادية لبريطانيا ، كذريعة لقطع العلاقات الدبلوماسية ، مما حدا بالسوفيت إلى تغيير شفراتهم .

فكان حتماً أن يتغير رجال الشفرة البريطانيون ويعجزوا عن قراءة أى برقيات روسية إضافية . وفي عام ١٩٤٠ انكشف سر « هالاما » أمام المستر « كار » الذى شرع في توريد نهر دافق من المعلومات عن السوفيت إلى لندن .

ولم يكن « كار » يعلم بأن الفنلنديين يبيعون منتجاتهم بصفة دورية ومنتظمة ليس فحسب لمن يدفع السعر الأكبر ، وإنما لأى زبون يصادفهم ، كما أن رجال كسر وفك الشفرة الذين يعملون لحساب « هالاما » استطاعوا أيضاً فك أكواد أجهزة المخابرات البريطانية السرية . إن رسائل المستر « كار » إلى لندن تم فكها وبيعها إلى الألمان .

وكان فخراً أيما الفخر للمستر « كار » نفسه أن يعجب بتدفق المعلومات التي كان

يرسل بها إلى « برودواي » . فساورت الشكوك الكولونيل « ساموسى ماكجيل » الملحق العسكرى البريطانى الجديد الذى وصل إلى هلسنكى فى عام ١٩٤٠ ، حول الثقة الكبرى التى تبديها المخابرات البريطانية فى طول وقوة المقاومة الفنلندية ضد الروس .

وأرسل « كار » بتقاريره التى جاء فيها أنه صار عرضة للاعتقاد اعتقاداً غير مسبب بأن المعلومات الاستخبارية البريطانية حول روسيا لم تكن غالباً صائبة . ثمة أسباب ضئيلة للشك فى تقييم « ماكجيل » .

وفى شهر فبراير وعلى الرغم من القتال الشديد إلا أن فنلندا هزمت من جراء القصف والدك السوفيتى العنيف والمتراكم . وصدر التحليل اللاحق للمعلومات الاستخبارية التى جمعها الملحقون العسكريون والبحريون فى أوروبا قبل عام ١٩٣٩ يقول بأنه على الرغم من أخطائهم الخطيرة ، إلا أنهم كانوا أكثر دقة من تقديرات أجهزة المخابرات البريطانية السرية .

وافقت كل من فنلندا وروسيا على وقف إطلاق النار فى ١٢ مارس عام ١٩٤٠ . وعلى مدار العام التالى ، صار المستر « كار » والمستر « بوسلى » بؤرة الاهتمام الكثيف من جانب مجموعة من المسئولين الفنلنديين المعادين للسوفيت . حيث كانت معلومات الفنلنديين حول النوايا السوفيتية تتصف عموماً بعدم جدواها أو بقله قيمتها . غير أن الذى حدث بعد ذلك هو أن قام أحد الضباط بالجيش الفنلندى بتقديم معلومات هامة للغاية إلى المستر « كار » فى ديسمبر ١٩٤٠ ضمننت له مكاناً مرموقاً فى تاريخ مخابرات الدولة السرية البريطانية .

إذ سمع أن ألمانيا ، سوف تقوم بشن هجوم على روسيا فى ربيع عام ١٩٤١ . وقدم المستر « كار » تلك المعلومات وأرفق بها التقارير الواردة من العملاء الألمان العاملين فى مدينة « ريجا » المطلة على البحر البلطى .

وقدم المستر « كار » التقرير إلى « برودوى » واستطاع أن يزعم فيما تلى ذلك من سنوات بأنه حقق كسباً للمخابرات السرية البريطانية ، وشيئاً من الاحترام والتقدير الذى كانت تلك الوكالة فى حاجة ماسة إليه ، ولنفسه فضمن بذلك حق الترقى .

وفى يونيو ١٩٤١ ، حينما ثبتت صحة نبؤة المستر « كار » وغزا الألمان روسيا ، تحالفت فنلندا مع المعتدى ضد الشيوعيين . وأغلقت السفارة البريطانية وتم تحويل هيئة العاملين إلى دولة السويد المحايدة .

الفصل الثانى

شركات الاستخبارات فى زمن الحرب

وصل كل من « كار » و « إيلين داجيت » و « بوسلى » إلى ستوكهولم فى يونيه ١٩٤١ إلى حالة من الارتباك والتشوش . واستعرض « كار » ثقته العريضة فى النفس باعتباره ضابطاً لجهاز مخابرات الدولة البريطانية لمدة عشرين عاماً من الخبرة الواسعة ، فى البلاد الاسكندنافية ، وصار يتصرف على النحو الذى يجبر أئداده وزملاءه على الاحترام .

غير أن الرئيس الأقليمى المقيم للمخابرات البريطانية فى محطة ستوكهولم . وهو المستر « جون بنشر مارتين » كان مراوفاً فى معاملاته مع الأقران كانت هيئة الرجال العاملين مع مارتين والذين يتخذون من ستوكهولم مقراً لهم ، وبخاصة فى مدينة « برجر جارلجاتان » يبلغون الخمسة من الرجال الأشداء وصار عددهم الآن زائداً ثلاثة ضباط جدد .

وأضحت العاصمة السويدية إحدى المواقع الاستراتيجية لأجهزة المخابرات البريطانية السرية لرصد ومراقبة الأنشطة الألمانية الدبلوماسية والجاسوسية ، وجمع الاستخبارات واختراق وترشيح وتمشيط العملاء المتحالفين (التابعين للدول المتخلفة) سواء الداخلين والخارجين من أوروبا المحتلة .

لم يرحب مارتين بأى تطفل أو تدخل فى سلطاته ، وبخاصة من أولئك الذين هم على شاكلة المستر « كار » الذين كانت سمعتهم داخل المخابرات البريطانية سمعة طيبة كخبير فى روسيا السوفيتية وكرجل معادى للغاية للشيوعية . وذهب « مارتين » إلى أن خبرته لم تتناسب مع الواقع الجديد حيث أن الهدف الأساسى والخاص للمخابرات البريطانية أضحى ألمانيا .

وأعرب عن شكوكه من أن « كار » سوف يعتبر قبول روسيا السوفيتية كحليف لبريطانيا أمراً شاقاً وعسير الاحتمال . وفي هذه الحالة ، تقرر أن ينتقل « كار » إلى السفارة البريطانية ليتولى منصب السكرتير الأول ، وهو ستار يستطيع تحته أن يواصل العمل كرئيس لمحنة فنلندا ويجمع المعلومات عن عدو بريطانيا الجديد .

وكان السفير البريطانى واسمه فيكتور ماليت ينتمى إلى مدرسة الدبلوماسيين الذين يعتبرون الجاسوسية خطراً ينبغى التعامل معه بكل حذر واحتراس كما كان ينظر إلى مارتين على وجه الخصوص نظرة الاحتقار والازدراء .

ومنذ عام ١٩٤٠ ، كان « ماليت » يتألم من قصر جميع عمليات الاستخبارات البريطانية في السويد وبخاصة تلك التى ينفذها الجهاز التنفيذى للعمليات الخاصة ، وهو جهاز كان قد تم إنشاؤه حديثاً . وكان حماس تشرشل لهذا الجهاز يعكس عواطفه القديمة لشن عمليات وأنشطة خفية فى روسيا البلشفية إلا أن « ماليت » بکراهيته عكس العداء الكبير فى داخل « وايتهاول » بين الجهاز الجديد والمخابرات البريطانية السرية .

ولقد كانت الجرائم وعدم الحرص والتخبط والارتباك قد أدت إلى القبض على عملاء الجهاز التنفيذى للعمليات الخاصة فى السويد ، وهو الأمر الذى حث « ماليت » على إعاقة كافة المحاولات المبدولة لإعادة بناء المنظمة . وقالت السفارة : إن السفير لم يكن ليوافق على استخدامها قاعدة للأنشطة التخريبية . وأصر على إخطاره وإبلاغه بكل اتصال بين الوكالة البريطانية وأى سويدى على استعداد للمساعدة والعمل معهم لصالح الجهود الحربى للحلفاء .

وأبدى السفير تسامحه إزاء المستر « كار » ليس لأنه كان لاعباً ماهراً فى التنس ، ولكن أيضاً كان قريب النظرة من التصرف تصرف الساسة ، كما أن له علاقاته الدبلوماسية والسياسية الجيدة مع كبار الساسة السويديين ورئيس المخابرات السويدية . كما كان « ماليت » لغزاً محيراً وأحجبة بالنسبة إلى البعثة الأمريكية فى السويد .

وتسامح البريطانيون إزاء التعاون العسكرى الشامل بين السويد وألمانيا إلى درجة أن البعض صار مدفوعاً للاعتقاد بأن « ماليت » أصبح مؤيداً ومناصرراً للسويد عن السويديين أنفسهم وتواصلت للسويد التقارير السنوية عن مائة مليون طن من الصلب وملايين الرولمان ، بل والعتاد التى جمعها الألمان من أجل صيانة ودعم عجلة

وما كينة الحرب الألمانية . أما الأمريكان منذ كانوا ينظرون إلى ذلك على أنه تحالف بين القوى الأوروبية من أجل القضاء على الشيوعيين . إلا أن « كار » لم ير في ذلك أى شيء غريب بل اعتبر هذا أمراً طبيعياً .

كانت الحياة لسائر ضباط المخابرات البريطانية في ستكهولم على ذمة الحرب ، حياة رغد ورفاهية بالمقارنة بما كان يحدث في لندن ، إلا أن السيد « كار » على وجه الخصوص تحقق من المنافع والفوائد التي يجنيها أقرانه . وكانت المخاطر الوحيدة التي يتعرض هي الرحلة السنوية إلى بريطانيا لرؤية أهله وأسرته هناك ، حينما طار عبر بحر الشمال على ظهر طائرة قاذفة من طراز « موسكيتو » .

وفي ستوكهولم ، صار قلق « كار » بشأن الأمن والسلامة ، هي التي كانت فيما سلف أمراً معروفاً فقط لأولئك القلة ضباط المخابرات السرية الذين عملوا في هلسنى ، مروا بها أثناء فترة خدمتهم بالعمل الاستخبارى ، صار هذا القلق موضع الحديث بين الدوائر الواسعة للبريطانيين هناك .

وكان يوصى المجندين الجدد في العمل الجاسوسى إبان أزمة الحرب قائلاً : « إذا كنت تحمل أوراقاً سرية فيتعين عليك أن تثبتها بدبوس في جيوبك السرية الداخلية » . وكانت هذه التعليمات والنصائح تتم أحياناً على موائد الشراب والطعام في نهاية يوم من العمل الصباحى وبخاصة لضباط مراقبة جوازات السفر .

كما كانت حكاياتهم تخالطها وتشوبها في الغالب الروايات الملونة المحببة من كيفية تجنيد العملاء ، إذ كان يقول مثلاً « ولقد أخبرت « هارى » وأوصيته بأن يصنع كماماً « شىء يوضع في الفم لمنعه من الكلام » ، في فمه حينما يتوجه إلى الفراش ، ليمنع نفسه من كشف الأسرار أثناء نومه » ، وهكذا يتصايح السامعون بالضحك والقهقهة .

ولقد تم تجنيد المستر « بيتر فولك » ، وهو أحد نظار مدرسة سابق في منطقة « رجبى » عام ١٩٤٣ في شهر مارس منه للعمل في فرع المخابرات المضادة ، ووقع عمله في « القسم فى » وكان منصبه الرسمى هو مساعد ضابط مراقبة جوازات سفر فى ستوكهولم . وكان المستر « فولك » على وجه الخصوص تجتذبه للغاية الحكايات المرحة ويستهو به سماعها حتى أنه صار مولعاً بها .

لم يكن « فولك » يتمتع بالطموح كضابط مخابرات ، بل كان قلبه خالياً من الاحقاد وبدأ فى فحص مصادر المستر « كار » باستقلالية ، اعتقاداً منه بأنهم معصومون من

الخطأ . غير أنه سرعان ما أصابه التحرر من الوهم فصار وجهاً لوجه مع الحقيقة . واكتشف أن « كار » يعتمد على زمرة من الصحفيين البريطانيين والفنلنديين الذين كانوا يقدمون للمستتر « كار » المعلومات فيعيد كتابتها ثم يرسل بها إلى لندن مكودة ومرموزة بالشفرة .

فكان المستر « أوسيان جولندنج » المراسل المقيم لصحيفة « ديلي تليغراف » يزود المستر « كار » بالمعلومات على البحارة السويديين الذين كان يقابلهم بصفة دورية في البارات وميناء « جوتنبرج » ، كما استفاد من خبراته كمراسل حربى فى الحرب الألمانية الروسية . وذلك فى وقت لم تستطع فيه البعثات الأمريكية ولا البريطانية فى موسكو الحصول على معلومات موثوقة من الحكومة السوفيتية بشأن مسار الحرب .

وسرعان ما صار « فولك » حيران العقل مفعماً بالشكوك فى صحة مصادر « جولندنج » . إذ اكتشف أن ذلك الصحفى كان يستمع بصفة دورية إلى هيئة الإذاعة البريطانية وإذاعاتها ونشراتها الدولية ، ثم بعد ذلك ينظر فى خريطة كبرى عن روسيا معلقة على حائط غرفة نومه ، ومكتب التقارير حول تحركات الجيش الأحمر مرصعة بأسماء قادة الجيوش الروسية مكتوبة قبل نشوب الحرب . كان ذلك أمراً غير ضار إلا أنه أثار التساؤلات حول دقة المستر « كار » .

كما اكتشف المستر كار أثناء مناقشاتهم الأسبوعية للمستر « فولك » أن أحد المصادر المهمة للمعلومات هو المدير السابق للمخابرات العسكرية وكان ينتمى بالمولد إلى جمهورية أستونيا المطلة على البحر البلطى ، واسمه الكولونيل « فيلم سارسين » ، وأحد مساعديه واسمه « ريتشارد ماسينج » . وكان كلاهما يخدم فى الجيش الألمانى لاصطياد الفلاحين الشيوعيين وإرسال الرسائل من أستونيا إلى ستوكهولم عن الموقف فى روسيا المحتلة أو بخاصة الجزء الواقع تحت الاحتلال الألمانى .

ويقول « كار » : إن أهل أستونيا كانوا يقدمون المعلومات إلى أهل السويد ثم يتم إرسالها إلى أجهزة الاستخبارات البريطانية . وكانت هذه التقارير لسببين اثنين يتم تكويدها وإرسالها إلى لندن ، لتلقى الاحترام بعد ذلك وعظيم التقدير . فى عام ١٩٤٣ ، حصل « فولك » على معلومات من الملحق الجوى الألمانى فى ستوكهولم وهو « كارل هاينز كرىمر » بعد تجنيده عميلاً لدى المخابرات البريطانية .

والذى ادهش « فولك » أنه وجد أن نفس المعلومات يقدمها المستر « سارسين » إلى « كريمير » وأنها كانت في أحسن الأحوال غير جديرة بالاعتماد عليها . وامتنع « فولك » عن الإفضاء بما يعتمل في صدره من أسرار عن المستر « كار » ورؤسائه .

تلك كانت الأحوال والظروف السائدة في عام ١٩٤٤ حينما شرع « كار » في إقامة ما كان يأمل في أن يصبح انقلاباً عظيماً وأكبر أعماله قاطبة ، ألا وهو الاختراق الفعال من جانب العملاء البريطانيين للاتحاد السوفيتى وبخاصة روسيا عن طريق بلدان البحر البلطى .. وانطلق يحاول تنفيذ المهمة بكل نشاط وإخلاص ودقة ، واحتراساً منه وعملاً بتوجهاته في التكتم الشديد ، لم يفض بالأسرار إلى المستر « فولك » .

كما كان يعتمد على عملاء ينتمون بجنسياتهم إلى القوميات التابعة لبلدان البحر البلطى الذين كانوا قبل الحرب مصادر هامة لأجهزة الاستخبارات البريطانية في « ريجا » و « تالبين » ، وهم الذين كانوا يأملون في عام ١٩٤٤ إعادة تأسيس بلادهم واستعادة استقلالها في أعقاب الصراع .

على أية حال ، عندما تدبر المستر « كار » السيارات البريطانية إزاء دول البحر البلطى منذ عام ١٩٣٩ ، اقترح التعاون القائم على مبادئ تخلى عنها سراً رؤساؤه وسادته في لندن .

وعلى مدار التاريخ ، كانت جمهوريات البحر البلطى الثلاث - وكلها عبارة عن مجتمعات ريفية لا تزيد مساحتها بحال من الأحوال عن هولندا أو سويسرا - ضحايا للغزوات المتكررة والاستعمار من جانب الجيوش البروسية ، والدانماركية والسويدية والروسية . وبرغم كل الخطوب والمصائب التى توالى على هذه الدويلات الثلاث إلا أنها لم تفقد أبداً قومياتها أو لغاتها أو دياناتها أو هوياتها الثقافية المختلفة عن بعضها البعض ، غير أنها عجزت بمفردها أن تحل مشكلة مصيرها التاريخى المشترك .

وقع أول احتلال لهذه البلدان في القرن الثانى عشر من جانب فرسان التيتونيك « أو الجرمان القدماء » . وفى عام ١٤١٠ استطاعت « ليتوانيا » التحرير بمساعدة بولندا ، وحدث في المائة عام التالية على ذلك أنها تعرضت تدريجياً إلى التحول إلى الصبغة البولندية ، وتقاوم الروس ، فى حين أن السويد احتلت جمهورية « أستونيا » و « لاتفيا » .

وفي عام ١٧٢١ ، هزمت روسيا بنجاح السيد في الحرب واحتلت على نحو تدريجي وتقدمى الجمهوريات أو الدويلات الثلاث . إلا أن تكاملهم مع روسيا من جانب القياصرة والباطرة الروس أسرع وعجل بتحررهم ، وشعورهم بقومياتهم المتميزة . ولقد كانت مساندة بريطانيا لاستقلالهم عام ١٩١٨ يرجع لسبب المصلحة المباشرة أصلاً : بهدف تشييد كوردون صحى ضد الشيوعيين وحماية الاستثمارات الضخمة المتراكمة إبان العصر القيصرى عن طريق البنوك البريطانية والتجار الانجليز .

وبعد ذلك بعشرين عاماً ، حينما ضاعت الاستثمارات إلى الأبد وصارت بريطانيا أكثر اهتماماً بالتصدى للنازية وليس الشيوعية ، ترددت وزارة الخارجية البريطانية أثناء نظرها المطالب الروسية عام ١٩٣٩ بإعادة ضم الجمهوريات أو الدويلات الثلاث .

وجاءت تقارير دقيقة من شهود العيان في « كييف » عن مقتل ٣٠,٠٠٠ فرد في « بابى بار » في غضون يومين اثنين في شهر سبتمبر ١٩٤١ . ولقد وضعها فيكتور كافينديش بينتزك بأنها « نواتج الخيال السلافى » . ولقد حكم مبدأ المصلحة الذاتية الذى اتبعته وزارة الخارجية البريطانية ، اعتبارات النظر في مصير التعهدات التى قطعتها على نفسها للدول المطلة على البحر البلطى .

وفي أبريل ١٩٤١ ، حينما كانت بريطانيا تقاتل النازيين بمفردها ، فإن الفشل البريطانى في التضحية بالدول البلطية من أجل التبادل بعقد معاهدة مع روسيا ، بدا كما لو كان فرصة مضيعة . ولقد كتب « سار جنت » في أعقاب حلف « مولوتوف - ريببنتروب » وقبل الغزو الألمانى لروسيا ، إلى زملائه نادماً على أن هذا التنازل لم يتم إبرامه في عام ١٩٣٩ .

وقال : « لقد أخفقنا في جعل هذه التضحية بالمبادئ أمراً واقعياً ، ولذلك فقد دفعنا الثمن عقاباً على هذا » . وقال إنه لو قدر أن تعود الفرصة مرة ثانية ، فإنه سيتم لا محالة التضحية بالمبادئ . وبعد ذلك بأربعة أشهر ، حينما تقابل تشرشل ، ورزفلت ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية على ظهر سفينة « برنيس أوف ويلز » الراسية في خليج « بلاسينتيا » ، في (نيوفونلاند) ، ثم تجاهل براحمانية « سار جنيت » .

وعلى الرغم من أن الحكومة كانت لا تزال محايدة من الناحية الرسمية إلا أن الرئيس أصر على أنه لن يتسامح مع أى تبادلات خاصة بالأراضى السيادية . ومنذ ذلك

الحين أى منذ الضم السوفيتى ، أدانت الحكومة الأمريكية « الأنشطة النهبية والسلبية ،
التي جردت دويلات البحر البلطيقى من استقلالها .

وفى أكتوبر عام ١٩٤٠ ، أكد الرئيس استعراضياً للمجلس الأمريكى الليتوانى الذى
مثل مليون ليتوانى يعيشون فى أمريكا ، بأن استقلال دولتهم لم تضع أو تفقد ، بل «
إنها وضعت جانباً بصفة مؤقتة » . ولسوف يأتى الوقت الذى تستطيع فيه ليتوانيا
التحرر مرة ثانية . ولسوف يحدث هذا بأسرع مما تتوقعون .

ولما كان الرئيسان قد انشغلا بالحرب الضروس ، فإن القليل من الاهتمام هو الذى
كرس للأحداث التي أعقبت الضم السوفيتى لهذه الاراضى ، والذى حدث هو أن ابتلاع
الدويلات الثلاث فى بطن روسيا بدأ فوراً فى أعقاب إبرام معاهدة « مولوتوف -
ريبينتروف » .

ولم يشعر الكريملن سوى ناقلاً القليل من العطف والرحمة لأولئك قطعاً
استمرارية مائتى عام من الحكم القيصرى . إذ تم دعوة وزراء الدويلات الثلاث لتوقيع
« اتفاقية دفاع مشترك ومساعدات مشتركة » مع ستالين من شأنها أن تبيع للسوفيت
أن يقيموا القواعد العسكرية على أراضيه من أجل ضمان استقلالها . وحيث أن البديل
كان الحرب ، فإن الثلاثة جميعهم وافقوا على مضمض على أمل أن يجدوا مخرجاً فيما
بعد .

وصانوا علاقاتهم الواهية مع موسكو حتى تسنى للألمان شن الغزو ضد فرنسا
فى مايو ١٩٤٠ . وفى نفس الأسبوع ، تم استدعاء الزعماء الثلاثة مرة ثانية إلى موسكو
حيث اتهمهم « مولوتوف » بانتهاك « اتفاقيات الدفاع المشترك » انتهاكاً غادراً للغاية ،
وأنهم صدرت إليهم الأوامر بتشكيل حكومات متعاطفة مع الشيوعية .

وبحلول ١٨ يونيه ، صار الجيش الأحمر والأحزاب الشيوعية المحلية مسيطرة
سيطرة تامة على المنطقة . وتم تحويل المنطقة إلى الزى السوفيتى وطبعها بالطابع
السوفيتى على نحو سريع للغاية طالما أنه قد تقرر أن تنضم الدويلات الصغيرة إلى
« الأسر المجيدة للاتحاد السوفيتى » . واختفت برلماناتها ، وتحولت عملاتها إلى الروبل
الروسى ، وتم حظر الكتب التي اعتبروها غير مناسبة أو لائقة ، وتم تحويل ولاءات
الصحف ، وتم أسر والاستحواذ على المصانع والمطاعم والأعمال التجارية والمشروعات ،

ونقل ملكيتها إلى الدولة . والأسوأ من كل شيء أنه تم تحويل المزارع إلى مزارع
جماعية .

كان ذلك بمثابة التحول السريع نحو المبادئ الشيوعية والستالينية وهو ماتم عبر
المنطقة كلها اثناء ليلة ١١ - ١٢ يوليه من عام ١٩٤٠ . وشرعت السلطات في مدهمة
البيوت ليلاً وأسر أفرادها إلى حيث لم يرهم أهلهم بعد ذلك أبداً . وكان الضحايا هم
أولئك الذين تحدوا القضية الوطنية ، وسرعان ماتبعهم المنفيون من الروس البيض
وأولئك الذين يعملون بالجيش والكنيسة والطبقات المتوسطة الذين كانوا خصوماً
مشكوكاً في ولائهم للسوفيت .

وبعد ذلك بإحدى عشر شهراً ، في ليلة ١٢ - ١٣ يونيه من عام ١٩٤١ ، ضرب
ستالين ضربته القاصمة ، حيث تم إلقاء القبض على مائة ألف رجل وامرأة وطفل
وحشدوا في عربات السكك الحديدية وتم شحنهم إلى سيبيريا . وفي مناخ الرعب الذي
أمسك بالمنطقة في الأسبوع التالي ، جلست آلاف العائلات خائفة ذليلة في بيوتها ، وقد
حزمت حقائبها بجوار الأبواب في انتظار وصول فرق القبض والموجة الثانية من
الترحيلات .

وتم إعداد القوائم وانتظرت القطارات للمرة الثانية في أماكنها حينما - زحفت ثلاثة
ملاين من الجنود الألمانية في ٢٢ يونيه تتقدم الغزو الألماني لروسيا . وفي غضون أيام
كان الـ « فيرماخت » قد قطع مسافة كبرى في المنطقة الواقعة في نطاق أراضي البحر
البلطى وعندها تقهقر وفر الجيش الأحمر ناحية الشرق .

وقد أدى التحرر غير المتوقع والمفاجيء من الإرهاب الستاليني إلى موجة عارمة من
العرفان بالجميل صوب الغزاة بسبب تخلصهم من الشر الفظيع وسوء المصير . وفي
ليتوانيا ، ثار الجيش القومي ضد الشيوعيين المتقهقرين وأعلنوا إقامة حكومة وطنية
مؤقتة ، أما المتمردون في « كونساس » فقد سيطروا على المدينة من الروس قبل وصول
الوحدات الألمانية الأولى .

وفي لاتفيا واستونيا لم يكن ثمة قتال إلا أن زعماءهما كانوا يتعشمون في استعادة
الألمان للاستقلال . ولهذا السبب فقد وجد الألمان ترحيباً بهم كغزاة بسبب تخلصهم
أهل البلاد من ربقة الحكم الشيوعي الدكتاتوري الدموي . إلا أنه لسوء حظ الشعوب

المطلة على البحر البلطى التى تنتمى لدويلات البحر البلطى ، فإن هتتر كان يعتبرهم اقل وأدنى من الناحية العرقية ، وأن الاحتلال الالمانى سيكون شبيهاً بالسوفيتى .

وبذلك سوف تتعرض دولهم للدمار ، وبعد وقوع الترحيلات الجماعية ، سوف يصبح السكان الجدد من الالمان . وبدا الطغيان الجديد لفترة مؤقتة نعيماً بالمقارنة بسلفه ، وهكذا فإن الذى استحث السير « اورمى سارجينت » هو الصورة الذهبية للترحيب البلطى بالنازيين ، ليعرب عن ندمه أكثر فأكثر بسبب الفشل البريطانى فى التضحية بالمبادئ .

ووافق « روزفيلت وتشرشل » فى ١٢ أغسطس ١٩٤١ على إصدار إعلان هو الذى أصبح معروفاً فيما بعد باسم « ميثاق الأطلنطى » وكان التبرير بالتضحيات القادمة مستقبلاً — حسبما زعموا — هو استعادة الحرية والاستقلال ، ونكران أية تغييرات تتعلق بالسيادة على الأراضى تكون مناهضة لأمانى الشعوب المعينة ، واحترام الدولتين العظميين للحقوق السياسية للشعوب فى أن تختار حكوماتها الخاصة بها .

وصار مسئولوا وزارة الخارجية البريطانية يحتقرون أهل الدويلات البلطية — كما جاء فى نشرات هيئة الإذاعة البريطانية — بسبب ولائهم الواضح للنازيين ضد الروس ، ومن هنا جاء إهمال وتجاهل ماورد بنصوص « ميثاق الأطلنطى » .

وكانت أولى الفرص هى التى سنحت فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٤١ ، حينما اجتمع وزير الخارجية البريطانى مع ستالين فى موسكو لمناقشة بنود ونصوص التحالف . وأثناء الأشهر السابقة ، وبينما كانوا يعدون العدة لعلاقة جديدة مع موسكو ، أقنع التعاون الواضح من جانب الدويلات البلطية مع النازيين أقنع « ايدين » وكبار مسؤوليه بأن تقديم عرض بالاعتراف بضم روسيا الدويلات الثلاث سوف يفرى ستالين بعقد تحالفٍ أو حلف معهم .

وفى الواقع ، متى ما أصبح « ايدين » فى موسكو ، طالب الديكتاتور السوفيتى بالاعتراف البريطانى بالضم السوفيتى وإثبات النوايا البريطانية . أما ايدين الذى كان غير مدرك بالترحيلات الجماعية للشعوب البلطية إلى سيبيريا أبلغ تشرشل أنه اعتبر الاقتراح غير معقول إذا صاحبه استغناء يكون الروس بمقتضاه قادرين على التنظيم بطريقتهم الخاصة .

وساند المسئولون وجهات نظره حيث أن الاستقلال الخاص بالدويلات البلطية

كان على أية حال « عرضاً غير دائم » ولم يكن يساوى مقارنته بالتحالف . والذي أدهش ايدين ، أن تشرشل تحرك بوحى من ضميره الخاص وانتظاراً لمعارضة روزفيلت ، أصدر الفيتو ضد الفكرة .

أما وزير الخارجية الأمريكى « كورديل هال » فقد كتب إلى ايدين يقول : إن قبول المطالب السوفيتية من شأنها أن تدمر معنى إحدى القضايا الأكثر أهمية الخاصة بميثاق الأطلنطى وسوف تفضى إلى تفويض قوة الوثيقة من أساسها .

ولقد تبينت الأمور على نحو جلى بعد ذلك بعام واحد . حيث أنه فى أبريل من عام ١٩٤٢ ، الذى كان متوقعا وصول « مولوتوف » فيه إلى لندن للتفاوض بشأن البنود النهائية الخاصة بمعاهدة رسمية مدتها عشرون عاماً ، أعد مجلس الوزراء نفسه لتجاهل تحذير « هال » وتقديم التنازل للسوفيت . غير أن اللحظة لم تتحول إلى الواقع .

فلم يذكر « مولوتوف » الذى كان يخشى من أن يؤدى المطلب إلى إعاقه إبرام المعاهدة ، أى شىء من الضم . وبذلك أنقذ القدر وزارة الخارجية من مهانة عرض تقديم هذه التضحية .

وفى الأشهر التالية ، وافق « سومنز ويليس » بوزارة الخارجية الأمريكية على أنه ليس هناك أية مصلحة حيوية فى معارضة اتحادهم مع روسيا ، وأصبح روزفيلت رجلاً برجماتياً على نحو يشعر بالبرودة .

وقال الرئيس الأمريكى روزفيلت لرئيس وزراء بريطانيا أنتونى ايدين إن الجيوش الروسية سوف تتمركز فى الدويلات البلطية فى زمن السقوط فى ألمانيا ، ولن يستطيع أحد منا أن يستخدم القوة فى إخراجها . ولهذا السبب ، حصل ايدين على موافقة مجلس الوزراء فى أن أية تسوية سلمية أوروبية يجب أن تقوم على كل من مبادئ ميثاق الأطلنطى بشأن الاعتراف بحدود روسيا فى ٢٢ يونية ١٩٤١ .

وكان الجيش الأحمر ، قد كسب المعركة الخاصة « بستالينجراد » وذلك بعد تضحية عظيمة وصارت النتيجة النهائية للحرب معلومة ومعروفة بل ومحدودة . وذهب روزفيلت — معترفاً بقوة السوفيت — إلا أن ثمة غرض ضئيل فى الصدام مع ستالين بشأن مصير الدويلات البلطية . وسادت الروح العاطفية حينما اجتمع الرئيس الأمريكى مع نظيره الروسى فى طهران فى ١ ديسمبر ١٩٤٣ على انفراد .

واندهش ستالين من جراء الصراحة الأمريكية . وقال روزفيلت : « إن ما أرغب في شرحه لك يتعلق بالسياسات الأمريكية الداخلية . إذ أنه وفقاً لدستورنا يجب علينا خوض الانتخابات في عام ١٩٤٤ . ولا رغبة لي في خوضها غير أن استمرارية الحرب تحتم على البقاء ، إذ لا خيار لي في ذلك .

وأوما الديكتاتور السوفيتي برأسه معرباً عن تفهمه للمازق ، الأمر الذي أسعد المسئولين الأمريكيين الحاضرين . ومضى روزفيلت قائلاً : « ثمة عدد هائل يتراوح ما بين ستة إلى سبعة ملايين أمريكي من أصل بولندي ، وإنى كرجل عمل وواقعي ، لا أريد أن أفقد أصواتهم . كما أنني أتفهم موقفكم بشأن تحريك حدود بولندا صوب الغرب ، إلا أنني بسبب الانتخابات ، لا أستطيع الخوض في أية مناقشات علنية حول الموضوع المثار حالياً . فجاء رد ستالين قصيراً ولكنه مهديء ومسكن : « الآن شرحت كل شيء وإننى لأتفهم موقفكم تماماً » .

واستطرد الرئيس الأمريكي يقول : « كما أن هناك الكثيرين من الناخبين اللتوانين واللاتينيين والاستونيين في داخل الولايات المتحدة . وإننى أتفهم جيداً أن الدويلات الثلاث كانت من الناحية التاريخية جزءاً من روسيا .. وإن ... » .

وهكذا استطاع روزفيلت حل أية مشكلة من الممكن أن ترد على ذهن ستالين وهو باسم الثغر هادئ الجدال رزين العقل . ثم قال مازحاً : « وحينما تعاود الجيوش السوفيتية احتلال تلك المناطق ، فإننى لأنوى خوض الحرب بشأن مستقبلها ،

وهنا ضحك ستالين بينما استطرد روزفيلت قائلاً : « إلا أن القضية الكبرى داخل الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تتعلق بمسألة تنظيم استفتاء حول حق هذه الشعوب في تقرير مصيرها . ذلك أن الرأي العام العالمي سوف يطالب بإيضاح حول إرادة هذه الشعوب . وربما لا يتم ذلك فور الاحتلال السوفيتي ولكن في مرحلة أخرى ، .

غير أن وجه ستالين الذي ظل ساكناً لحظة وبرهة من الزمان بدون أن يكشف أية عواطف ، سرعان ما تهلل مبهتجاً حينما أضاف روزفيلت قائلاً : « على الرغم من أنني واثق من أن الشعب هناك سوف يصوت للانضمام للاتحاد السوفيتي » .

وكشف رد ستالين مدى دقة روزفلت في التعامل مع شريكه ، وقال ستالين إن الجمهوريات الثلاث لم تتمتع بالحكم الذاتي تحت إمرة وسيادة الأباطرة القيصرية ، وكانت روسيا كذلك حليفة لكل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة . ولم يذكر أحد

على مدار المائتى عام مسألة الرأى العام ، وأفصح قائلاً : « إننى لا أرى سبباً وجيهاً الآن فى إثارة هذه المسألة » .

فقال روزفيلت يوافقه فيما ذهب إليه : « الحق فى هذه المسألة هو أن العامة لم يعرفوا ولم يفهموا ، غير أن الأمر سيكون باعثاً على المساعدة والعون لى شخصياً إذا أصدر المارشال (ستالين) إعلاناً عاماً حول تنظيم أربعة انتخابات ، ذلك الإعلان الذى سبق أن أشرتم إليه » .

فابتسم ستالين وصرح قائلاً : « سيكون هناك الكثير من الفرص من أجل التعبير عن إرادة الشعوب » وحل بذلك مأزق الانتخابات الأمريكية التى أزعجت روزفيلت . ولما تم للزعيمين إغلاق ملف الدويلات البلطية ، انتقلا لمناقشة إنشاء منظمة أمم متحدة من شأنها أن تضمن مستقبل العالم فى الحرية والسلام .

وكانت النتيجة العملية الأولى هى أن سفراء الدويلات البلطية فى لندن كانوا تعرضوا للنزول بمرتبتهم إلى قاع القائمة الدبلوماسية . وهؤلاء الشعوب والمسئولون القادمون من دويلات البحر البلطى لم يتعرضوا أبداً للمقاساة والمكابدة من جراء المهانة فى واشنطن .

وعلى الرغم من أن وسائل الإعلان البريطانية والأمريكية - التى داهنتها حكوماتهم قدمت صورة ذهنية إيجابية عن التحالف الثلاثى الكبير ، إلا أن الحقيقة هى الشكوك المتبادلة المواظبة التى لم يبدها من حين لآخر سوى النوايا الأصلية .

وفى طهران ، كان تشرشل مشغولاً خصوصاً بالمعاملة الخاصة التى لقيها وأشعرته بأنه يأتى فى المرتبة الثانية بعد الفارسين الكبيرين روزفيلت وستالين إذ على الرغم من الابتسامات أمام المصورين ، إلا أن رئيس الوزراء شعر عمداً بأنه تعرض للازدراء من جانب الرئيس روزفيلت أمام ستالين .

وبدا روزفيلت مهتماً بإقناع الزعيم الروسى بأن الانجلوساكون لم يعودوا تقوم لهم قائمة ، بينما بذل الزعيم الروسى جهده للتعجيل بانقسامات بين الحلفاء . وهكذا ألقى ونستون تشرشل نفسه معصوراً بين العملاقين ، وكان يحاول جاهداً أن يعزز من التحالف مع موسكو ، غير أنه ظل مشكوكاً فى أمره فى عيون السوفيت .

فهو على أية حال كان يجاهر علانية بمساندته لمحاولات الإطاحة بالبلاشفة قبل

ذلك بعشرين عاماً ، وتلك تركة لا يمكن نسيانها أو التكتّم عليها . وتشكك ستالين في صدق وأصالة حديث تشرشل على الرغم من أوامر رئيس الوزراء إلى رئيس جهاز المخابرات البريطانية السرية وهو « ستيوارت مينريس » عام ١٩٤١ ، بإيقاف كافة الأنشطة المعادية للاتحاد السوفيتى أو حتى قصم الصلات مع العملاء والمبلغين .

كانت شكوك ستالين لها ما يبررها تماماً . إذ كانت عواطف وتوجيهات المستر تشرشل قد انعكست رأساً على عقب وبغضب وشدة . ففي بعض المناسبات كان يلعن البلاشفة ، ثم بعدها حينما أزعجته الانتصارات الروسية ، جعل لعواطفه تتقلب على قناعاته القلبية واعتناقته التى آمن بها مدى الحياة بأن الشيوعيين لا يمكن الوثوق منهم .

وفي طهران ، ثم بعد ذلك في مالطا ، كان يسعى للصدّاقة لأنه أعجب بستالين كعضو في نادى الزعماء . إلا أن مخاوفه من سياسة التوسع السوفيتى والعدوان والانحراف استفزته ليقوم بشن الهجمات الطائشة ضد البربرية التاريخية لروسيا أو الانخراط في الصمت .

ولقد علم « مينزيس » أن تشرشل يتعرض لتأثيرات العواطف المختلطة واعتبر أن جهاز المخابرات البريطانية السرية قد أوقف في عام ١٩٤٤ عملياته وأنشطته الخفية ضد الاتحاد السوفيتى . وكانت أسس المبادرة ترجع إلى سوء الثقة من جانب البلاشفة . وعبر عن ذلك ثلاثة رؤساء أركان حرب هم : السير « الآن بروك » والسير « تشارلز بورتال » والسير « أندرو كابنجهام » .

وفي صيف عام ١٩٤٣ ، وجه الرؤساء العسكريون الدعوة إلى مسئولى وزارة الخارجية البريطانية للشروع في المناقشات التى اقتضت على كبار القادة ، حول السياسة البريطانية على زمن السلم . وكان منبر اجتماعهم هو « لجنة التخطيط لما بعد العداوات » وفي أولى اجتماعاتهم ، استعرض الثلاثة السيناريوهات القائمة على افتراض أنه بعد هزيمة النازى سوف تصبح روسيا للمرة الثانية العدو الأول لبريطانيا . ولم يتفق ممثلوا وزارة الخارجية البريطانية بشأن حتمية العداء إلا أن المناقشات مع ذلك تواصلت . وبدأت تودداتهم تختفى في أوائل عام ١٩٤٤ . واقتنع رؤساء الأركان بأنه في أعقاب الحرب سيكون هناك موجّهات عسكرية مع روسيا في اليونان ، وتركيا ووسط أوروبا .

واقترح مسئولو وزارة الخارجية الذين أخذتهم الدهشة أن أية خلافات سوف يتم

تسويتها عن طريق المفاوضات . إلا أن هذا الأمر قد ألقى جانباً من جانب التحليل العسكري الإجماعي الذي قال بأن السوفيت أشرار ، ووصلت الخلافات ذروتها بعد سبعة أسابيع من الإبرار الأرضي في يوم شن الهجوم بنهاية يولية من عام ١٩٤٤ .

وقدم رؤساء الأركان في اجتماعهم باللجنة المذكورة سيناريو لما بعد الحرب كان بمثابة ابتعاد راديكال عن سياسة وزارة الخارجية . وقالوا : إن الولايات المتحدة سوف تعود إلى سياسة العزلة وأن الخيار الوحيد لبريطانيا لتجنب « خسران السلام » هو دراسة التحالف الإضافي مع ألمانيا ضد روسيا .

وعلى الرغم من أن التقييم السائد كان لا يزال يذهب إلى أن الحرب سوف تنتهي بحلول أعياد الكريسماس (أعياد الميلاد) ، فكان هذا الاقتراح اقتراحاً راديكالياً . ففي الماضي ، كان مسئولو وزارة الخارجية البريطانية يخضعون بصفة مؤقتة لوجهة النظر الكثيبة القائلة بأن الحرب مع روسيا ممكنة واردة مالم تكن حتمية ، ولكن النتائج العسكرية لم تكن عرضة للنقاش .

ورفض السوفيت مساندة الجيش البولندي الداخل وانتفاضته داخل وارسو ، وهي التي تسببت في آلاف من القتلى واكتشاف المقابر الجماعية في غابات « كاتين » التي حوت الضباط البولنديين الذين قتلهم الروس . وكان هذا أمراً غير قابل للتبرير أمام أعين رؤساء الأركان ، وكان بمثابة المثير للعداء والخوف في رأيهم .

وارتسمت خطوط المعارك بين الرؤساء الأركان ووزارة الخارجية بصفة رسمية عشية زيارة تشرشل إلى موسكو في أكتوبر ١٩٤٤ حيث قسم رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل ، والزعيم السوفيتي ستالين بجرة قلم أوروبا وفقاً لاتفاقية قائمة على النسبة المئوية .

وفي خضم أحد الاجتماعات المتوترة بين ايدين وسارجينت في ٤ أكتوبر ، رفض رؤساء الأركان الثلاثة قبول أن ألمانيا هي العدو الممكن الوحيد لبريطانيا وكسب المناقشة بقوله بأن التخطيط للطوارئ في الحرب مع روسيا يجب أن يستمر إلا أنه يقتصر على « دائرة ضيقة ومحدودة جداً » .

ووافق الرؤساء بناء على طلب « سارجنت » بأن مناقشاتهم وسجلاتهم سوف يتم إعطاؤها « معالجة أمنية خاصة » بسبب خوفه من أن شبح الدب « ربما يلقي بظلاله على الأوراق والوثائق . وكان مسئولو وزارة الخارجية البريطانية يتشككون أصلاً في

وجود الجواسيس السوفيت في « وايتهاول » لان الأجهزة الحكومية على زمن الحرب تصبح أقل استعداداً إلى استبعاد الشيوعيين من العمل السرى .

وفي الواقع ، كانت أعداد وأعضاء الحزب الشيوعى معروفة بأنها وضعت في المناصب التى تمكنهم من الاطلاع على المعلومات والوصول إليها وبخاصة المعلومات ذات السرية العظمى ، وطالما أن كلا من المسئولين العسكريين ومسئولى وزارة الخارجية البريطانية صاروا يقترحون للمرة الثانية بأن روسيا هى العدو والتهديد المستقبلى الكامن ضد بريطانيا فكان من الطبيعى فى نوفمبر ١٩٤٤ بالنسبة للسير « ستىوارت مينزيس » أن يخطط لإعادة إقامة القسم رقم ٩ الا وهو القسم المناهض للاتحاد السوفيتى .

وتوقع تعيين « فيليكس كوجيل » رئيساً للقسم ، وقد كان قد أدار بنجاح القسم رقم ٥ ، وهو فرع المخابرات المناهضة (المضادة) . إلا أن مينزيس تعرض للإقناع بتعيين رئيس القسم « ايبيريا » التابع للمخابرات البريطانية وهو « هارولد كيم » ، فيلبى « ليتراس على هذا القسم .

وطلب مينزيس من فيلبى أن يعيد بناء القدرات المضادة للجاسوسية داخل أجهزة الاستخبارات البريطانية للبحث عن العملاء السوفيت الذين يعملون فى الخارج إلا أنه فى إطار اجتماعاتهم الأولى ، كان « فيلبى » يسعى إلى موافقة « مينزيس » لتوسيع القسم رقم ٩ ومسئوليته ليشمل على الجاسوسية البريطانية داخل الاتحاد السوفيتى .

وفى ضوء مناقشات وزارة الخارجية مع رؤساء الأركان ، شعر مينزيس بالبغض والمقت ضد اقتراح « فيلبى » . وقال : إن جهاز المخابرات البريطانية السرية فى حاجة إلى بعث وإحياء مقدراته على جمع الاستخبارات والمعلومات داخل الاتحاد السوفيتى . وتلقى « فيلبى » موافقة رسمية فى فبراير عام ١٩٤٥ وشرع فى الاتصال بأولئك الضباط الذين تؤهلهم خبراتهم السابقة لتولى العمل والمسئوليات الجديدة فى هذا القسم الجديد . وكان من بينهم المستر « هارى كار » رجل مخابرات ستوكهولم .

ومنذ بداية العام ، قال المستر « كار » لـ « كولىبى » : انه جمع هو و « بوسلى » معلومات استخبارية من دول البحر البلطى وأقام صلات لاسلكية مع المقاومة فى

لاتفيا : وقال « كار » في تقاريره : إن السويد تطورت إلى موقع مثالي لمراقبة الاتحاد السوفيتى بسبب التدفق المتزايد من اللاجئين القادمين من دول البحر البلطى .

وحتى عام ١٩٤٤ ، وصلت مجموعة هزيلة من هؤلاء اللاجئين ولكنهم لم يجدوا ترحيباً بهم لدى الاستقبال فى ستوكهولم . وكانوا أصلاً قد فروا من الروس ثم بعد ذلك من الألمان . وفى عام ١٩٤٢ ، لم يعد أهل البلطيق مرتبكين بشأن ما إذا كان الألمان قد جاءوا محررين لهم أو فاتحين لبلادهم .

ولم تعد إليهم ممتلكاتهم التى صادرها الروس ، كما أن عملتهم الروسمية انخفضت قيمتها . فضلاً عن ذلك شرعوا فى استئناف عمليات القبض والترحيل . وفى الوقت الذى تم فيه إرسال بعض قوميات تنتمى إلى بلدان البحر البلطيقى إلى ألمانيا للعمل فى المصانع وكتائب العمل ، ثم حشد النازيون حوالى ربع مليون يهودى من الذين وقعوا فى شرك الخطوط النازية ليتم إبادتهم .

إلا أن هذه المذابح لم تظهر فى المظاهرات والاحتجاجات القومية بشأن مصير أوطانهم ، وبخاصة فى التقارير المرسله إلى « كار » وسائر عملاء استخبارات الحلفاء فى ستوكهولم . إذ كان جل اهتمامهم عام ١٩٤٤ هو وشوك إعادة الروس احتلال بلادهم من بلدان البحر البلطى .

ولقد حولت الحكومة السويدية ولاءها بعيداً عن الألمان وصارت تدين بالوفاء إلى الحلفاء ، وهو أمر عكس اهتمامها أساساً بمصالحها حيث أن التفوق الألمانى الذى كان أمراً لايشق له غبار أو ينازعه أحد قد عفى عليه الآن الدهر ، وذهبت قوة ألمانيا أدراج الرياح .

ولم تكن دول أوروبا الغربية ومنها فرنسا وبريطانيا تتوقع أن تتحول السويد على هذا النحو المثير للدهشة ، وبخاصة لو علمنا أن السويد كانت دولة مؤيدة للجنس الأرى ومعادية للشيوعية . وكان هذا أمراً ظاهراً ، وتبدى من خلال الخلافات التى صارت بين السويديين المؤيدين والمتعاطفين مع الحلفاء وأولئك المؤيدين والمتحالفين مع النازيين .

ولعل هذا الانقسام كان من الواضح بحيث يمكن ملاحظته ، إذ اكتشفت أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية أن ثمة انقسام بين أجهزة المخابرات السويدية التى تنقسم إلى قسمين كبيرين : الأول هو المخابرات العسكرية المعروفة باسم : « سفينسا

ميلتو جانست « والوكالة المدنية (المخابرات العامة) المسماة باسم « المانر ساكيرانست » .

ولم يخفف هذا الانقسام في عام ١٩٤٤ ، إلا أن الأولوية عند المخابرات السويدية أصبحت التقارب مع التوجهات والأهداف التي تعمل انطلاقاً منها كلا من المخابرات البريطانية السرية ، والمخابرات الأمريكية التي كانت تعرف حتى ذلك الحين باسم « مكتب الخدمات الاستراتيجية » ، قبيل تأسيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة . واستهدفت كل هذه الأجهزة الاستخبارية اكتشاف اتجاه حركة الحرب عبر منطقة البحر البلطى .

وكان السويديون يخشون أولاً وقبل كل شيء من أن يكون الروس يزمعون تحرير الدانمارك والنرويج ثم غزو السويد كأمر محتمل . فاعتمدوا على العملاء كمصدر مثالي للمعلومات وهم الذين اخترقوا الدول البلطية . وفي عام ١٩٤٤ ، سمع « كار » أن كلا من أجهزة المخابرات السويدية (العسكرية والمدنية) كانت تعد العدة للاختراق فكان أمراً طبيعياً أن تتلقى المخابرات البريطانية بعض المنافع والفوائد .

كان وجود المخابرات البريطانية في السويد يعتمد موافقة السويد حول مسألة أن أية عملية تقترحها الأجهزة الاستخبارية البريطانية لن تكون بمثابة الانتهاك لحياة الدولة المضيفة . ومن هنا كان لزاماً على المستر « كار » أن يفوز بالحظوة لدى المخابرات السويدية ، تماماً كما فعل من قبل في فنلندا . فكان من بين أفضل اتصالاته تلك التي أجراها مع السيد « اكى إيك » من جهاز الاستخبارات العسكرية السويدية .

وكان السيد « إيك » قد خطط قبلاً مؤامرة دقيقة للاختراقات . فاستطاع باستخدام أسطول صغير من الزوارق الصغرى وبموافقة الحكومة السويدية أن يبدأ في عبور البحر البلطى في مهمات انتحارية ، من أجل جمع واستعادة اللاجئين . وكان معظم حالات الوصول خاصة بالمدنيين الأبرياء الذين فروا للنجاة بأنفسهم وأرواحهم ، إلا أن البعض الآخر جاء إلى السويد سعياً إلى العون والمساعدة ، فضلاً عن أن هناك مجموعة عاشت في الغابات خوفاً من الترحيل .

كان معظم الأفراد يتشككون في أن يكون المستر « اكى إيك » متعاطفاً مع الألمان ، فقد كان يحبذ على وجه الخصوص أن يكون الضباط الألمان والجنود النازيون ومصادر الرايخ الثالث الألمانى هي مصادره الاستخبارية . حيث كانت مميزاتهم والثقة

فيهم باعتبارهم أعداء للشيوعية وخبراتهم المكتسبة .. كلها ذات قيمة لاتقدر بمال .

وبرغم المعرفة بأن واجباتهم الأخيرة اشتملت على القيام بعمليات التعذيب والترحيل والإعدام ، إلا أن السلطات السويدية اعتبرت هؤلاء الضباط أبطالاً اضطلعوا بمهام وطنية ، وبأنهم تلقوا تفويضات لاغتيال وتصفية الخونة لأنهم ضحايا هم كانوا في الغالب « شيوعيين » .

وتم تشغيل بعضهم لدى وصولهم إلى السويد كموظفي أرشيف حكوميين وذلك ليتسنى فيما بعد منحهم الجنسية أو المال للهجرة إلى جنوب أمريكا . ونظم المستر « إيك » في صيف ١٩٤٤ أولى عملياته التي بلغت الستين ، ونقل العملاء التابعين له في زوارق الإنقاذ للقيام بمهام استكشافية وعمليات استطلاعية ذات مدى قصير .

وتم العهد بالمسئولية عن الاتصالات نيابة عن المخابرات البريطانية السرية مع المستر « إيك » إلى فريق المستر « كار » وبخاصة عضو هذا الفريق وهو الذي أطلق عليه اسم « إليكسندر ساندى ماكيبين » . وكان مولده في موسكو عام ١٨٩١ ، لأب ثرى يمتلك أحد الأسواق التجارية وكانت عائلته تعيش على مدار جيلين من الأمان في روسيا .

وكان « ماكيبين » شأنه في ذلك شأن المستر « كار » يتمتع بالتحدث بطلاقة اللغة الروسية ، ويحب وطنه وكان يفرزه الثورة البلشفية . وفي السنوات التالية حينما انغمس في إرسال العملاء إلى روسيا ، كان يقص ويحكى مازحاً القصة الخاصة بكيفية صناعته لقنبلة عام ١٩١٧ كان ينوى إلقاءها على مبنى الحزب الشيوعى ، ولكن لم يوقفه أحد سوى أبيه . الذى قال له حينذاك : « لاتنس أنك أصلاً سكوتلندى ، وأن مايفعله الروس لاشأن لك به » .

واستطاع « ماكيبين » أثناء سنوات الحرب أن يقيم لنفسه سمعة طيبة كتاجر شهير ومعروف في « تالين » ، وعلى الرغم من أنه لم يكن عميلاً أساسياً (كل الوقت) داخل أجهزة الاستخبارات البريطانية السرية ، إلا أنه كان جاسوساً موثقاً فيه يتحدث اللغة الاستونية ، والروسية والألمانية ، واستطاع بمساعدة « هلمى » زوجته الفنلندية أن يشىد شبكة واسعة من الجاسوسية بين أجهزة المخابرات الاستونية والعسكرية والسياسية .

وفي عام ١٩٢٩ هرب « ماكيبين » إلى هلسنكى ، وتخلّى عن أعماله وبيته وممتلكاته . ووصل وهو يمقت ويشمئز من البلاشفة أكثر من ذى قبل . ذلك أنه استمر

فترة من الزمن يورد المعلومات إلى « كار » وهي التي كان يحصل عليها من خلال حلقات الصلة والشخصيات الاستونية وبخاصة شبكة من البحارة أقامها دبلوماسي سابق وجاسوس بالمخابرات البريطانية هو « الكسندر فارما » إلا أنه في عام ١٩٤٠ ، عاد أخيراً إلى بريطانيا . وفي أواخر ١٩٤٢ ، وصل إلى ستوكهولم كضابط كامل المسئوليات في أجهزة الاستخبارات البريطانية ، وقد جاءت تكاليفات لبناء شبكة من الجواسيس الذين ينتمون إلى قوميات بلطية ، وهي التي من المقرر لها أن تتوسع في روسيا نفسها فيما بعد .

وكان المستر « وولتر زيلينكاس » البالغ من العمر ٢١ عاماً وهو دبلوماسي صغير سابق ، كان حلقة الصلة بين المستر « ماكيبين » في استوكهولم مع ليتوانيا . تقابل الرجلان لأول مرة قبل اندلاع الحرب في السفارة الليتوانية في تالين .

ولم يكن المستر « زيلينكاس » ورئيسه « فيتوتاس جيليس » أية خط اتصالات مباشر مع ليتوانيا إلا أنهما كانا يتلقيان جمهرة من المعلومات من الكولونيل « كازيس سكيربا » ، الممثل الليتواني في برلين ، تلك المعلومات التي كانوا يعيدون تقديمها إلى « ماكيبين » .

ربما كانت مصداقية سكيربا موضعاً للتساؤلات أمام المستر « ماكيبين » إلا أن « زيلينكاس » طمأن الرجل البريطاني أن « سكيربا » ليس موالياً للنازي ، وإنما هو فحسب رجل معادي للروس .

كان الليتوانيون يجدون فخاراً ويتفاخرون بإلحاقهم الفشل بألمانيا حينما أرادت إنشاء كتبية ضاربة ، إلا أنهم كانوا يحذفون ذكر حقيقة أن حوالي ٢٠,٠٠٠ ليتواني قد انضموا إلى « الكتائب البوليسية » ، وكانت هذه الكتائب بالفعل عبارة عن فرق اغتيالات وجريمة تضطلع بتنفيذ الحل النهائي ، في حين أن الآخرين كانوا يحاربون مع الجماعات النظامية التي أطلق عليها اسم « فيراخت » ، ضد الفلاحين الشيوعيين .

بدلاً من ذلك ، كانوا يمجدون فضائل الجنرال « بوفيلاس بليخافوس » الذي استطاع تجنيد ٢٠,٠٠٠ جندي للحرب ضد السوفيت ، وذلك بالاتفاق مع الألمان ، ثم سرعان ما أصدر أوامره بهجر القضية حينما نكث الألمان بوعودهم فان تلك القوة ستبقى جيشاً ليتوانياً ، ولن يتم دمجها في الجيش الألماني .

وفي خريف عام ١٩٤٤ ، علم المستر « ماكيبين » أن هذه القوة المدربة ماهي إلا دعامة جيش متزايد من الفلاحين المعادين للشيوعية سوف يجتذب مئات الليتوانيين ،

الذين سيفرون إلى الغابات استعداداً للقتال حتى الموت .

واقترح « زيلينكاس » أن أكثر حلفاء الغرب مصداقية في المنطقة هي منظمة تدعى « فليك » أو « اللجنة العليا لتحرير لتوانيا » . وشرح الدبلوماسي السابق الحقائق القائلة بأنه على الرغم من أن « فليك » كانت تتعاون مع الألمان ، إلا أن قيادتها وزعامتها كانت مناهضة للشيوعية .

ووجدت أجهزة الاستخبارات البريطانية أنه من الواجب إقامة حلقة اتصالات مع « فليك » هي التي سوف تنسق وتتزعّم المقاومة حينما يصل الجيش الأحمر ، كان مرشح المستر « زيلينكاس » للمهمة هو « الجير داس فوكيتيس » ، أحد القوميين المعادين للألمان .

كان المستر « ماكيبين » تواقاً إلى المساعدة إلا أنه كان يفتقد إلى المال . ومن هنا اتفق على أن يتودد « زيلينكاس » إلى ممثل الاستخبارات الأمريكية المعروفة باسم « مكتب الخدمات الاستراتيجية » ، أما السفير الأمريكي في ستوكهولم « هيرشيل جونسون » فقد كان ينظر إلى الأنشطة الاستخبارية على أنها « ممارسة شيطانية » ، وأعاق مثل نظيره البريطاني ضباط مكتب الخدمات الاستراتيجية كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

تألم عدد من الرجال من بينهم « ايفر أولسين » الذي كان يعمل رسمياً سكرتيراً مالياً في السفارة ، وهو الذي كان عام ١٩٤٤ أيضاً قد تلقى إعاره للعمل ملحقاً خاصاً في « هيئة لاجئي الحرب » .

أسس هذه الهيئة الرئيس روزفيلت لإنقاذ ضحايا الاضطهاد النازي الذين كانوا لايزالون يعيشون في أوروبا . وكانت أساليب الهيئة هي إما بذل الضغوط الدبلوماسية أو اتخاذ العمل المباشر ، وكانت ميزانيتها تبلغ ربع مليون دولار ، وهو مبلغ ضخم في ذلك الحين . واستأجر المستر « أولين » بالاتفاق مع الحكومة السويدية زوارق لعبور البحر البلطي من أجل إنقاذ المضطهدين .

وكان من بين نجاحاته الشهيرة هي إرسال « راوول والينبرج » إلى المجر حيث أنقذ السويدي آلاف اليهود . وأنقذ جهود « أوسلين » ألف ومائتي شخص إلا أن محاولاته استخدام نفس الزوارق للتسلل وبث العملاء للاختراق ، فقد وقعت في المحذور ، ذلك أن تعليمات الرئيس الأمريكي حرمت القيام بأية أنشطة من شأنها أن تجعل ستالين يعتبرها أنشطة معادية .

وفي عام ١٩٤٢ ، قال الرئيس روزفيلت للمستر « وليام دونوفان » مؤسس ومدير مكتب الخدمات الاستراتيجية : إن الاتحاد السوفيتي لا ينبغي أن يكون هدفاً للمخابرات من جانب الاستخبارات الأمريكية ، وبالتالي يجب إيقاف كافة العمليات . وفي العام التالي ، حاول « دونوفان » أن يقلب هذا الحظر ، إلا أنه على الرغم من تلقيه موافقة شفوية من أركان الحرب المشتركة كانت سياسة الرئيس هي القيام بإحداث التعاون الوثيق .

وبحلول ديسمبر ١٩٤٣ ، بلغت الأمور ذروتها بتوقيع اتفاقية على مستوى عال بين مكتب الخدمات الاستراتيجية والبوليس السري السوفيتي المعروف باسم « إن - كيه - في - دي » لتبادل المعلومات والممثلين . وأوضحت مذكرة داخلية لمكتب الخدمات الاستراتيجية موقعة بتاريخ ٤ فبراير عام ١٩٤٤ بعنوان « المعلومات الاستخبارية المقدمة إلى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية » ، أوضحت أن روسيا سوف تعطىها معلومات استخبارية ربما تكون ذات أصل منفرد بين معلومات مكتب الخدمات الاستراتيجية وربما كان من شأنها أن تسدى النفع الكبير لتلك البلاد أثناء انخراطها في الحرب ضد ألمانيا .

أما « ادجار هوفر » مدير مكتب الاستخبارات الفيدرالية فقد أعاق التبادل الخاص بهيئة العاملين ، في حين أن « دونوفان » أطاع الرئيس وقدم حوالى ١٥٠٠ صفحة من الأكواد السوفيتية التي حصلت عليها محطة مكتب الخدمات الاستراتيجية في ستوكهولم من « رنيو هاللام » الرئيس السابق للمخابرات الفنلندية الذي كان في المنفى بالسويد .

أما الهدية الأخرى التي قدمها روزفيلت إلى ستالين عام ١٩٤٤ ، فقد كانت عبارة عن دوسيه استخباري ملء بالمعلومات عن المقاومة في لاتفيا ، وكان مكتب الخدمات في ستوكهولم صنعه من واقع المقابلات الشخصية مع اللاجئيين . وعلى مدار عام ١٩٤٤ كان التدفق الاستخباري يتم بصفة خاصة في اتجاه واحد من الغرب إلى الشرق .

ووافق « أوصلين » بناء على طلب اثنين من الدبلوماسيين اللتوانيين هما « زيلينكاس » و « جيليس » على تمويل تسلل « الجيرداس فوكيتس » إلى الاتحاد السوفيتي وبخاصة المنطقة التي تسيطر عليها ألمانيا .

وبعد تلقيه المعلومات في ربيع عام ١٩٤٤ ، هبط « فوكيتس » على شاطئ قريب

من « بالانجا » مزوداً بأوامر للاتصال مع أحد مشغلي أجهزة اللاسلكى « الراديو »
المدرين جيداً ، والذي كانت مهمته تقتصر على إجراء اتصالات الفلاحين الليتوانيين
بالسويد ، وتعليمهم كيفية عمل ذلك .

بعد ذلك بأسبوع قبض على « فوكيتس » وأرسل إلى معسكرات التعذيب الألمانية
المعروفة بمعسكرات التركيز في « ستاتوف » . وحتى نهاية الحرب ، لم يتم إجراء أية
عمليات إضافية في ليتوانيا .

كانت فرص الاستخبارات البريطانية السرية في « لاتفيا » أكثر تشجيعاً . وكان
حلقة الصلة بين جهاز المخابرات البريطانى في لاتفيا هو الدكتور « فالديمارس
جينترس » الذى كان مصدراً هاماً من مصادر الاستخبارات السرية البريطانية في
منطقة البحر البلطى وبالذات في مدينة « ريجا » الساحلية . وذلك في فترة ما قبل اندلاع
الحرب العالمية الثانية ، وحدث أن هرب عام ١٩٤٢ إلى السويد لينجو بحياته من
الألمان .

وزعم « جينترس » أن إحدى المنظمات السرية القومية الكبرى واسمها « المجلس
المركزى في لاتفيا » تم إنشاؤه في لاتفيا بنهاية عام ١٩٤٢ وكان يقدم خدماته لجهاز
المخابرات السرية البريطانية . واشتمل أعضاؤه على « فينتريس يتبفرس » و « برونو
كالنين » وكلاهما كانا معروفين بعدائهما للنازية ، وكان ذلك بمثابة الاعتبار المهم طالما
أن حوالى ٣٠,٠٠٠ رجل من « لاتفيا » قد تطوعوا للانضمام إلى فيلق « لاتفيا » المعروف
باسم فيلق « إس - إس » .

وأكد الجواسيس الموثوق فيهم أن ضباط « هيميلر » قد قاموا بحشد أتباعهم
للقيام بمذبحة ضد مجموعة كبيرة من متطوعى لاتفيا الذين كانوا على استعداد للحرب ،
وذلك في الغابات القومية من « ريجا » وبلغ عدد المذبوحين عشرات الآلاف . وأن فرقاً
عديدة من فرق الإعدام في لاتفيا كانت تتجول في أوروبا الشرقية لقتل ما لا يعد
ولا يحصى من المدنيين الأبرياء يومياً . لم يكن « جنترس » متورطاً في هذه الفظائع .

بل كان يعرض تقديم حلقات الصلة القديمة التابعة للمخابرات السرية البريطانية
ويزودها بالمسجلات وأجهزة اللاسلكى وحلقات الصلة بالراديو مع لاتفيا ، وكلاهما
كانت ترسل بالتقارير عن الاحتلال الألماني .

وقبل البريطانين العرض الذى تقدم به وأرسلوا إليه ٥٠,٠٠٠ كرونه سويدية تم

دفعها بطريق غير مباشر توخياً للحذر من خلال ضابط بحرى سويدي ، هو الكابتن جوانسون . وكان هذا الضابط هو الصلة التي يتم عن طريقها تقديم التعليمات إليه واستقاء الاستخبارات والأسرار من الألمان ليتم بعد ذلك إرسالها إلى بريطانيا .

عبر « بيتر كليبتس » البحر البلطى إلى السويد في قارب صيد ، وكان أصلاً عميلاً استخبارياً ، وجلب معه معلومات حيوية : هي تكوين شبكة مقاومة جديدة قوامها ألف رجل في غابات « كورلاند » تحت قيادة الجنرال « جانيس كوريليس » وكان « كار » لايفهم عن الجنرال كوريليس وعمله السياسى إلا انه كان معادياً لكل من النازية والشيوعية : الألمان والسوفيت .

وعاد « كليبتس » بمساعدة البريطانيين مستخدماً أحد الزوارق إلى لاتفيا . وكان مسافراً على نفس الزورق أحد الرجال الغرباء وهو « إروين هاسليمان » واستخدم اسماً مستعاراً هو « ليليا » . كان « ليليا » مكلفاً بتنظيم شبكة بريطانية في لاتفيا تقوم بكتابة التقارير حول الأنشطة السوفيتية في أعقاب الانسحاب الألماني ، والقيام بقيادة وتزعم فريق مكون من عشرة رجال عبر الجبهة إلى داخل الأراضى التي يسيطر عليها السوفيت .

وابتهاجاً بنجاحه ، أرسل « سالنيس » بتفاصيل الاتفاق إلى « ريجا » وبدأ في الاجتماعات الشهرية الدورية مع ممثل الاستخبارات البريطانية ومكتب الخدمات الاستراتيجية الأمريكى (المخابرات الأمريكية على عهد الحرب العالمية الثانية) ، وقدمت التقارير إلى لندن وواشنطن حيث كانت تدمج مع المخصصات التي توزع على القيادات ذات التسلسل القيادى على كافة المستويات في كل من « داوننج ستريت » مقر رئاسة الوزراء البريطانية ، والمكتب البيضاوى ، مقر الرئاسة الفيدرالية الأمريكية .

كانت أجهزة الأمن الألمانية مهتمة اهتماماً خاصاً ومتزايداً بالمقاومة كوسيلة تقود إلى مراقبة النوايا البريطانية . وفي صيف ١٩٤٤ ، حينما تقدم الجيش الأحمر إلى بلدان ودويلات البحر البلطى الثلاث ، وتراجع الألمان آنذاك إلى بولندا ، تزايدت حدة هذه الاهتمامات .

كانت منطقة « كورلاند » في لاتفيا عبارة عن غابات كثيفة بطول الساحل المطل على البحر البلطى وتطورت إلى منطقة عسكرية كبرى لايمتلكها سوى من يقيم عليها .

وبالرغم من أنها كانت تقع تحت السيطرة السوفيتية إلا أنها كانت مرتعاً للجماعات الكبرى من القوات والجنود المعاقين والبائسين ومنهم جنود تابعون للفيلق اللاتيفي المسمى باسم (إس - إس) وجنود « فيرماخت » ، وقوميات تنتمي إلى دويلات البحر البلطي ، والطلاب وعمال المصانع والمزارعين ، وكل هؤلاء كانوا يخشون على حياتهم .

واشترت عائلات كثيرة تذاكر سفر بالقطارات إلى ألمانيا وهجروا بيوتهم إلى الأبد ، كما سافر الشباب باتجاه الغرب وهجروا مدارسهم وانضموا إلى الـ « فيرماخت » لحفر الخنادق المضادة للدبابات لحماية الجيش المتراجع ثم العمل بالسخرة في المصانع الألمانية .

أما هؤلاء ذوو القوة الجسدية أو الصحة من الرجال الذين مكثوا في ديارهم فقد كانوا يلقون مصيراً محتوماً ومعروفاً أثناء الصيف : الا وهو الترحيل إلى سيبيريا كأعداء لروسيا والتجنيد في الجيش الأحمر لاستمرار الحرب . ولقد أدى هذا التصرف من جانب الشيوعيين إلى طرد المزيد والمزيد من الناس إلى الغابات والريف .

وكان من بين أولئك الذين أصابهم التقهقر الألماني مجموعة « كوريليس » وصدر الحكم عليهم ونفذت فيهم أحكام بالإعدام « بسبب اتهامهم بالاتصالات مع فيلق إس - إس » في لاتفيا . وهرب الآخرون إلى غابات « كورلاند » واختبأوا هناك بطول السواحل ، وكانوا يتصلون بأجهزة المخابرات السرية البريطانية عن طريق الراديو واللاسلكي وزوارق الصيد .

وجاء في رسائلهم أن حوالي عشرة آلاف من الفلاحين يعيشون بطول النتوء الجبلي البارز من غابات كورلاند وذلك بجوار آلاف من القوات الألمانية الذين قطع الجيش الأحمر عليهم طرق العودة .

وبمضاهاة تقارير « زيلينكاس » عن وجود ثلاثين ألف فلاح على الأقل في غابات ليتوانيا ، وحوالي ١٠,٠٠٠ في استونيا ، بدت احتمالات وفرص الأنشطة أمام المخابرات السرية البريطانية .. بدت واعدة ومشجعة . أما وصفهم بأنهم « فلاحون » أو « أعضاء في المقاومة » ، ومعادلتهم بالفرنسيين العاملين تحت الأرض كان أمراً ملائماً لأنفسهم وللمتكفلين بهم ، إلا أن الوصف كان غير دقيق على الإطلاق .

على أية حال ، كل هؤلاء المشردين في البرية طالبوا بمساعدة وعون بريطانيا للحصول على استقلال بلادهم عام ١٩١٨ واعتقدوا أن إذاعات هيئة الإذاعة البريطانية

الماضية حول ميثاق الاطلنطي ماكانت إلا ضمانات مؤكدة حول استقلالهم وإبعادهم عن قبضة الجيش الأحمر .

لم يصب الوهم أياً من عملاء أجهزة الاستخبارات العاملة في ستوكهولم ، أو أمالهم بأن الحزب سوف يستخدم قصارى جهده لاستعادة استقلال بلادهم ، بل على العكس بدأت تلك الأجهزة الثلاث المناقشات حول زيادة مساندتهم للفلاحين ، يصاحبها وعود حول المستقبل الأفضل .

وكان من بين هؤلاء القراء « برودواي » لتقارير المستر « كار » ، هو المستر « كيم فيلبي » ، الذي اكتشف وجود ثلاثة عوامل ذات أهمية قصوى : ألا وهي الحجم المقدر للجماعات الفلاحية ، واليسر الظاهر في الاتصالات مع السويد ، ثم زرع العملاء في داخل الأراضي السوفيتية .

وتذكر المستر « فيلبي » أن إحدى وأولى وكبرى حلقات اتصالاته في روسيا كانت في لاتفيا . وكان يعمل مراسلاً لصحيفة « التايمز » في أسبانيا عام ١٩٢٧ ، وكانت حلقات الصلة بينه وبين المخابرات السوفيتية المعروفة باسم « كى - جى - بى » هو « جانيس بيرزينز » الذي كان يعمل مستشاراً عسكرياً للقوات المعادية للجنرال فرانكوا تحت اسم مستعار هو « الجنرال جويسيان » .

كانت رسائل « فيلبي » تمر إلى الرجل القادم من لاتفيا عن طريق وسيط في البرتغال إلا أن الرجلين التقيا وصارا صديقين ، ولم يترنح التزام وولاء المستر « فيلبي » للشيوعية في عام ١٩٢٩ حينما تم استدعاء « بيرزينز » إلى موسكو مع ضابطين آخرين ينتميان إلى لاتفيا وكانوا جميعهم يعملون لحساب الـ « كى - جى - بى » ليتم إعدامهم هناك بتهمة الخيانة ، وذلك في إطار حركة التطهير الكبرى التي قام بها ستالين ضد خصومه .

إلا أن قتل هؤلاء جرد المخابرات الروسية « كى - جى - بى » من أكثر الضباط كفاءة وأعاق من عمليات القبض الجماعية التي قامت بها تلك الأجهزة عام ١٩٢٩ وبعد ذلك بخمسة أعوام ، حينما شرع « فيلبي » في كتابة التقارير إلى موسكو حول العمليات الدائرة والمنفذة في البحر البلطى تحت زعامة وتوجيهات المستر « كار » ، لم يستطع « كى - جى - بى » أن يستعيد أى شيء ولاحتى تواجداً اسمياً في المنطقة .

وهكذا كانت تقارير المستر « كار » ذات اهتمام خاص لدى القسم التاسع داخل

أجهزة الاستخبارات البريطانية السرية وتلقى التشجيع نظير هذا العمل ، وفي مارس ١٩٤٥ ، تبادل « كار » الاتجاه الإيجابي الذي تبنته لنديداً أخيراً وبوضوح تجاه مسألة جمع الاستخبارات والمعلومات المخبرانية داخل الاتحاد السوفيتي .

ولأجل ضمان الاتصالات الأكفأ والأكثر إتقاناً ، تم تدريب رجلين من مشغلي الراديو واللاسلكي وهما : « ارثر ارينتس » و « ريهاردز زاندي » ، على أيدي المستر « تيفيرز » على أجهزة ومعدات قدمتها المخابرات البريطانية السرية ، وتم إرسالها بصفة فردية إلى « لاتفيا » ، وكانت مجموعة « جينتوس » توفر الحماية لكل منهما ، وهي التي كانت تحتوي بين أفرادها على عدد من الجنسيات اللاتفية الذين قدموا خدماتهم تحت إمرة وقيادة الألمان .

وكان هناك شخص يسمى « روبرت سيرس » أحد الضباط في فرقة « جاجد كوماندو » الألمانية وكان في السنوات الثلاث الماضية يقوم بتشويهه وقتل أي لاتفي يعارض الاحتلال الألماني لبلاده .

أما الآخرون العاملون في جماعة « جينتوس » والذين كانوا أعضاء في فرقة كوماندو خاصة يتزعمها الميجور « فيكتور أراجاس » هم الذين قضاوا العامين الماضيين كفريق إعدام في أوروبا الشرقية .

كانت هذه المجموعة في مامن بصفة مؤقتة من الجيش الأحمر والـ « كى - جى - بى » ، وكانوا ينتظرون حينما اندلعت معركة « برلين » على بعد ألف كيلومتر ، فقد كانوا على قناعة بأن حلفاءهم الحقيقيين هي أجهزة المخابرات في السويد .

وفي الجنوب وعلى بعد ثلاثمائة ميل ، في ليتوانيا ، كانت معركة كاملة العناصر يدور رحاها بين الفلاحين والمحتلين الجدد للبلاد ، أما مسئولية استعادة ليتوانيا للرزوح تحت الحكم السوفيتي فقد عهد بها الزعيم ستالين شخصياً إلى « ميخائيل سوسلوف » ، الذي علا نجمه في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي الحاكم .

إلا أنه بحلول أواخر الصيف ، اعترف « سوسلوف » بأن الريف في الليل يقع تحت سيطرة ١٠٦٧ من جماعات الفلاحين وحوالي ٨٢٩ من جماعات قطاع الطرق ، وأن هذه البيانات تمثل حقيقة واقعة لا يمكن الجدل بشأنها .

وناشد « سوسلوف » موسكو ليرسل أحد المتخصصين الذي يستطيع قمع الخسائر غير المقبولة التي كان الجيش الأحمر يتكبدها . أما رجل المهام الصعبة الذي

وصل في سبتمبر فهو الجنرال « سيرجي كروجلوف » نائب منطقة « بيريا » في كوميساريا الشئون الداخلية ، وكان قد حاز سمعة طيبة عكست الاعمال الشريرة التي نفذها إبان حملة التطهير الكبرى التي قام بها ستالين .

وانعشت عودة الجيش الأحمر ذكريات التجميعات القسرية ، والاستيلاء على الممتلكات والترحيلات الجماعية التي راح ضحيتها قبلاً حوالي عشرين بالمائة من السكان . ووجد الكثيرون العزاء لانفسهم في أن الاحتلال الروسي سوف يكون احتلالاً مؤقتاً للمرة الثانية . إن العسكرية الألمانية - حسبما تكهنوا بذلك - سوف تطيح بهتلر وسوف يتم دعوته لتشكيل ائتلاف مع أمريكا وبريطانيا من أجل شن حرب صليبية ضد الشيوعية ، وطرد الجيش الأحمر من برلين ورده على أعقابها إلى داخل روسيا .

وتحدث المعادون للشيوعية في عدد من الاجتماعات السرية عن احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة لفرض ميثاق الاطلنطي على الزعيم السوفيتي ستالين . وبدأت الدبلوماسية السرية على أيدي رئيس وزراء بريطانيا انتوني ايدين عام ١٩٤٠ ، وعزز منها عام ١٩٤٤ تدخلات الرئيس الأمريكي روزفيلت في طهران .

ولم تكن مسألة سوء تفسير تحالفات زمن الحرب بين الدول الكبرى الثلاث - وقد كان هذا أمراً محتوماً ومسألة قدر - بالشىء الغريب أو غير المألوف ، بل كان متوقفاً . واقترح نفس السيناريو الكثيرون من كبار ضباط ألمانيا وساستها على ضباط استخبارات أجهزة مخابرات الحلفاء في السويد وسويسرا .

اما « آلان دالاس » ممثل مكتب الخدمات الاستراتيجية الأمريكية في بيرن ، فقد نقل المفكرة إلى واشنطن ، إلا ان أولئك المتعاطفين مع الشيوعيين تجاهلوا تصميم وعزم روزفيلت على البقاء على علاقات طيبة مع ستالين ، وأن يلتزم بالسياسة المتفق عليها والتي قضت بالاستسلام غير المشروط من جانب ألمانيا .

ثم قام المستر « كروجلوف » بالتحريض على إثارة أعمال العنف في ليتوانيا مما أدى إلى انقلاب عدة آلاف من الفلاحين وتخليهم عما كانوا محتشدين من أجله ، إلا أن الجمهرة الكبرى لم تتأثر وبلغت حوالي ٢٠,٠٠٠ التزموا بالقتال .

كما كان ثمة كثيرون يتعشمون في أن يفى الرئيس الأمريكي بتعهداته المعلنة . وتأججت نفس العواطف بين صفوف الشعوب اللاتفية التي كانت تتخذ من غابات

« كورلاند » مقرراً لها مؤقتاً ، على الرغم من أن « جينترس » الذى أصابه الضنى والألم وخشى من الأسر ، استقل زورقاً من زوارق الصيد وشد رحاله إلى السويد .

وسرعان ما انضم إليه الرجلان اللذان كانا يعملان مشغولين للراديو وهما « ارنيتس » و « زاندى » كما لحق بهم أيضاً المستر « سيبريس » . ولما وضعت الحرب أوزارها ، وتم تعزيز السيطرة والنفوذ الروسى ، بدت أجهزة المخابرات البريطانية السرية وقد فقدت صلاتها وحلقات اتصالاتها داخل الاتحاد السوفيتى وذلك فى وقت كانت فيه الحاجة إلى هذه الصلات ماسة وضرورية للغاية .

الخطأ القاتل

عاد المستر « كار » إلى لندن في نهاية شهر يوليو الأمر الذي كان يتنافى مع سياسة التقشف البريطاني ، وكان التغلب على مشكلات ونقصان الأساسيات الخاصة بتأسيس المسكن أمراً صعباً ، إلا أنه في النهاية استأجر بيتاً في أحد الشوارع الخلفية في « دي فيري جاردنز » بمنطقة « لينسينجتون » .

وكانت الحياة في بريطانيا ذات مساوئ أخرى ليس آخرها الغلاء الفاحش وضعف الرواتب برغم التعويضات التي كانت تقدمها الحكومة .

وفي أعقاب الكوارث الأولى المبكرة ، تمتع جهاز الاستخبارات السرية البريطانية بفترة عمل جيدة وإنجازات ملموسة أثناء الحرب وذلك بفضل التقنيات التي كان يستخدمها وهكذا لم يعد مستقبل الوكالة الاستخبارية مهدداً بالفناء كما كان في الماضي .

واستطاع « مينزيس » أن يضمن لضباطه العفو من مهانة المرتبات الوضيعة والمرتبة الدنيا في وظيفتهم كضباط مراقبة جوازات سفر ، اللهم إلا إذا كان ذلك أمراً متفقاً عليه للتعمية وكستار على عمليات استخبارية .

ولقد تم تحويل الهواة في العمل الجاسوسي إلى محترفين في نظر الجهاز المدني الاستخباري . وكان « مينزيس » محافظاً وأوشك على التقاعد الأمر الذي لم يمكنه من إعادة تنظيم جهازه المخبراتي إلا أنه مع ذلك استطاع إنشاء قسم خاص بجمع المعلومات الاستخبارية من شطرين هما : المهمات والإنتاج .

وكان هناك تسعة أقسام أخرى كل منها مسؤولة عن موضوع خصوصي - السياسة ، الاقتصاد ، العلوم ، والخدمات العسكرية - وهي التي كانت تقرر نوعية المعلومات المطلوبة من الأقسام الجغرافية الخمسة المسؤولة عن عمليات المخبرات حول العالم .

وعلى الرغم من أنه كانت هناك الفرصة لإنتاج الدماء الجديدة وضخها في أجهزة

المخابرات البريطانية السرية ، إلا أن مينزيس كان ينظر إلى زملائه القدامى والموثوق فيهم على أنهم سوف يصبحون المتحكمين والمديرين لأقسام الإنتاج .

وكان الثواب الذى ناله نظير خدماته فى هلسنكى ونجاحاته إبان زمن الحرب فى ستوكهولم هو وسام « سى - إم - جى » (رفيق سانت ميشيل وسانت جورج) والترقية إلى مرتبة المشرف والمتحكم فى منطقة الشمال التابعة للمخابرات البريطانية .

وشغل مكتبه الطابق السادس فى « برودواى » . وكان يعكس هذا القسم المسئوليات التى تعلقها وزارة الخارجية البريطانية على منطقة الشمال التى اشتملت على : النرويج والدانمارك ، والسويد وفنلندا والاتحاد السوفيتى .

وهكذا بدأ تمكنه من هذا العمل الجديد إذ كان قد أنفق خمسة وعشرين عاماً من الخبرة العملية فى هذه البلدان ، وكان طبيعياً أن لا يوجد منافس أو منازع له فى نطاق منصبه الجديد داخل المخابرات السرية البريطانية .

ووقعت تحت رعايته محطات المخابرات البريطانية فى كل من العواصم الخمسة ، التى كانت مهمتها الأساسية - بعد أن وضعت الحرب أوزارها - هى جمع المعلومات مرة ثانية ، ولكن عن روسيا فى المقام الأول هذه المرة .

وكان من حقه الادعاء بأن عمله تقدم تقدماً جوهرياً ، ولدى عودته من « ارشانجيل » جعل يعلم نفسه الاختزال والكتابة على الآلة الكاتبة من أجل أن يصبح موظفاً مكتبياً . وبعد ذلك بخمسة وعشرين عاماً ، أصبح قناة هامة من الاستخبارات لرئيس الوزراء ووزارة الخارجية رغم عدم تلقيه تعليماً إضافياً أو حصوله على مؤهلات مهنية ، وذلك من خلال تقديمه للمعلومات الهامة عن الشؤون الداخلية لروسيا أكثر أعداء بريطانيا صرامة .

وبدا الأمر وكأنه فرصة طيبة للمستر « كار » إذ أنه صار من خلال السلسلة الجديدة للقيادة ، كان يتعين عليه أن يكتب التقارير أولاً بأول للمستر « كينث كوهين » مدير الإنتاج الذى كانت اهتماماته السائدة هى فرنسا والبلاد الواطئة (هولندا) ، وكان من عادته طلب تقارير غير محددة عن الأنشطة الدائرة فى منطقة الشمال .

كان من بين عملاء وزبائن المستر « كار » هو « فيلبى » وقسمه الجديد المسمى باسم « ار - ٥ » للاستخبارات المضادة ، التى حلت محل القسم التاسع . وكان « فيلبى » لا يزال مسئولاً عن الإشراف على جمع المعلومات على النطاق الدولى عن كافة

الأشياء والأشخاص والسياسات (أى المادة) المعادية والمناهضة للسوفيت والشيعوية .

وظل « كار » مسئولاً عن تأمين سرية عملياته ، طالما أن « مينزيس » لم يكون جماعة الاستخبارات المضادة الموازية من أجل مراقبة أنشطة المخابرات البريطانية السرية الخاصة وعمالها .

تناقضت خبرات المستر « كار » على زمن الحرب في الجو الهادى للسويد المحايدة تناقضاً حاداً مع ذلك الجو الذى عمل فيه رفاقه الذى كان عبارة عن جو حرب ونيران في بريطانيا ، وجزر البلقان ، وشمال أفريقيا وفرنسا وألمانيا .

وعلى مدار عمله المهني ، وحتى ترقيته في ١٩٤٥ ، انعزل المستر « كار » عن الضغوط الداخلية الممارسة في « برودواي » ، وأصبح مدركاً إدراكاً غير كامل بطبيعة الكوارث التى وقعت على أجهزة المخابرات البريطانية أثناء الحرب . ولم يكن يعرف إلا القليل مما تكبدته أجهزة الاستخبارات البريطانية وأقسامها الداخلية المختلفة .

وكانت التجاوزات والأخطاء المنكرة التى وقعت في سكيندنافيا قد أكدت في رأيه تلك السمعة السيئة التى لحقت بمنظمة « إس - أو - إي » التابعة للمخابرات البريطانية ، وكيف أنها لاتحظى بالاحترام ، وبخاصة عملياتها في هولندا .

وفي الفترة بين ١٩٤٠ - ١٩٤٤ ، أثناء تدفق الرسائل اللاسلكية بالراديو عبر القنال الانجلى ، كانت ترسل تلك المعلومات إحدى شبكات المقاومة ، وتم إبرار ١٤٠ عميلاً تابعاً لقسم « إس - أو - إي » بالبراشوط لمقاتلة القوات السرية الهولندية . وفي الواقع كان « إس - أو - إي » ضحية لك « نورديبول » وهى عملية خداع ضخمة صعدها ال « ابويهر » .

وكانت المفاجأة أن جميع عملاء منظمة « إس - أو - إي » التابعين للمخابرات البريطانية استقبلهم لدى نزولهم « الجستابو » الألمانى أو البوليس السرى للرايخ الثالث النازى ، وبعد أن ورد إلى لندن رسائل تقول بوصولهم سالمين ، سمعوا بعد ذلك أن جميعهم قد أعدموا .

وفي عام ١٩٢٥ ، كان « كار » قد جرب كخبرة أخبث نماذج الخداع تلك التى مارسها ال « ترست » وكان ليس بحاجة إلى التحذيرات بشأن مهالك ضعف الأمن

واحتياجات التجزئة المطلقة لحماية العملاء الأفراد .

وكانت علاقة « كار » مع « مينزيس » علاقة حميمة ، ليست على المستوى الاجتماعي بل على المستوى المهني . ذلك أن الظروف الاجتماعية التي تربي فيها كل منهما كانت مختلفة اختلافاً شديداً . ومع ذلك ، كان كلاهما يشترك في بغضه واشمئزازه من الشيوعية والشكوك في البلاشفة وعدم الثقة في وجهة النظر الشعبية بأن روسيا الستالينية سوف تصبح حليفاً دائماً في زمن السلم .

وجلب « مينزيس » أحد الشخصيات من الخارج وهو العميد طيار جيمسى « جاك ايستون » ، وكان قد حظى بالتقريظ والإشادة أثناء الحرب بصفته مساعداً لمدير سلاح الجو الملكي البريطاني لشئون المخابرات ، بسبب تقديمه التسهيلات لأجهزة المخابرات السرية البريطانية ومنظمة « إس - أو - إى » ، ولذلك فقد تم تعيينه نائباً للمستر « سى »

وعاد المستر « ايستون » الذى يتصف بالهدوء والحنكة والخبرة والممارسة إلا أنه لدى وصوله تعرض لموقف لا يحسد عليه إذ تجنبه مجموعة من رجال المخابرات القدماء المحنكين ذوى الباع الطويل فى شئون روسيا ، واحتقروا وازدروا فكرة أن يتولى رئاستهم رجل بدون « تاريخ كبير » فى العمل الاستخبارى ، لا يتصف بالحساسية لعالم الجاسوسية والعمل الجاسوسى والجواسيس والعملاء . وقالوا : كيف يمكن له أن يمارس ويزاول السلطة عليهم وهو يفتقد إلى هذه المؤهلات الضرورية ؟ .

وبعد قضائه أياماً قليلة فى «برودواى» علق « ايستون » على مايلقاه فى «برودواى» لزوجته قائلاً : « إنه مناخ شديد الحساسية وسريع الغضب . وأثار حفيظة نقاده الاستئناف المتوقع للعمل ضد البلاشفة ، وكان من المتوقع أن يكتبوا بذلك إلى المستر « ايسون » ، وسرعان ما يتقن النائب الجديد من أنهم يتحاشون ويتجنبون مكتبه المجاور لمكتب « مينزيس » فى الدور الرابع .

كانت دائرة روسيا القديمة تشمل « ويلفريد » بيفى « دنورديل » الذى أشرف باعتبارها ضابطاً فى المخابرات البريطانية السرية فى باريس قبل الحرب ، على مجموعة كبرى من الروس البيض تعمل ضد السوفيت .

وفى عام ١٩٤٥ ، استأنف « دندرديل » صلته مع « طاقم كبير » قوامه ثلاثون مهاجراً روسياً فى لندن لاعتراض الاتصالات السلكية واللاسلكية البريطانية . وقدم

« بيفى » الذى سكن فى منزل منفصل ، قدم عملية على أنها « عملية إذلال » للبلاشفة وأصر على المثل المباشر بين يدي المستر « سى » ، وتحاشى « ايستون » من حماية عملية .

ولم يتحقق أحد فى ١٩٢٩ من أن مجموعة باريس تم اختراقها اختراقاً كاملاً كما أنه - بنفس القدر - لم يتم السماح لأحد بأن يعرف عام ١٩٤٥ أن فريقه أصبح تحت أضرار السوفيت وأنهم فقدوا كل شيء . ولم يتسن لهم معرفة كل هذه الأسرار إلا فى أثناء الخمسينات .

كان « هارولد جيسون » رجلاً آخر من أولئك الذين يجيدون الحنكة والدربة التعامل مع الأشياء واتصف بأنه داهية . ففى الفترة الواقعة قبيل انتهاء الحرب ، زعم « جيسون » تحقيقه لنجاحات باهرة فى براغ وبخارست . أما الآن فقد تحقق المستر « ايستون » كيف أن الضابط المنتظر ساعات طويلة خارج مكتب « سى » للاجتماع معه ، ولم يناقش معه العمليات بصفته الرئيس المباشر له .

فكانت كلما اضطرت الظروف المستر « جيسون » لشرح أنشطته إلى « ايستون » شعر الرجل القادم حديثاً بعدم الرضى ، ولم يكن هناك ثمة تفاهم بينهما ، فكان الأمر يشبه الماضغ للقطن على غير طائل .

وفى تلك الآونة صارت القوات الروسية لأول مرة فى التاريخ متمركزة فى قلب أوروبا وأصبحت جميع أجهزة المخابرات الغربية تنشد وتسعى إلى اختراق الضباب : ضباب الشكوك وعدم التيقن بشأن النوايا السوفيتية .

وبالنسبة إلى المخابرات البريطانية والأمريكية ، أصبح تقسيم المانيا إلى منطقتين يقدم ميزة وفرصة فريدة هى استطاعة مراقبة الجيش الأحمر والمخابرات السوفيتية الـ « كى - جى - بى » وهى تعمل . ذلك أنهم يستطيعون بعيداً عن روسيا إخفاء أنفسهم عن الأعين ، أما فى داخل المانيا ، فتستطيع أجهزة المخابرات الغربية مراقبة هيئات العاملين وتقنياتهم وأهدافهم .

وأصبح لأول مرة ، لم تحتج أجهزة المخابرات البريطانية السرية أية رجال للعمل كما لم تعد تعاني من نقص الكوادر (كانت المخابرات السرية للدولة البريطانية تسمى أصلاً « إم - أى - ١ » ثم أعيد تسميتها « إم - أى - ٦ » عام ١٩٢٢ . أما الاسم الذى أطلق عليها قبل هذه الفترة من التاريخ فقد كان مجهولاً) .

وفي ذلك الموقع كانت المخابرات البريطانية تستطيع استغلال التوسع الضخم للعتاد والقوة العاملة في زمن الحرب . وكان مجرد توقيع واحد كافياً لاكتساب أو مصادرة أى شىء مطلوب من الألمان .

إلا أن « مينزيس » حث على الحرص والحذر بين هيئات العاملين . وتوقع البعض أن تستمر الحكومة التى يتزعمها حزب العمال البريطانى فى علاقاتها الطيبة على زمن الحرب مع موسكو وإدانة أى ارتباك يسببه جهاز الاستخبارات البريطانية السرية . وفى نفس الوقت ، يتم الاتصال بالقوميات المناهضة للسوفيت كما كان الزج بالعملاء فى الدول والبلدان التابعة .

وقال « مينزيس » : إن هذا لم يستبعد إعادة تجديد المساندة للشعب الاكرانى وشعب جورجيا ، واتفق مدة على هذا الرأى المستر « كار » ، وكذلك أهالى دويلات البحر البلطى الذين بوسعهم التطوع بكل توفيق وشغف من أجل أى اشتباك من شأنه تحرير بلادهم .

وأوصى « كار » بإرسال مشغل لاسلكى من السويد إلى لاتفيا ، الذين كانوا بكل المقاييس لايزالون مشتبكين فى الحرب الضروس مع الروس . ووافق مينزيس ولكن للمرة الثانية حث على توخى الحذر والحرص . وهكذا فقد تقرر أن يتم إرسال وتوجيه جميع المساعدات والعون بكل حزم عبر الوسطاء .

كانت ثمة ضرورة توجب وجود صلة أو ارتباط مع رئيس « ار - ٥ » وحدث أن حكم « كيم فيلبى » على مشروع « كار » بأنه بمثابة إعادة تجديد للعداوات .

وعهد « كار » بالمسئولية عن إدارة والاشراف على العمليات الجديدة إلى « ساندى ماكيبين » الذى ألحق للعمل فى مركز الاتصالات الخاص فى شارع « رجدير » بالقرب من بيكاديللى ، وعلى الرغم من عدم وجود الفة بين الرجلين ، إلا أن « كار » اعتقد بأن « ماكيبين » امتلك المؤهلات الملائمة .

إذ كان يتحدث عدة لغات ويتمتع بخبرة طويلة فى المنطقة ، كما كان يستمتع بالإخلاص والولاء والاحتمال فضلاً عن الثقة ، وهياً نفسه للبقاء فى إطار الخدمة ، فى حين كان عدد كبير من الأشخاص الآخرين بصدد الرحيل ، سعياً وراء إغراءات الفرص المربحة فى المدينة .

وعلى صعيد دول البحر البلطى ، أرسل سفراء الدويلات الثلاث برسائل دورية إلى وزارة الخارجية الأمريكية ووزارة الخارجية البريطانية يحتجون بأن الحكومات الجديدة اعترفت بحق بلادهم فى البقاء .

وعلى الرغم من أنهم فى واشنطن كانوا يعاملون هؤلاء بكل محبة سواء على الصعيد الرسمى أو غير الرسمى . وأدانت وزارة الخارجية البريطانية اتصالاتهم ووصفتها بأنها « مناشدات محزنة ومثيرة للشفقة » .

وكتب « باسيل سميدلى » المسئول بالحكومة البريطانية بعد أن قرأ وصفاً للموقف البائس فى دول البحر البلطى من السفير اللاتفى « تشارلز زارينو » يقول : « ليس هناك بوسعنا فعله لمساعدتهم ، كما أنه ليس هناك أية مقولات يمكن استمدادها من التاريخ الخاص بـ لاتفيا » أو استونيا أو ليتوانيا من شأنها أن تؤثر على المستقبل .

وساد نفس الاتجاه بعد السماح للمستمر « شارمان » السكرتير الأول بالسفارة البريطانية فى موسكو ، له فى أكتوبر ١٩٤٥ بالسفر إلى ريجا لأول مرة وتأكيد ادعاءات « زارينز » بالرعب والترحيلات الجماعية إلى سيبيريا .

وقال « شارمان » فى تقاريره أنه ليست هناك حركات مقاومة ضد السوفيت وربما قرأ « كار » و « ماكيبين » تقرير شارمان إلا أنهما رفضاً لملاحظاته على نحو صائب واعتبراها وجهة نظر ضابط صغير الرتبة وعديم الخبرة كان يسافر تحت وطأة الإشراف المطبق والمحكم .

وفى ذلك الحين كان الـ « كى - جى - بى » يعانى من خسائر خطيرة فى عملائه الدموية لقمع الفلاحين .

وتحقق السفراء الثلاثة (سفراء دول البحر البلطى) من أن توازن القوى مال لصالح الأطلنطى وأن تحرير بلادهم يعتمد على واشنطن حيث أن كثيراً من شعوب بلاد أوروبا الشرقية تعيش فى أمريكا .

وفى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الأولى ، لم يهاجر سوى أقل من ١٠٠,٠٠٠ روسى وأوروبى شرقى سنوياً إلى الولايات المتحدة ، وفى بعض السنوات ، وصل الإجمالى إلى حوالى ٣٠٠,٠٠٠ ، وبعد ذلك بثلاثين عاماً كانت الأغلبية لاتزال تعيش ونقلت إلى الجيل الجديد شعورها المتأجج بالوطنية والقومية وشكوكها فى الشيوعية .

وضغطت جماهير المهاجرين عبر الحرب العالمية الثانية على روزفيلت نيابة عن أبناء بلادهم ، وأرسلوا وابلأ من القنابل (في شكل التماسات) إلى الكونجرس والبيت الأبيض يطالبون فيها بتنفيذ ميثاق الأطلنطى .

وفي فبراير ١٩٤٥ ، كتبت رابطة تحرير ليتوانيا إلى روزفيلت تشكو من أنه ليس هناك أى ذكر في « بالطا » عن مسألة وقضية دويلات البحر البلطى .

وتدفقت المناشدات في هيئة فيضان في الأسابيع الواقعة قبل انعقاد مؤتمر « بوتسدام » تم تقديم معظمها شخصياً من جانب الوفود الآتية إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، وكلها تحمل صفة وعلامة اللوبى المنظم من أجل الضغط على الإدارة الأمريكية .

وكلها ذكرت المتناقضات الصارخة الواردة في « يالطا » وميثاق الأطلنطى . وبكل تأكيد ، حث الملتمسون على تحقيق أمانى دول البحر البلطى وكيف أن لها نفس حقوق الاستقلال والحكم الذاتى شأنها في ذلك شأن سائر الأمم .

وكان رد فعل المسئولين الحكوميين هو التصرف بإنكار أنفسهم والابتعاد بأنفسهم عن هذه القضية ، إذ لم يشأ أحد أن يكشف تعهدات روزفيلت إلى ستالين حينما تخلى عن الاحتلال السوفيتى لكل من دول البحر البلطى وبولندا ، وقال للزعيم السوفيتى : « لا أنوى خوض الحرب من أجل هذه القضية » .

أما ضغطهم على خليفة روزفيلت فقد أثبت جدواه . ففي خطبة ٢٧ أكتوبر ١٩٤٥ في نيويورك « سينترال بارك » إعادة ترومان تأكيدات على مسانדתه للدول المحتلة والتزامه بميثاق الأطلنطى . وهو أمر جعل الجماهير المستمعة له تشعر بالامتنان والرضا .

إذ أن أمريكا الدولة الوحيدة التى تمتلك القنبلة الذرية كانت من القوة الكافية بحيث انها تستطيع استخراج وأخذ التنازلات اللازمة من الاتحاد السوفيتى . وحتى إذا كان ترومان غر مستعد لكسر الصداقة مع ستالين ، وهو مادعمه روزفيلت ، إلا أن زعماء دول البحر البلطى في أمريكا اعتقدوا أن الحكومة البريطانية سوف تساعدهم وتعين قضيتهم بكل تأكيد ، حيث أنهم سمعوا من السفراء بصورة غير رسمية أن جهاز المخابرات السرية البريطانية لم يتخل عن اهتماماته ومصالحه التقليدية .

وأصدر « كار » تعليماته إلى مرؤوسيه بإقامة تواجد عبر بلدان وجمهوريات الاتحاد السوفيتي . وكانت الاستخبارات البريطانية تحتاج إلى الزعماء المهاجرين من كل من المناطق التي تستطيع تقديم تنظيمات قومية لها مصداقية لجمع المعلومات وتجنيد العملاء . وأمر المستر « كار » ضباطه باستئناف وإقامة العلاقات مع أولئك الذين هم أصدقاء للمخابرات البريطانية قبل أو أثناء الحرب ، وعادة بغض النظر عن تعاونهم إبان الحرب مع ألمانيا ، وكان من بين هؤلاء « ستيفان بانديرا » رجل الزعامة القومية الأوكرانية الذي عمل معه « كار » أثناء الثلاثينات في فنلندا .

وفي عام ١٩٤٥ ، كان لاجئاً في ألمانيا الغربية . ورجل آخر هو الجنرال « لاديسلاف اندرز » زعيم الجيش البولندي المحلى ، الذي دفعته المخابرات البريطانية لإقامة العلاقات مع ضباطه في بولندا التي يحتلها السوفيت . وكانت العمليات في كل من هاتين المنطقتين بمثابة المسئولية الكاملة الواقعة على « كار » أما إعادة إقامة علاقات الاستخبارات البريطانية مع رجال الجاسوسية في دويلات البحر البلطى ، فقد كانت مسئولية مباشرة للمستر « ماكيبين » .

وفي بواكر يولية ١٩٤٥ ، عاد « ماكيبين » إلى ستوكهولم لمقابلة «ولتر زيلينسكاس» ، وهو أحد الدبلوماسين السابقين . وكان الرجل الليتوانى يكافح من أجل البقاء والبقاء . والآن في أعقاب انتهاء الحرب مباشرة ، أعطت الحكومة السويدية - التي كانت تخشى من تعنيفات وتوبيخات موسكو - إخطاراً بمهلة يومين إلى السفارة الليتوانية لإغلاق مقر السفارة وأمرأ آخر بنقل كافة ملفاتها إلى السفارة السوفيتية .

ولما انتهت المهلة ، تعرضت الملفات كلها إما إلى التدمير أو النقل في أحد الزوارق الصغرى إلى إحدى الشقق الصغرى في « أودينجاردين » . على الرغم من أن عمليات المخابرات البريطانية في زمن الحرب في ليتوانيا كانت ناجحة ، إلا أن « ماكيبين » تحدث بتفاؤل عن المستقبل ، وأخبر « زيلينسكاس » بأنه سوف يعطى المعونات المالية مهما كانت ضخامتها والتي يحتاجها من أجل جمع المعلومات المخابراتية لصالح أجهزة المخابرات السرية البريطانية .

ثم عاد آنذاك « الجيرداس فوكيتيتس » العميل المشترك بين المخابرات السرية البريطانية ومكتب الخدمات الاستيراثجية (المخابرات الأمريكية) ، ليتم إرساله مرة ثانية إلى ليتوانيا عام ١٩٤٢ ، وبعدها عاد إلى السويد ، وقد نجا بحياته من الحجز في داخل معسكرات الاعتقال الألمانية .

وعقد اجتماع على عجل ، قال فيه للمستتر « ماكيبين » : إن زعماء الـ « فليك » وهى اللجنة العليا لتحرير ليتوانيا ، قد نجوا كذلك من السجون الالمانية إذ كانوا مفخرة الاستخبارات البريطانية السرية لانهم ، حسبما قال « فليك » يمثلون كولية وتنظيماً ناضجاً سياسياً وعسكرياً ، وكان لهم صلاتهم مع آلاف المعادين والمناهضين المسلحين للشيوعية والذين كانوا يقاتلون فى الغابات .

فى نفس اللحظة بعينها ، كان ضباط المخابرات الأمريكية أيضاً يبحثون عن زعماء « فليك » .

ولم تكن الحرب قد وضعت أوزارها ، إلا وقد أخذ الليفتنانت « أنتونى فيفيدل » ، وهو أحد ضباط الاستخبارات الصفار الذى يعمل فى مقر الجيش الثالث التابع للجنرال « باتون » فى ميونخ ، أخذ يتدبر ويفكر كيف يقوض من القبضة السوفيتية على أوروبا الشرقية ، وبخاصة ليتوانيا .

كان فيفيدا بلغ من العمر ٣٤ عاماً ، ونشأ والداه (وهما من ليتوانيا) على بغض وكرهية الروس . وعلى الرغم من أنه ولد فى « فيلادلفيا » .. على الساحل الشرقى للولايات المتحدة ، إلا أن فيفيدا وعائلته شأنهم شأن الكثيرين الذين وجدوا الحصن والملاذ فى أمريكا من الشمولية والديكتاتورية الروسية لم يتخلوا أبداً عن جذورهم .

وفى عام ١٩٢٠ ، عادوا إلى ليتوانيا وقد أثارهم استقلال دولتهم ، وماكادوا يطأون أرضها إلا وقد أضر بهم الفقر والعوز والأوهام . وبعد ذلك بسنوات ست ، عاودوا هجرتهم إلى أمريكا ليوقدوا من جديد مع مليون آخرين من المهاجرين الليتوانيين شموع التحررية الوجدوية لبلادهم من على البعد .

وفى داخل مقر المستر « باتون » بميونخ ، كان ثمة حديث طويل وكثير حول تهديد الشيوعية - وأخذهم العجب والتناقض كيف يكونون أعداء على هذا القدر من الحضارة ومع ذلك هم حلفاء للولايات المتحدة الأمريكية منذ أربعة أعوام كاملة . وكان بعض ضباط وأتباع فيفيدا أكثر قلقاً وانزعاجاً من الجيش الأحمر والشيوعيين ، وليس النازيين والرايخ الثالث الالمانى ، الذين كانت خنادقهم وقوتهم ونفوذهم لاتزال واثقة حول بافاريا .

وقد يقول الكثيرون : إن الظلم الواقع عليهم نبع عام ١٩٤٥ حينما واجه الجيش الثالث الأحمر فى تشيكوسلوفاكيا على ضفاف نهر « إيلبي » إذ اتصفت المواجهة هذه

المرّة بأنّها كثيفة وعدوانية ، أغرت الضباط الأمريكيين بأن يغمضوا أعينهم حينما ساعد أتباعهم وحدات « فيرماخت » المحتجزة والضباط الأبقين التابعين لمجموعة « إس إس » على الهرب إلى ناحية الغرب .

ولقد تمخضت مآسى الحرب والعداوات بين الشعوب الأوروبية وتطاحن جيوشها إلى إلحاق الخراب بالبلدان والمدن والمصانع والمزارع وتشريد السكان وترويع الأمنين ونشر الخراب والدمار ، وضياع الأمن وافتقار السكينة فضلاً عن تشرّد العمال ، وهيامهم على وجوههم في البلاد طلباً للرزق والعمل وسعيّاً وراء حياة جديدة والبقاء وهرباً من الموت المحدق بهم من كل صوب وناحية .

وكان معظم الأغلبية من هؤلاء ضحايا بلاشك . وكان هناك ضحايا لجماعة « إس إس » هم الذين تم اختطافهم من منازلهم في أوروبا الشرقية للعمل في ألمانيا ومصانعها العامرة والمناجم الساحرة أو من أجل السجن فحسب في واحد من الكثير من السجون الألمانية ومعسكرات الاعتقال (التركيز) المنتشرة في أرجاء وربوع بلاد الرايخ الثالث .

وعلى الرغم من أن المجموعة الضخمة كانوا من البولنديين ، إلا أن « فيفيدا » لاحظ أن الكثير من الضحايا الآخرين كانوا ينتمون إلى الشعوب الأكرانية والقوازقة والأذربيجانيين ، والبيلوروسيين (أهالي روسيا البيضاء) أو الأرمن الذين كانت أوطانهم تنتمي إلى روسيا حسب اتفاقيات « يالطا » .

وكان البعض الآخر ضحايا للنازية وبعضهم حارب الألمان ضد السوفيت ، والآخرون كانوا بمثابة لاجئين هجروا أوطانهم وبلادهم في اتجاه الغرب خوفاً من الشيوعية ، وكان من بين هؤلاء الفئة الأخيرة قوميات ورعايا ينتمون بجنسياتهم إلى جمهوريات البحر البلطى الثلاث : لاتفيا ، وليتوانيا ، واستونيا .

وفي الأيام المبكرة من شهر مايو ، شرع فيفيدا في القيادة بالسيارة مئات الأميال حول بافاريا باحثاً عن اللاجئيين الليتوانيين والتحدث معهم بلغاتهم الأصلية . لقد أخبروه بالاهوال والفظائع التي ارتكبتها الروس ، وكيف أنهم بسبب خشيتهم من الشيوعية تخلوا عن كل شيء وخشية أن يقوم الأمريكيان بنقلهم قسراً والعودة بهم للعيش تحت إمرة وسيطرة السوفيت كما فعلوا مع الكثير من الأوروبيين الشرقيين .

والأسوأ من ذلك كله ، اعتقادهم بأن الجيش الأحمر سرعان ما يزحف صوب الغرب لاحتلال المزيد من البلاد والبقاع الأوروبية . ولقد أوقدت حكاياتهم نيران

الكراهية والمقت ضد السوفيت . فصار « فيفيدا » يحترق حقداً وبغضاً لهم والذي أزعجه أن كثيراً من رفاقه الضباط الأمريكان كانوا يخاطبون الليتوانين كما لو كانوا - مثل اللاجئيين الروس - قد تعاونوا مع النازيين .

وشرع « فيفيدا » بناءً على مبادرة منه في البحث عن زعماء « فليك » الذين لا يزالون على قيد الحياة . وراح يعبر شوارع ومناطق بافاريا بسيارته العسكرية « الجيب » . واقتنع أن بحثه هذا يمثل إضافة إنسانية إلى القضية الليتوانية ، وإضافة إلى المعرفة والمعلومات الأمريكية حول الموقف في روسيا .

ولقى طلبه المكافأة والثواب . إذ وجد بعض زعماء الـ « فليك » وعثر عليهم وكانوا لا يزالون محتجزين في سجن « كوبورج » ، فأصدر أوامره بإطلاق سراحهم ، والآخرون الذين فروا مع الألمان في أواخر عام ١٩٤٤ ، استقروا في معسكرات المتشردين والأشخاص الذين تدمرت بيوتهم .

كان جميع هؤلاء من الساسة السابقين وضباط الجيش وأساتذة الجامعات والأكاديميين أو رجال الدين . وتشابهت رواياتهم حول المعاناة التي تكبدوها تحت سطوة النازيين وكيف أنهم هربوا المعلومات حول ظروف وأحوال زمن الحرب إلى أجهزة المخابرات البريطانية في استوكهولم . وشعر « فيفيدا » أنه قد وصل إلى مبتغاه .

إلا أنه وقبل أى شيء آخر قد تأثر أشد التأثير بخوفهم من الروس واشمئزازهم منهم . وتوجهوا بناءً على توجيهاته إلى « ورزبيرج » لخلق وإنشاء خزان من المعلومات الجديدة حول الاتحاد السوفيتي ومركز يتم فيه وصول اللاجئيين من ليتوانيا حيث يتم استقاء المعلومات منهم واستجوابهم بشأن أغراض الاستخبارات .

على الرغم من أنهم كانوا بمثابة ائتلاف محير من الآراء المنفصلة والمتفاوتة جداً ، إلا أن الذى كان يجمعهم هو قناعتهم بأن الحرب العالمية الثالثة صارت وشيكة النشوب . وأخبر المونسينيور « ميكولاس كروبافيس » رجل الدين القوي الذى كان زعيم الـ « فليك » ، أخبر المستر « فيفيدا » بأنه ليس راضياً عن استعادة الامبراطورية القديمة إلا أنه في يوم من الأيام سوف يتحرك صوب الغرب .

وعلى الرغم من أن أكواما من الجثث كانت لاتزال راكدة بدون دفنها عبر القارة الأوروبية ، إلا أن تنبؤات « كروبافيس » لم تكن غير شائعة أو غير متفقة مع رفاقه وضحايا الحروب الأوروبية .

وفي الأيام الأولى من يونية عام ١٩٤٥ ، كتب « فيفيدا » مذكرة من ثلاث ورقات على الآلة الكاتبة مخاطباً فيها رئيسه وأسماء « تقرير حول الحكومة السرية في ليتوانيا » .
واستخدم فيه لغة مؤثرة ، وأوضح محنة ومأساة الـ « فليك » الذين لا يرغبون سوى في إعطائهم الفرصة لتقديم قضيتهم إلى الممثلين المعتمدين الأمريكان نيابة عن ٢٠٠.٠٠٠ ليتوانى مطرودين من أوطانهم السلبية .

وفي تعليق اضافى ، قال « فيفيدا » : إن جميعهم يعربون عن سخطهم بكل عنف ويبدون أسوأ المشاعر المناهضة والمعادية للسوفيت ، ويوضحون أنهم هم والليتوانين عموماً لن يعودوا إلى ليتوانيا . ذلك أن هذه العودة تعنى للبعض « الموت المحقق ، وتعنى للآخرين النفى مدى الحياة إلى سيبيريا » .

وأبدوا مشاعرهم المريرة بأن « الأمريكان وسلطات جوازات السفر » اتهمتهم بالموالة والتأييد للنازية نظير اتجاهاتهم وتوجهاتهم المعادية لروسيا . وظهر الخوف من النظام السوفيتى ليصبح دافعاً مسيطراً في تفكير المجموعة الكاملة كلها .

وحذف « فيفيدا » عمداً التنبؤات الوخيمة التى قال بها « كروبافيس » عن نشوب الحرب الثالثة برغم قناعاته الكاملة بنوايا السوفيت التى لم تكن تهدف إلى مواصلة الحروب .

وفي مقر قيادة الجنرال « باتون » ، تم قراءة التقرير الثانى لليفتنانت كما تم تسجيله . وبحلول شهر يوليو ، شق التقرير طريقه إلى أعلى عبر القنوات العسكرية إلى « روبرت ميرفى » المستشار السياسى للجنرال « لوسيو كلاى » ، قائد الحكومة العسكرية فى المنطقة الأمريكية .

وتعاطف القليل من الضباط فى مقر قيادة « كلاى » مع مخاوف وشكوك روسيا التى فرضها عليهم الألمان واللاجئون على نحو متواصل غير منقطع وعبروا عن مساندة الجنرال جورج مارشال وتأييده لكلمات أيزنهاور التى قال فيها : « إننى أمقت المخاطرة بحياة الأمريكين من أجل الأغراض السياسية البحتة » .

ولقد كان السوفيت لايزالون حلفاء للولايات المتحدة الأمريكية . ولهذا السبب ، لم يتم النظر بدراسة تقرير « فيفيدا » الذى كان يستحق متابعتة وجديراً ببحثه ، على الرغم من أن الذى قدمه هو المستر « ميرفى » إلى وزارة الخارجية الأمريكية فى واشنطن ، حيث وصل فى شهر سبتمبر ، أى بعد شهر كامل من توقيع القوى الكبرى الأربع

لاتفاقية « بوتسدام » التي حلوا فيها حكومة المانيا وتعزيز ثبات الحدود القومية في أوروبا .

وفي ذلك الحين ، كان « فيفيدا » يبحر بالفعل من أوروبا للعودة إلى الحياة المدنية ، وكان عمله بمثابة حل للألغاز . إذ أن الانقسامات بين الشعوب الليتوانية في المنفى كانت أكثر عمقاً عما كان يتفهمه . وقال المونسينيور « كروبافيس » القسيس العدواني ، قال : بأن الـ « فليك » يتعين عليها إقامة حكومة في المنفى ذات مجلس عسكري لزعامة الفلاحين .

وأصر « ستاسيس لوزوزيتس » الدبلوماسي الليتواني الكبير في الغرب أصر على أن يمثل بنفسه شخصياً الحكومة القومية وأنه لن يتسامح أبداً مع تجريده من سلطاته وانتزاعها منه .

وفي خضم هذا العداء المرير والمستحکم والذي لاطائل من ورائه ، وصل الجنرال « ريموند شميتلين » من المكتب الثاني الفرنسي إلى « فيرزبورج » في شهر سبتمبر . اتخذ « شميتلين » مقراً له وقاعدة في ليتوانيا قبل اندلاع الحرب وعرف جميع الشخصيات المحتشدة في فيرزبورج . وتم دعوة الـ « فليك » لنقل مقارها إلى « توبينجين » في المنطقة الفرنسية حيث يتم تمويلها وتدريبها من أجل تعزيز جيش المقاومة للعمليات في المستقبل القريب جداً .

وتم قبول عرضه فوراً إلا أن بعض المنشقين كانوا يجادلون بأن الفلاحين الذين يقاتلون في ليتوانيا لن يتلقوا الأوامر من جماعة في المنفى ، وهي التي أنهت وقطعت تعاونها مع الألمان فقط حينما تبدت بوادر انتهاء الحرب ووضعها أوزارها .

وكان من بين أقلية المنشقين « ستاسيس زاكيفيس » المؤرخ الذي كان يبلغ من العمر الثالثة والثلاثين وكان قد درس في أكسفورد وكان يتميز بشعوره الوطني الجارف والقومية الطاغية .

وفي أثناء الحرب ، كان مستشاراً للحكومة الألمانية المحتلة . وهرب « زاكيفيس » مع الألمان في خريف عام ١٩٤٤ إلا أنه في شهر مايو ١٩٤٥ تدبر مسألة العودة إلى بلاده « ليتوانيا » من الدانمارك ليلتحق بالفلاحين .

وتم تحذيره قبل أن يستقل الزورق من أنه سوف يواجه الاعتقال فور وصوله على

أيدى رجال المخابرات السوفيتية المعروفة باسم لجنة أمن الدولة أو الـ « كى - جى - بى » .

ولم يكن معروفا لدى مجلس الـ « فليك » لدى عودته إلى ألمانيا في يوليو من عام ١٩٤٥ ، واتصل بالمستر « ماكيبين » وممثل آخر لأجهزة المخابرات البريطانية الا وهو الميجور « جون لودزوس » الذى كان أبواه قد هاجرا من ليتوانيا إلى بريطانيا منذ سنوات عديدة وكانوا يتحدثان اللغات بطلاقة .

وحيثما تفجرت الخلافات السياسية ، أغرى « ماكيبين » المستر زاكيفيس بالعمل لصالح المخابرات البريطانية السرية وليس المكتب الثانى الفرنسى ووصل زاكيفيس إلى « طونيجين » في أواخر عام ١٩٤٥ مرتدياً ملابس جديدة وأنيقة ، ومستقلاً سيارة ومزوداً بأموال نقدية ضخمة . كما كان يستعير أيضاً اسماً جديداً وهو « ستايس زيمانيس » .

كان زيمانيس نواة العملية الجديدة التى ستقوم بها المخابرات البريطانية السرية في ليتوانيا . وانضم إليه الدبلوماسى الذى يدعى « ستايس لوزوريتس » وصحفى مشهور يبلغ من العمر الحادية والثلاثين كان قد هرب من الغرب في أوائل عام ١٩٤٥ ، واسمه « جوناس ديكسنيس » .

وفي خريف عام ١٩٤٥ تطوع ديكسنيس للعودة إلى ليتوانيا ليقوم بتقييم موقف الـ « فليك » وهل كان فعلاً ممثلاً للفلاحين المحاربين المقاتلين أم لا وأيضاً لتقييم مدى ونطاق الانتفاضة الناشبة ضد السوفيت .

وعرض « روبرت أندرسون » احد كبار ضباط الاستخبارات في السفارة الأمريكية ، تقديم المال وأجهزة الراديو واللاسلكى والأسلحة لآى طالب لها يكون جاداً ويستطيع أن يقيم شبكة معلومات تجسسية في لاتفيا .

وقام بتشغيل اثنين من اللتوانيين للاتصالات مع أكثر المصادر أهمية وهو « هوجو جينترز » ممثل حزب « اولمانست » شبه الفاشى الذى كان يدين بالكثير من المبادئ الفاشية .

وفي اغسطس ١٩٤٥ ، طلب احد ممثل المخابرات البريطانية السرية من جينترز ان يختبر ويتحسس من « آرثر ارنيتس » إمكانية عودته إلى روسيا وإعادة فتح الاتصالات اللاسلكية بالراديو . وبعد ذلك بيومين ، أرسل جينترز تقاريره ان « ارنيتس » بحاجة إلى القليل من الإقناع .

ورحب بفرصة الخدمة من أجل القضية الوطنية . وكانت مهمة « أرنييس » هي العودة إلى « لاتفيا » ، واسترجاع جهاز الراديو الخاص به وكتب الكود والشفرة التي كان قد أخفاها إخفاء تاماً وبعبارة قصوى هناك منذ ثلاثة أشهر وإقامة الصلات مع السويد . وتتابع المزيد من التعليمات إلا أنه طمأن بأن البريطانيين سوف يرسلون زورقاً لرحلة العودة .

وبعد ذلك بأسبوعين ، تم تجنيد عملاء ثلاثة آخرين هم : جانيس شميت وهو ضابط سابق في الجيش الألماني برتبة الليفتنانت وكان قد تم تجنيده لحراسة مشغل الراديو ، و « ليمونيس بيترسون » و « إدواردس أندرسون » وهما اللذان تقرر أن يشكلا فريقاً ثانياً .

وفي ليلة ١٥ أكتوبر ، اقترب الرجال الأربعة من ساحل وغابات « كورلاند » في زورق سريع غالى التكاليف مزوداً بالأجهزة ، إلا أن عواصف الرياح الهوجاء قلبت الزورق على بعد حوالي مائة ياردة من الشاطئ . وجعل الرجال الأربعة يكافحون الأمواج والرياح ويسبحون من أجل بلوغ الشاطئ وتركوا وراءهم الأسلحة والعتاد والأجهزة وإمدادات الطعام والمال ، متوجهين صوب الغابة .

وعند بزوغ النهار ، عثرت دورية حدود على الحطام والبقايا التي تدينهم وتجرمهم ، وكانت الأمواج قد قذفت بها إلى الشاطئ على الرمال ، وتسبب عن ذلك نصب مصيدة واسعة النطاق للقبض عليهم .

وبعد ذلك بيومين تم اكتشاف أمر كل من بيترسون وأندرسون . وانهارت مقاومتهما تحت وطأة التعذيب وكشف وجود « أرنييس » وتم إلقاء القبض على العميل وفعل ذلك المخابرات الروسية الـ « كى - جى - بى » بعد ثلاثة أسابيع من وصوله إلى ميناء « فيننسبيل » وحينذاك أرشد عن الراديو المختبئ واعترف بتفاصيل العملية .

وعلى الرغم من أن رجال المنفى في السويد زعموا بأنه تم استخدام التعذيب لاستخراج الاعترافات من أرنييس إلا أن « لوكاسيفيك » كان دائماً يذهب إلى أن التهديد الخفى والكامل لا يزال كافياً لتوخي الحذر . ولم تبد أجهزة مخابرات الـ « كى - جى - بى » السوفيتية أية شفقة أو رحمة .

وأرسل « لوكا سيفيك » باستنتاجاته الأولية إلى رؤسائه . وقال : إن البريطانيين استأنفوا أنشطتهم المعادية للسوفيت التي كانوا يقومون بها قبل الحرب . وكان الدليل دامغاً لاسبيل إلى تقييده على الرغم من أن الرجال الأربعة المزودين بأجهزة الراديو لم

يقترحوا القيام بعملية أخرى . وعلى أية حال ، كان العمل الإضافي مطلوباً .

وشق التقرير طريقه عبر القنوات الرسمية إذ وصل أولاً إلى « البيرت بونديوليس » ، من الاستخبارات المضادة ، وأخيراً إلى « فيكتور كوزينس » أحد النواب الأربعة لرؤساء الـ « كى - جى - بى » فى لاتفيا الذى أرسل تقاريره إلى « الفونس نوفيكس » وزير الداخلية .

وتم اتخاذ أربعة قرارات هامة اتخذها الوزير بدون استشارة كبار هيئة العاملين معه ، ولهذا السبب ، استدعى « نوفيكس » ، المستر « كوزينس » ، وأمز من النواب الأربعة ، والجنرال « جانيس فيفرز » لمناقشة تقرير « لوكاسيفيك » .

واطلع « فيفرز » على تفاصيل عملية الخداع الخاصة بالـ « ترست » واقترح على الوزير أن تتم الموافقة من موسكو على شن عملية مضادة كلاسيكية . الا وهى التظاهر أمام البريطانيين بأنهم فى الواقع ليس لهم مشغل راديو موالى فى الموقع وبعد ذلك ينتظرون تداعيات الأحداث .

وتم تقديم توصيات « فيفرز » وتقرير « لوكا سيفيكس » إلى الجنرال « سيرجى كروجلوف » ، نائب منطقة « بيريا » الذى كان يشرف على قمع الفلاحين الليتوانين . كان « كروجلوف » فى الاحتمال الأعظم أحد ضباط الـ « كى - جى - بى » القلائل الذين لم يدهشهم وصول العملاء البريطانيين .

وجاءت تقارير تقول بأن الاستخبارات السرية البريطانية استأنفت جهودها لاختراق الاتحاد السوفيتى .

وعلى مدار سنوات الحرب ، استخدمت « لجنة أمن الدولة » السوفيتية أو الـ « كى - جى - بى » بالاشتراك مع المخابرات الحربية البريطانية المعروفة باسم « أم - أى - ٥ » والمخابرات السرية البريطانية ، العملاء الألمان المأسورين لنقل رسائل الراديو اللاسلكية إلى مقر استخباراتهم الرئيسية ، وأعطوا الانطباع بأنهم كانوا يعملون لصالحهم ويرسلون بالاستخبارات الحقيقية .

وتماماً كما انخدع هتلر وظن أن الإبرار الأرضى للحفاء على القارة الأوروبية فى يونيو ١٩٤٤ سيكون فى منطقة « كاليه » وليس فى نورماندى ارتبك وشوش الجيش الأحمر السوفيتى ، جهاز « فيرماخت » أثناء تقدمه صوب الغرب .

على أية حال ، فقد « لوكا سيفيكس » إمكانية استخدام « أرنييس » أو الآخرين من أجل عملية خداع مماثلة . أحد النواحي الأقل احتراماً للجنرال « جانيس فيفرز » فيما يتعلق بتاريخه الماضى كانت سمعته بأنه « سادى » أو يعانى من السادية : « وهو انحراف جنسى يتلذذ فيه المرأ بإنزال صنوف العذاب لمحبيه » - وذلك فى سجن « لوبيانكا » فى موسكو أثناء حملة التطهيرات الكبرى التى قام بها ستالين ضد خصومه وأعدائه .

إذ أصبح التعذيب آنذاك عمله الروتينى والمعتاد والدورى المنتظم حينما عاد إلى « ريجا » المطلة على البحر البلطى . وفى حالة « أرنييس » والعملاء الثلاثة ، أصدر « فيفرز » أوامره بعدم الرحمة أو إبداء أية شفقة ، وأطاعته زبانيته .

وكان المطلب الأساسى حينذاك هو إيجاد والقبض على مشغل راديو كان يعمل الاتصالات مع السويد إبّان الحرب . . وطلب « لوكا سيفيكس » الاجتماع مع « اوجستوس برجمانيس » ، فى احد أقفاص أسرى الحرب فى منتصف شهر مايو . كان برجمانيس قد خدم فى الجيش الألمانى وعمل مشغلاً للراديو لصالح جماعة « كوريليس » .

وكانت العقبة الكؤود الأولى هى كيفية إقناع « برجمانيس » ليخدم مع أعدائه السابقين . وفى أواخر ١٩٤٥ ، تم نقل برجمانيس من أحد معسكرات أسرى الحرب إلى زنزانه فى مقر للمخابرات السوفيتية الـ « كى - جى - بى » فى أحد أركان شارعى « لينين » و « أنجلز » بمنطقة « ريجا » على البحر البلطى .

وثارت ثائرة « برجمانيس » وأخذه الرعب فأعرض عن محاولات تجنيده . إلا أن توتره زال عنه حينما تحدث « لوكا سيفيكس » عن اهتمام الـ « كى - جى - بى » بعقاب أولئك الذين هم أعداء حقيقيون للشعب السوفيتى ، وليس أولئك الذين هم على شاكلته والذين تم تعبيثهم .

أوماً « برجمانيس » برأسه موافقاً على أن مستقبله هو فى روسيا . والذى أدهشه أن رجل المخابرات السوفيتية رد عليه آنذاك جواز سفره وسائر أوراقه ، وإذناً بمغادرة الـ « كى - جى - بى » . أما الشرط الوحيد الذى أطلق سراحه بعد تعهده بالوفاء به فهو أن يبقى ويمكث فى بيت توفره له استخبارات الـ « كى - جى - بى » .

وفى الأسابيع التالية ، نمت « لوكا سيفيكس » وأصر الصداقة معه . وعقد معه

محدثات وأحاديث طويلة عن حروبهم المتوالية ، وشبابهم ، وعائلاتهم ، والمستقبل .
وبنهاية الأشهر الثلاثة ، ذكر « لوكا سيفيكس » لهذا الصديق الصدوق بأنه في حاجة
إلى شخص ليقوم بعمل الاتصالات اللاسلكية بالراديو على بريطانيين في السويد .

وفي مارس ١٩٤٦ ، شرع برجمانس وكان « لوكا سيفيكس » جالساً بجواره في
استقبال إشارات ونداء « أرنييس » التي جاءت تماماً في الوقت المضبوط الذي اتفق مع
الجدول الزمني المحدد والذي ساير تعليمات « أرنييس » .

وبث الرجال ثلاثة اتصالات كل أسبوع على مدار الأشهر الثلاثة التالية ، بإشارة
موجه قصيرة وبدون أن يلقوا أية استجابة . وفي النهاية وبحلول منتصف شهر يونيه ،
جاء الرد على رسالة « برجمانس » وعندها فصل ضابط استخبارات الـ « كى - جى -
بى » الراديو ، بدون الاعتراف بإرساله هذه الرسائل ، وقال : « دعهم يتعجبون لماذا
افتقدنا فجأة اتصالاتنا المجدولة . وسوف تتحول دهشتهم إلى قلق والقلق سوف
يتحول في النهاية إلى راحة والراحة إلى تصديق .

وبناء على أوامر « موسكو » ، احتفظ « لوكا سيفيكس » على مدار ثلاثة أسابيع
بصمته حينما كان يشغل الراديو في ستوكهولم يرسل ويبث بصفة دورية إشارات
حسب الجدول الزمني .

وعلى مدار الأسابيع التالية ، استطاع مشغل الراديو في السويد أن يلتقط سلسلة
من الأسئلة كانت لندن تأمل من ورائها أن تقدم دلائل قاطعة حول هوية « بيرجمانيس
ومصداقيته » . فأجاب « بيرجمانيس » بالرفض قائلاً : كلا ، إننى لم أتقابل مع أرنييس
إلا أننى استطعت العثور على جهاز الراديو الخاص به . واكتشفت حيثياته من رسالة
وصلتنى من آخرين في تنظيم « كوريليس » .

فحدث أن تلاشت شكوك رجال الاستخبارات في برودواى قليلاً . إلا أنهم بقوا
شكاكين ومرتابين حول امتناعهم عن ذكر أى شىء حول المهمة الجديدة للمستر
« بيرجمانيس » .

وتغير المزاج السياسى في وزارة الخارجية تغييراً جوهرياً منذ شرع أرنييز
بالخروج برحلته البحرية المشنومة . وفي صيف ١٩٤٥ ، أزعج دفء المعاملة بين الإدارة
الأمريكية والزعيم السوفيتى ستالين ، أزعج « أرنييس بيفين » ، وزير الخارجية
البريطانى .

كان « بيفين » وهو أحد زعماء نقابات العمال المشاهير الذي كانت أراؤه وسياساته من شأنها تشكيل الكثير من عمليات المخابرات البريطانية السرية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية داخل روسيا على مدار السنوات المتبقية من ذلك العقد من الزمان ، عانى من المؤامرات وازدواجية العملاء والجواسيس وهم الذين اخترقهم الشيوعيون أثناء سنوات ما قبل الحرب .

ولذلك أصدر نصائحه قائلاً : « ليس بوسعك أبداً أن تتعامل مع الروس إذا كنت تكذب عليهم ، أو إذا رقدت على الأرض وسمحت لهم بأن يطأوك بأقدامهم .

واستمرت تحفظات وضبط النفس عند « بيفين » إزاء « مولوتوف » و « ستالين » ، الذي كان يتهمه « بيفين » بأنه - أى الزعيم الروسى - مسئول مسئولية شخصية عن مصرع مالا يعد ولا يحصى من الفلاحين السوفيت ، استمرت حوالى الشهرين من الزمان .

وعندما تقابل وزراء خارجية الدول الأربعة المتحالفة لأول مرة فى لندن فى سبتمبر ١٩٤٥ ، صارت عدوانية « بيفين » واضحة جلية لأول وهلة . إذ انتقدت علانية توريدات البترول التى كان يقدمها الروس لهتلر ليقتصف لندن بالطائرات .

وكلما زادت الخلافات ، ارتفعت حدة التوتر . وزمجر بيفين معنفاً المسئول الروسى قائلاً : « إنك إنما تتصرف كما لو كنت نازياً » . وبعد أن تمت الترجمة خرج « مولوتوف » من المؤتمر غاضباً بسرعة . وفى اليوم التالى ، اعتذر بيفين إلا أن مخاوفه بشأن السوفيت واحتمال انتهاكهم للمصالح التقليدية لبريطانيا تأكدت بسبب مطالب « مولوتوف » لإقامة قواعد سوفيتية فى ليبيا وأماكن أخرى فى دول البحر المتوسط .

وترامنت هذه المطالب مع انتهاكات الاتفاقيات والقلاقل فى أوروبا الشرقية واليونان ، والاضطرابات الجديدة فى الهند وهى التى بدت كما لو كان مثيروها هم السوفيت وأصر بيفين على عدم تسريب أخبار تشدده إلى الصحافة على الإطلاق ، واعترف لمساعديه قائلاً : « إن الأمر الذى يبعث على الاكتئاب هو المدخل الواقعى والأمانى للروس والغياب الكامل لآية اعتبارات خاصة بأهمية السلام لصالح و نفع الجميع .

وفى الشهر التالى « شهر أكتوبر » اتفق « بيفين » مع المستر « أتلى » على أن الوقت قد حان حيث يجب ان يكون هناك مكاشفة وحسم مع الامبرياليين الأيديولوجيين . غير

أن البريطانيين كانوا يتفاوضون من موقف الضعف كما أن عواطفهم لم يكن يشاركونهم فيها البيت الأبيض الأمريكى .

ولقد تأرجح ترومان منذ أن أصبح رئيساً لأمريكا شأنه في ذلك شأن تشرشل ، بين الإشادة بستالين وأمانته ، وبين تحذير الروس من أنهم بصدد التخطيط لفتح بلدان العالم كلها . وكان ترومان يعتقد مثل وزير خارجيته جيمس بيرنيس الذى كان يعانى من الخوف المرضى من الانجليز ، يعتقد أن التفاوض مع ستالين وترومان مماثل للمؤتمرات التى كان يحكيها أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى المتمردون في الكونجرس .

إلا أن الرئيس شعر في خريف عام ١٩٤٥ بأنه قد خدع ، والذى خدعه هو الكريملين . وبعد انقضاء احتفالات الكريسماس ، اشتكى ترومان في خطاب أرسله إلى وزير خارجيته بشأن الاستيلاء الروسى على أراضى في بولندا وفارس (إيران حالياً) ، والتعقيدات الجديدة ضد تركيا .

وسرعان ما اجتمع الرجلان علي اليخت الرئاسى « ويليا مزبيرج » الراسى في نهر « بوتاماك » . واستبد الغضب بالرئيس ترومان فصاح : « مالم نجابه روسيا بالقبضة الحديدية والخطاب شديد اللهجة فإن حرباً أخرى سوف تندلع ... واستطرد قائلاً : « ليس هناك إلا لغة واحدة يفهمونها ، وتلك هى لغة الجيوش والأرقام : كم عدد الفرق العسكرية التى تمتلكها ؟ وأعتقد أننا لا يجب أن نركن إلى الحلول الوسط بعد الآن . لقد ضجرت من تدليل السوفيت » .

وانعكست إحباطات وشكوك ترومان علي الدبلوماسين الأمريكين والبريطانيين في موسكو الذين علموا الكثير عن مخاوف « بيفين » ، على الرغم من أنه كان لا يزال محالاً من الناحية السياسية إعلان أية شكوك حول حليفهم الروسى في زمن الحرب .

أرسل « فرنك روبرتس » الوزير الصغير (السفير) من السفارة البريطانية في موسكو بالأدلة على تعاظم هجمات الصحافة الروسية على بريطانيا وبخاصة سياساتها إزاء ألمانيا . وأرسل بتقاريره التى جاء فيها أن ماكينة الدعاية السوفيتية قالت بأن نوايا الكريملين هى استغلال ضعف بريطانيا لتدمير الإمبراطورية .

وكتب يقول : « كان هناك إحياء هائل للأيديولوجية الماركسية المنشودة الأمر الذى ترك الانطباع بأن الشعب السوفيتى هم الشعب المختار وأنهم محاطون بعالم

معادى» . وكان تفسيره للأمور تفسيراً مزعجاً إذ قال : إن روسيا صارت في حالة مزاجية تدعوها إلى الحرب باستمرار وهو أمر من شأنه أن يفضى إلى القيام بمغامرات عسكرية في فصل الربيع .

وثمة حادثة واحدة استقرت على وجه خاص إزعاج ومخاوف روبرت ألا وهي اتهام « مولوتوف » في حالة تعبئة ، وأنها كانت تتعاون مع الجنرالات البولنديين ، والروس البيض المعادين والمناهضين للشيوعية ، في ألمانيا والنمسا وإيطاليا .

وزعم « مولوتوف » أنهم إنما كانوا يعدون العدة لخوض الحرب في المستقبل . وثمة اتهام مشابه نطق به « اندريه فيسينسكى » في نفس الوقت ، وكان يشغل منصب النائب العام إبان المحاكمات التي وقعت على عهد حركة التطهير الكبرى التي قام بها ستالين ضد خصومه .

حيث قال: إن الروس البيض تم حشدهم في الموانئ البريطانية وأن الاستنتاج الوحيد الذى يستطيع استخلاصه هو أن بريطانيا كانت تعد العدة لتكرار نفس التكتيكات التي كانوا يستخدمونها في أعقاب اندلاع الثورة البلشفية .

وكان بين هؤلاء الساسة في وزارة الخارجية الذين قرأوا تقارير « روبرتس » وتحذيراته ، أحد الدبلوماسيين صغار السن وهو « توماس بريميلو » الذى سبق له الخدمة في القنصلية البريطانية في « ريجا » عام ١٩٢٩ .

ولقد تصاعد عداء « برايمالو » ضد الروس في أعقاب الحرب لدى سماعه عن اختفاء الكثير من أصدقائه من دويلة « لاتفيا » أثناء الاحتلال الروسى الأول . وبعد قراءة التقارير عن أن الزعماء السوفيت أصبحوا « مدمنين بدراسة التاريخ » وأن الصراع الناشب في القرن التاسع عشر مع بريطانيا عاد يطل برأسه من جديد وأنه سوف يتكرر مرة أخرى .

وتنبأ « برايمالو » أن ألمانيا الغربية سوف تتحول إلى الشيوعية ، ويتبعها اليونان وإيطاليا وفرنسا ، بغض النظر عن أوروبا الشرقية التي سوف تتحول للشيوعية لامحالة .

وتم توصيل رأى « برايمالو » إلى « كريستوفر وارنر » رئيس القسم الشمالى بوزارة الخارجية البريطانية . وكتب وارنر - عندما علم أن وزارة الحرب البريطانية .

بصدد تشكيل خطط طوارئء لملاقاة الصراع المتوقع مع روسيا وأن أجهزة الاستخبارات البريطانية السرية كانت تساند الجماعات المعادية للشيوعية - يقول لابد من مواجهة سياسات فرض القوة الشريرة التي ينتهجها السوفيت .

وجعل يقول : إنه « لايجب علينا أن نكون من الحماقاة بحيث لناخذ كلام الروس على محمل الجد ، ولقد تعلمون أن سائر أنشطة روسيا في الأشهر الماضية تؤكد هذه الصورة ... ففي شرق أوروبا حيث توجد دول البلقان ، وفي بلاد فارس ومنشوريا وكوريا وفي المنطقة المشتركة بين روسيا وألمانيا ، وكذلك في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ، مساندة روسيا للأحزاب الشيوعية والجهود الشيوعية لاختراق الأحزاب الشيوعية وتآليف الأحزاب اليسارية تحت الزعامة الشيوعية ، في السياسة الاقتصادية الخارجية للاتحاد السوفيتى .. في كل حالة من صور الشئون الخارجية تظهر في الصحافة السوفيتية وإذاعاتها الخ

وقال وارنر محذراً سيكون ثمة مخاطر إذا فسر ستالين استجابة بريطانيا على أنها ضعف واسترضاء .

أوصى وارنر بأنه في أى مكان يوجد فيه حلفاء طبيعيون لبريطانيا يقاتلون الشيوعيين ، ينبغى على بريطانيا أن تقدم « كافة أشكال العون الأخلاقى والأدبى والمادى كلما استطاعت إلى ذلك سبيلاً » إلى القوات المناهضة والمكافحة للشيوعية .

ولقد ضخم من أهمية آرائه المحللون الاستخباريون في أجهزة المخابرات السرية البريطانية ، وكان بعضهم قد أطلال في التأكيد والجدال بأن الكريملن لايزال ملتزماً بسياسته التي تستهدف السيطرة على العالم .

وفي عام ١٩١٨ في أعقاب الثورة الروسية ، أنشأت بريطانيا لجنة تيقظ ومراقبة لرصد تحركات البلشفية ، وفي الظروف الجديدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية كررت بريطانيا المحاولة وأنشأت لجنة جديدة خاصة بالشئون الروسية من أجل تنسيق استجابات بريطانيا وردھا على أية هجوم روسى طويل المدى ضد الغرب .

واجتمعت اللجنة الروسية في أولى لقاءاتها في ٢ أبريل عام ١٩٤٦ وتزامن ذلك الاجتماع مع أول تغيير في السياسة في واشنطن . إذ وافقت هيئة الأركان المشتركة السوفيتية رسمياً على الاعتراف بأن روسيا صارت « أعظم تهديد ضد الولايات المتحدة في المستقبل المتطور » .

و اتخذت قرارات بإنشاء قواعد عسكرية تحيط بالاتحاد السوفيتى من كل الجهات بدءاً من جزيرة جرينلاند وأيسلندا عبر القطب الشمالى وحتى « أوكيناوا » .

وفي اليوم التالى أرسل « جورج كينان » المسئول الأول فى السفارة الأمريكية فى موسكو برقية من حوالى ٨٠٠٠ كلمة إلى مسئولى وزارة الخارجية الأمريكية طالبت استيضاحاً وشرحاً للعداء السوفيتى فى مواجهة رغبة واشنطن بإقامة علاقات صداقة . وأصبح كينان أيضاً فى حالة وهم وارتباك بشأن تصرفات الزعيم السوفيتى ، ونجا منه فى أعقاب كلمة ألقاها ستالين يوم ٦ فبراير فى مسرح البولشوى ، اتضح منها نزوعه للحرب والقتال .

وقال : إن الزعيم السوفيتى يعتقد بأن بلاده محاطة بعواصم معادية يتعين على روسيا مقاتلتها ومحاربتها فى القريب العاجل . وأكد على محاولة السوفيت زعزعة استقرار الغرب اعتقاداً منهم بأن الانسجام الداخلى للمجتمعات الغربية لا بد وأن يتم تمزيقه وبث الفوضى والخراب كشرط أساسى لضمان الأمن للسوفيت .

وكتب « كينان » فى تقريره يقول : « إن مواجهة السوفيت تحتاج إلى نفس الاستراتيجية المتكاملة كما لو كنا فى حالة قتال فى حرب شاملة طالما أن السوفيت يمثلون تلك المخاطر الجمة لوجودنا ومصالحنا » .

تم طباعة وتوزيع تقرير « كينان » بين مئات كبار المسئولين والسياسة وصناع القرار الأمريكى ، وعلى الرغم من أن البيت الأبيض كان لا يزال مصراً على الحفاظ على مواقفه الودية إزاء ستالين ، إلا أن الكثيرين يؤرخون بالانقلاب الأمريكى على الستالينية بوصول برقية المستر « كينان » . إلا إنه كانت هناك بعض الحدود والقيود .

إذ رفض ترومان ومسئولوه آراء « بيفين » بأن « مولوتوف » بلغ درجات الجنون بهجمات بل إنه تجاوز الجنون بالفعل ، وتجاهله أمر برقيات وتقارير المستر « كينان » الاستخبارية التى جاء فيها أن السوفيت يتوقعون من كل من فرنسا وكل ألمانيا أن تتحولوا إلى الشيوعية .

وصارت الدلائل على الجاسوسية السوفيتية من الكثرة بحيث لا يمكن تجاهلها . وفى فبراير أخبر المسئولون الرئيس الأمريكى ترومان بأن « هارى وايت » مساعد وزير الخزانة ماهو إلا جاسوس سوفيتى وأن « الجيرهيس » بوزارة الخارجية الأمريكية تحوم حوله الشكوك والظنون .

وقالت تحقيقات أجريت في كندا أن إحدى حلقات الجاسوسية السوفيتية كانت تعمل هناك منذ عام ١٩٢٤ . وفي ١٥ فبراير ، ألقى البوليس الكندي القبض على ستة عشر شخصاً ووجه إليهم تهمة السعى لكشف وفرض أسرار القنبلة الذرية الأمريكية . وبعد ذلك بأربعة أيام ، تم إلقاء القبض على عالم الذرة البريطاني الدكتور « آلان نان » ووجهت إليه تهمة تمرير عينات من اليورانيوم المشع (٢٣٥) إلى أحد عملاء السوفيت . وكانت الأدلة ثابتة عليه بحيث أنه لم يملك إلا الاعتراف .

وظلت الحكومتان البريطانية والأمريكية في لندن وواشنطن صامتين على الصعيد العلني وكبح السياسة انتقاداتهم على مضمض وتمالكوا انفلاتة أعصابهم المتوترة إلا أن « كريستوفر وارنر » وكبار المسئولين الآخرين خشوا من أن الحركة الشيوعية العالمية مثل « الطابور الخامس » الألماني كانت تمد السوفيت بشبكة تجسس هائلة هدفها تعويض التعوذ البريطاني والأمريكي في جميع بقاع العالم .

إلا أن ونستون تشرشل حذر قائلاً : إن العداء الروسي يجب أن يتم إيقافه من أجل تفادي الانزلاق إلى « ظلام جديد » . وزعم بعد ذلك أنه كان قد أصدر أوامره إلى « مونتجمري » إبان جمع وحشد السلاح الألماني لدى هزيمتهم الرايخ الثالث من أجل تكديسه حتى يمكن إخراجه بسهولة مرة أخرى إلى الجنود الألمان الذين يتعين علينا أن نعمل معهم إذا استمر التقدم السوفيتي .

واكد مونتجمري على أنه أطاع الأوامر وفسرت موسكو مذهب تشرشل على أنه مقدمة هجوم سرى جديد . ولقد كانت العقبة أمام المخابرات البريطانية السرية لشن هجوم مضاد خطير هو إفلاس بريطانيا وحذر وحرص « بيفين » إلا أنه كانت هناك درجة كبرى من الشكوك السياسية الكافية التي سمحت لضباط الاستخبارات البريطانية بأن يتبعوا فطرتهم .

وبالنسبة إلى مخابرات أمن الدولة السوفيتية المعروفة باسم الـ « كى - جى - بى » فإن الدلائل الواردة من أوروبا الغربية تقول بأن البريطانيين أصبحوا للمرة الثانية وفي أعقاب الثورة البلشفية ، يحشدون ويجمعون ويجندون الشيوعيين المنشقين من أجل القيام بعمليات مستقبلية .

وفي أثناء الأسابيع الأخيرة من الحرب ، تقابلت الجيوش البريطانية والأمريكية في ألمانيا والنمسا مع آلاف الجنود الذين كانوا يتحدثون اللغة الروسية ولكنهم كانوا

يرتدون الزى الألماني . ولقد جند الألمان القوازقة والعناصر من جورجيا وأوكرانيا والقواز وبلدان البحر البلطى للقتال ضد عدوهم التاريخى الا وهم الروس .

وفى آخر أيام الحرب ، هرب آلاف الأحياء من تلك الفرق العسكرية صوب الغرب ، فيما وراء قبضة الجيش الأحمر ، للاستسلام إلى الأمريكان والبريطانيين . وكانوا فريقا من الرعايا الروس البالغ عددهم حوالى المليونين الذين أنهوا الحرب فى الغرب ، واختلطوا مع سجناء الحرب المحررين . وفقا للمعاهدات السوفيتية تقدر الجميع هؤلاء أن يعودوا بمقتضى اتفاقيات « يالطا » .

ولقد كانت الاتفاقية بين الزعماء المتحالفين الثلاثة فى يالطا عام ١٩٤٥ معلماً هاماً من حيث نواحٍ كثيرة فى العلاقات القائمة على زمن الحرب . وكان تشرشل قد وافق فى أعقاب استسلام الألمان فى نهاية الحرب العالمية الثانية على اعتبار أن أى شخص من الرعايا السوفيت عشية اندلاع الحرب عام ١٩٣٩ سوف يتم تصفيته على أنه روسى بغض النظر عن رغباته أو أمنياته ، وبذلك سيتم تسليمه إلى ضباط الجيش الأحمر السوفيتى .

ومن الناحية النظرية ، بدا أن هذه العملية ستكون بمثابة المهمة العسيرة غير الإنسانية . ذلك أن الجنود البريطانيين والأمريكين لن يتعاطفوا مع الروس الذين - لأسباب لايفهمونها - تطوعوا أو وافقوا على القتال إلى جانب صفوف النازيين .

ومن الطبيعى أن يكون لهؤلاء الروس مخاوف وأسباب تدعوهم إلى خشية سوء المعاملة لدى العودة طالما أنهم سوف يعتبرون فى أنظار الكريملن خونة . غير أن هذه المشاعر أو الاعتبارات لم يكن لها أية تقدير لدى الحلفاء الذين صاروا فى مايو ١٩٤٥ مثقلين بأعباء توفير الكم الكافى من الطعام والتسهيلات ، فكانوا يسرعون من ترحيل أسرى الحرب المحررين فى منطقة روسيا ، وأرادوا أن يرسلوا أية أسباب من شأنها أن تضرم ميزان الحقد لدى ستالين . وتم بالفعل شحنهم على عربات وقطارات إلى روسيا ، مما أثار على نفسية « بيل كويتن » الذى روى الواقعة وكان أحد الضباط الأمريكين الشبان آنذاك ، وكان يرفض ترحيلهم لسوء المال والضياع فى الاتحاد السوفيتى .

وبحلول منتصف شهر مايو ، احتشد الكثير من الضباط البريطانيين الذين بلغ منهم اليأس منتهاه فى تنفيذ المهمة الموكلة إليهم ، وبخاصة فى النمسا وبلغ عددهم ٢٥,٠٠٠ تقريباً أغلبهم من القوازقة .

ومن الدروس التي علمنا إياها التاريخ أنه في الأيام الأولى من السلام ، شرح الزعماء القوازقة للجنود البريطانيين الذين انتابتهم الحيرة والارتباك كيف ليسوا ولم يكونوا من الرعايا الروس ولكنهم كانوا ضحايا للإمبريالية السوفيتية ، ومع ذلك ساقطهم الأقدار إلى الأعداء الروس . وقد كانوا يبغضون الأباطرة والقيصرة ويثير غيائهم البلاشفة .

وليس هذا فحسب بل كانت الجنود القادمة من بلدان البحر البلطى يحاربون إلى جانب صفوف النازيين الألمان نكايه في الروس الذين احتلوا بلادهم وشردوا أهاليهم .

إلا أن الكثير من الجماعات الروسية الذين قاتلوا إلى جانب صفوف الألمان ، كانوا على صلة بوحداث « إس - إس » التي ارتكبت أنكى الفظائع والأعمال الوحشية في تاريخ الإنسانية . واكتشف المحققون في جرائم الحرب كيف أن أقلية من المجموعات كانت تخشاهما أوروبا الشرقية أكثر من خشيتها وحدات « إس - إس » التي تنتمى إلى القوميات الخاصة بدولة « لاتفيا » على البحر البلطى . وكذلك « كتائب بوليس » ليتوانيا ، وفرقة « جاليزين إس - إس » الاكرانية أو القوازقة .

ويقول « نيكولاي كرانسنوف » الحفيد الأكبر لأحد الجنرالات القوازقة المشهورين : « إنهم قاموا بالتجريد والسرقة كما لو كانوا من قطاع الطرق . وانتهكوا النساء وأحزموا النار في المستوطنات ، وإن سلوكهم المشين المهين ألقى ببطخة من العار سوف تجلج هؤلاء الذين قدموا القتال ضد الشيوعية ونفذوا المهام والواجبات بطريقة مشرقة وجريئة وجسورة .

أما الجنود البريطانيون في جنوبي استراليا فقد كانوا إما جهلة مما يدور في هذه الحروب من جرائم أو كانوا يعلمونها وأن ضحايا القوازقة على الأقل ليسوا من بين البريطانيين . وعلى وجه اليقين تأثروا من حكايات السجناء ومآسيهم والمشاق التي تكبدوها حينما ترجمت إلى اللغة الإنجليزية .

وبلغت القضية ذروتها ومنتهاها بنهاية شهر مايو حينما تلقى الليفتنانت جنرال تشارلز نايتلى ، قائد الفيلق الخامس طلباً من القائد السوفيتى عبر الخط الفاصل بين المناطق المتنازعة ، بعودة القوازقة .

وأعد الجنرال نايتلى العدة ليذعن ويطيع الأمر حتى أعلن الميجور جنرال « روبرت أربوثنوت » قائد الفرقة الثامنة والسبعين أنه رفض تنفيذ الأمر ؛ لأن القوازقة كانوا «

من المهاجرين القدامى « الذين حاربوا مع البريطانيين حوالى خمسة وعشرين عاماً من قبل وأصبحوا غير خاضعين لمقتضيات معاهدة « يالطا » .

ولما اقتنع ، وافق نايتلى على الضغط على الفيلدمارشال هارولد اليكسندر ، القائد العام للقوات . وكان أن صار الكسندر بطلاً محلياً بصفته قائد المتطوعين البريطانيين للحرب ضد الروس فى منطقة دويلات البحر البلطى ، ومن أجل حماية استقلال تلك الدويلات ضد الروس .

رفض « الكسندر » مجادلات « كيتلى » الإنسانية . وأصر الكسندر الذى نقل عن تشرشل وإيدن تعليماتهما الشخصية ، على إطاعة الأوامر . وتم تسليم ٢,٠٠٠ ضابط قوزاقى إلى الروس حيث سيلقون الموت المحتوم ، وصاحب ذلك مشاهد من التأثر البالغ والأحزان لدرجة أن بعضهم انتحر فى مايو ٢٩ ، بمدينة « جودينبرج » .

وفى أول يونيه ، أصدر الجنود البريطانيون أوامهم لأولى الدفعات الباقية وقدرها ٣٣,٠٠٠ جندي وزوجاتهم وأطفالهم بركوب القطارات بدءاً بالشروع فى الرحلة . فتفجرت المخاوف والذعر وجعل الكثير من القوازقة الذين كرهوا العودة ، جعلوا يلقون أطفالهم وأنفسهم فى نهر « درو » المليء بالدوامات والأمواج .

وبحلول منتصف شهر يونيه ، حينما بدأ أن العملية اكتملت مراحلها ، هرب حوالى ٤,٠٠٠ من الترحيل الإجبارى . غير أن عواقب ذلك كانت وخيمة إلى أبعد الحدود وانتقل ١٠,٠٠٠ أكرانى هم أعضاء الفرقة الأكرانية الأولى وكانوا قد حاربوا مع الألمان فى بولندا واشتركوا فى المذابح المروعة ، انتقلوا بهدوء عبر جبال الألب إلى أحد المعسكرات البريطانية فى « ريمينى » .

وبعد وصولهم فوراً ، دمر معظمهم وثائق هويتهم الحربية وزعموا أنهم بولنديون ، وليسوا من الروس أو الأكرانيين من أجل إحباط ترحيلهم . وكان يتعين على بريطانيا أن تعتمد مزاعمهم الزائفة ، واضطرت العسكرية البريطانية والمسئولون الحكوميون إلى تأييد مطالبهم .

ومكث البعض الآخر فى ألمانيا . وأرسل الدكتور « ألفريد فالدمانيس » نيابة عنهم - وكان وزيراً سابقاً للمالية فى دولة لاتفيا - أرسل نيابة عنهم المارشال الكسندر مذكراً إياه ببطولته المجيدة منذ خمس وعشرين عاماً سلفت . ومنذ ذلك الوقت ، كتب يقول : إن الكسندر كان رجلاً مثالياً نظر القوم إليه كصديق للشعب فى دولة لاتفيا .

وبعد ذكر أسماء الجنرالات اللاتفيين الذين تقابل معهم الكسندر أثناء الخدمة ، وكانوا جميعهم قد هلكوا سواء في السجون السوفيتية أو في سيبيريا . واشتكى « فالدمانيس » من أن ضباط فيلق لاتفيا في المانيا قد زجوا بهم عن طريق الخطأ في السجون الخاصة بمعسكرات المساجين .

وزعم أن ضباط لاتفيا وضعوا ثقتهم في الماريشال البريطاني العظيم « سيك » باعتباره أملهم الأخير في الخلاص من الظلم طالما أنهم لم يكونوا من المتطوعين بل من المجندين . وشعر الكسندر بالتعاطف معهم ، وقال « لقد كنت قائدهم وكانوا هم جنودي ، ولذلك فإننى أرغب في فعل كل ما أستطيع من أجلهم » وكتب بذلك رسالة أرسلها إلى وزارة الخارجية البريطانية .

ووافق « برايمالو » على أن « اللاتفيين » لم يستحقوا المصير الواقع عليهم وحشدهم مع ضباط وجنود فريق « إس - إس » المفضوب عليهم . وصمم الرجل الدبلوماسى على عدم فصلهم عن أسرى الحرب الألمان طالما أنه « من المستحيل التمييز بين أولئك الذين تم تجنيدهم من أولئك الذين تطوعوا بمحض إرادتهم . واقتنعت العسكرية البريطانية بأنهم جميعاً كانوا قد تطوعوا للحاق والانضمام إلى فرقة « إس - إس » .

وأرسلت رسالة أخرى نيابة عن ١٠,٠٠٠ عضو من المساجين الذين ينتمون إلى فريق « إس - إس » التابع لجمهورية استونيا ، إحدى دويلات البحر البلطى ، إلى المستر « بيفين » عن طريق السفير « أوجست نورما » قال فيها : « إن الأغلبية اضطرت قسراً إلى الانضمام إلى الفيلق الألماني ، وأنهم اضطروا للحاق بذلك الفيلق الذى كان الألمان يسيطرون عليه من أجل الانتقام من « الإرهاب الوحشى » الذى كانت تمارسه روسيا .

وتزامنت هاتان الرسالتان مع توسط المارشال جريجورى زوكوف للقائد مونجمرى في برلين . جاء فيها أن آلاف من الرعايا الذين ينتمون إلى قوميات البحر البلطى والذين أسره في المانيا وألبسهم الأردية الألمانية والنزى الألمانى ، يجب أن يتم إعادة ترحيلهم بمقتضى اتفاقيات يالطا .

ووافق الحلفاء بمقتضى إعلان موسكو الصادر عام ١٩٤٣ على أن مجرمى الحرب يجب أن يتم إعادتهم للمحاكمة في المكان الذى ارتكبوا فيه جرائمهم . وحيث أن معظم جرائم الحرب النازية تم ارتكابها واقتراها في أوروبا الشرقية ، كان أمراً محتوماً

أن يكون هناك خلل في ميزان التبادل بين الرجال المطلوبين .

وفي ٢٨ نوفمبر ١٩٤٥ ، وصل أحد ضباط الجيش الأحمر في معسكر « زيديلفيم » لأسرى الحرب في بلجيكا ، وهو مركز تجميع وحشد لجميع رعايا لاتفيا ، الذين هم مطلوبون للترحيل إلى روسيا من جانب الكولونيل « أرفيدس كريبيتر » لمحاكمتهم كمجرمي حرب .

أما المستر « كريبينز » فقد كان رئيساً سابقاً للأركان وقائداً عسكرياً لفرقة « إس - إس » اللاتفية ، وكان قد حارب متطوعاً مع الألمان على مدار مراحل الحرب . أما الميجور « تومسون » ، وهو محام بالجيش البريطاني الذي كان قد قدم الدلائل والبراهين الروسية ، وافق على أن هناك قضية واضحة منذ الوهلة الأولى وبالتالي أصدر التفويض اللازم بالانتقال .

ولقد اعتبر « برايمالو » أن قيادة « إس - إس » التي يتزعمها « كريبينز » فقد جعلت أنشطة الجندي تبدو « سوداء بعض الشيء » إلا أن تشارلز زارينز ، سفير لاتفيا أصر في رسالة إلى وزارة الخارجية البريطانية على أن « كريبينز » كان رجلاً أميناً وطيباً .

وتم تجاهل انحياز « زارينز » في تلك المناسبة إلا أن كريبينز من أجل إحباط عملية الانتقال حاول وارتكب محاولة انتحار فاشلة وأعلن أنه مريض جداً لدرجة أنه لا يحتمل السفر وأنه لا يصلح للسفر .

وفي نفس الوقت ، الذي تم فيه حماية المجرمين والقتلة ، تم تجنيد ٧٠.٠٠٠ ألماني شرقي ، وفعل ذلك الجيش البريطاني ليصبحوا أعضاء بالجيش البريطاني للخدمات الحربية . وزعم البريطانيون أن الأوربيين الشرقيين كانوا من العمالة الرخيصة وأنهم تم تجنيدهم من أجل رفع حطام وأنقاض الحرب ، والاضطلاع بالمهام الشاقة ، إلا أن السوفيت أصرروا على أنهم قوات شبه عسكرية للاستخدام في الحرب في المستقبل ضد روسيا .

ولقد كانت هناك أسباب قوية تدعو السوفيت للشك حيث أن الكولونيل « أرفيدس كريبينز » لدى شفائه كان قد تقرر أن يتم استخدامه في الجيش البريطاني .

وفي شهر مارس ، تم الدعوة لعقد مؤتمر « لبييك » لدراسة التقارير التي عاد بها « جوناس ديكسينس » .. الذي هرب بنفسه إلى خارج أراضي ليتوانيا . وأخذ يشرح

« ديكسنيس » كيف أن شركاءه في عملية الهروب ثم إلقاء القبض عليهم . وحدث أنه لم يتم أى أحد بتحرى الظروف أو الاستقصاء عنها بالتفصيل .

وكان كل من « ماكيين » و « زيماناس » أكثر قلقاً واهتماماً حينما سمعوا أن الـ ٣٠,٠٠٠ فلاح التشطين الذين كانوا يسببون للسوفيت أخطر مصادر القلق والعناء ، صاروا لا يثقون في تنظيم « فليك » لأن زعماءه تعاونوا مع الألمان .

وقبل « ماكيين » و « زيماناس » حكم « ديكسنيس » وابتهجا من أن الرجل الليتوانى وافق على العودة مرة ثانية مزوداً بأجهزة الاتصالات اللاسلكية والمال لإقامة الصلات المباشرة بين جهاز المخابرات البريطانية السرية والفلاحين . وسافر للمرة الثانية بمصاحبة « فيتوناس ستانينيس » بطريق البر مستخدماً جوازات سفر مزورة والرشاوى .

ولما وصلت الأنباء بأن الاستخبارات البريطانية السرية قد قبلت إرداته « ديكسنيس » ، وعرف بها مجلس تنظيم « فليك » المجتمع في ألمانيا ، أصبح الانقسام بين صفوف حركة المقاومة هذه أمراً لاسبيل إلى رآبه أو إصلاحه .

واتهم تنظيم « فليك » المستر « ديكسنيس » بالتعاون مع النازيين وتجاهل « زيماناس » الذى كان أيضاً يستحق اللوم بنفس الدرجة ، تجاهل تلك التدابير الانتقامية كان ضباط المخابرات البريطانية مهتمين بدس العملاء الموثوق فيهم إلى داخل المنطقة . أما انشطتهم على زمن الحرب فكانت بمثابة التاريخ الذى لاصلة له الآن بالحوادث الجارية .

وفي ليلة ٦ اغسطس ١٩٤٦ ، أبحر زورق صيد مزود بكافة الأجهزة والمعدات في هدوء عبر موانئ « لاتفيا » ولما وصل إلى مبنغاه ، قفز رجلان يحملان حقائب كبرى على الشاطئ واختفيا في الظلام الدامس . وكانا عميلين للمخابرات البريطانية للعمل داخل خطوط روسيا .

لم تكن تلك العملية جديدة على المستر « تومسون » ذلك أنه كان قد قام بعبور البحر أحد عشر مرة من قبل إبان الحرب وأغراه ذلك للاضطلاع بهذه الرحلة البحرية الأخيرة ، على أمل الوفاء بالوعد الذى قطعتها المخابرات البريطانية له بإعطائه المال النقدى والمزايا المالية لدى عودته .

وكانت جماعة « كوريليس » وعلى رأسها « زاندى » الذى عمل أيضاً مع « فالديمارس جينترس » حتى مايو ١٩٤٥ ، كانت مشهورة وكذلك المستر « زاندى » الذى عرف بأنه أحد دعاة القومية والمحاربين عن استقلال بلادهم . ولقد أوضحت متعلقاته الشخصية فيما بعد كيف أن أجهزة المخابرات البريطانية السرية لم تكن تهدف فحسب إلى بث أجهزة الراديو وأجهزة الاتصالات اللاسلكية داخل لاتفيا ، وإنما كانت تهدف كذلك إلى تكوين شبكة كبرى من الجاسوسية الدولية .

كانت استعدادات العملية تستهدف أساساً التعقيم على الصلة التى تربط بين تنفيذها وبين أجهزة المخابرات البريطانية السرية . وكان المستر « جانيس لوكينز » أحد دعاة القومية الشباب الذى نظم الرحلة الفعلية ، غير عالم بهذه الصلة . كما كان « لوكينز » على اتصال بـ « هوجو جينترس » الرجل الذى يعتنق كثيراً من المبادئ الفاشية إلا أنه لم يكن فاشياً تماماً ، وكان قد جمعت بينه وبين « روبرت أندرسون » العلاقات الطيبة فى السفارة الأمريكية .

وبرزت الفكرة أساساً من خلال حديث بين « جينزس » و « لوكينز » بأن يتم جمع التبرعات من الرعايا اللاتفيين فى المنفى وأحد القساوسة السويديين من أجل الحصول على زورق سريع والأجهزة والعتاد اللازم . وكان هذا القسيس يعمل نيابة عن وكالات الاستخبارات الانجليزية فى الخفاء .

وبعد أن هبطا على أرض الميناء ، شق الرجلان طريقهما إلى خارج قرية الصيد المشرفة على البحر متوجهين إلى بيت والد « زاندى » قلما دخلاه توجه زاندى إلى الغرفة العليا حيث شرع فى بث المعلومات باللاسلكى لتأكيد وصولهما الآمن فى حين قام « تومسون » بفك تحميلات البنادق الآلية والمسدسات والزخائر ليفحص أن كل شيء على مايرام وأنه جاف لم تصبه الماء .

وحدث بعد ذلك أن أصابت بعض التلغيات جهاز الإرسال الخاص بالمستر زاندى ، بعد أن كان قد قطع شوطاً فى العملية ، وسار سيراً حسناً على مسار تنفيذ كل الخطوات المتفق عليها . إذ جاءت الرسائل اللاسلكية تقول : بأن الجهاز يعانى من التشويش وأن رسائله لاتصل واضحة ، واقترح عليه الاتصال بمشغل راديو من رجال المخابرات البريطانية اسمه « برجمانيس » لإصلاح تلك العلة .

وواصلت أجهزة المخابرات البريطانية اتصالاتها مع المستر « برجمانيس » على

الرغم من الشكوك الخطيرة . وبرغم أن توضيحاته وشروحه بدت معقولة ، إلا أن رسائله على مدار الأشهر الماضية كانت غريبة بل الأكثر من ذلك أنها كانت هستيرية . ومع ذلك ، حيث أن موقف « زاندى » صار موقفاً بائساً وعصياً ، كانت المخاطرة تستحق العناء والمغامرة الواجبة .

وفي أوائل نوفمبر ١٩٤٦ ، تلقى بيرجما نيس رسالة من السويد تم أيضاً إرسالها إلى « زاندى » تنصح المستقبلين بأن يتوجها إلى اجتماع في منزل إحدى النساء العجائز في « جالجاغا » بالقرب من الميناء الكبير على البحر البلطى الذى يطلق عليه اسم « ريجا » . تلقى « بيرجما نيس » تدريباً جيداً ونصائح هامة ، عندما وصل إلى مكان الاجتماع . حيث أجاب بسهولة على كافة تساؤلات المستر « زاندى » وبدأ وجود راديو يعمل أمراً مهدتاً لمخاوف المستر « بيرجمانيس » . ووافق « زاندى » على أن رسائله يجب أن يتم نقلها وبثها عن طريق « بيرجمانيس » وأصدر أيضاً أوامره إليه لجمع الاستخبارات والمعلومات من أجل لندن .

ولدى عودته ، قال زاندى للمستر « تومسون » : إن الاجتماع كان ناجحاً وإننى لأشعر بالرضا لأن المستر بيرجمانيس لا يعمل لصالح أجهزة المخابرات السوفيتية المعروفة باسم « لجنة أمن الدولة » (كى - جى - بى) .

وعلى مدار الأسابيع التالية أصبح نجاحات المستر « زاندى » تلقى المخاوف لدى رجال المخابرات البريطانية خشية افتضاح أمره وانكشاف عملياته .

وفي ستوكهولم ، جمع « جانيس لوكينز » المال اللازم لشراء وتدبير زورق أكبر لعبور البحر البلطى . واختار رجلاً محنكاً من لاتفيا واسمه « ايلمارس سكوبى » من أجل قيادة هذه المهمة الأخيرة .

ولقد كان « سكوبى » على ما بدا رجلاً مثالياً واختياراً ناجحاً فهو ضابط في الطليعة الرائدة لفيلق إبان الحرب ، ولقد ترك السيرة الحسنة التى مؤداها أنه مناهض مثالى ضد الشيوعية ، وكيف أنه استطاع أن يقتل في الأيام الأخيرة من عام ١٩٤٤ الكثير من الروس كهدف من أهدافه التى آلى على نفسه أن يحققها .

وعلى مدار معظم عام ١٩٤٥ ، عاش هو وزوجته وأتباعه الثلاثون في غابات كورلاند ، مسلحاً بالأسلحة الألمانية ، وقام بعمليات اضطهاد وإزعاج للفلاحين من أجل

الحصول على الطعام الكافي لإعاشتهم . وبحلول أواخر شهر الصيف ، أصبحت فرقة المقابلين التابعة له في حالة من العوز والفقر ، وصارت تحيط بها المخاطر من كل صوب وناحية بدرجة متزايدة .

وفي ذات ليلة ، فوجئوا بإحدى دوريات الجيش الأحمر ونجا « سكوبى » من الموت بأعجوبة عندما أطلق النار على أحد الضباط الروس الذى كان قد تمكن منه فأرداه قتيلاً . وعندها أمر أتباعه بالرحيل إلى السويد قائلاً إننا لا يمكن أن نجلس هنا في انتظار نشوب الحرب ، واقترح أن يستقلوا زورقاً للإبحار إلى السويد .

وفي خضم تخطيطهم لعملية الهروب ، في ٤ أكتوبر ، أسرا ل « كى جى بى » زوجة « سكوبى » . وعلى مدار الأيام التالية ، تعرضت المرأة التى جردوها من ملابسها وتقيدها في أحد الكراسى للتعذيب من أجل استخراج معلومات منها واعترافات بأماكن المجموعة التى تنتمى إليها .

ولكنها استطاعت تحت وطأة الألم والعذاب أن تتأمر على ضباط ال « كى جى بى » وخذاعهم إذ قالت لهم: إنها سوف ترشدهم إلى ما يريدون ولكنها تطلب عدم مصاحبيتها إلا عن بعد حتى لا ينكشف الأمر وتهرب أفراد المجموعة . ولما وجدت أنها ابتعدت عنهم في الظلام مسافة كافية ، أطلقت ساقبها للرياح واختفت وسط الأحرش واستطاعت العودة الى مكان زوجها ، ولكنها ظلت سنوات طويلة بعد ذلك تعاني من الآلام .

وتخفى المستر « سكوبى » في زى رجل المخابرات « كى جى بى » السوفيتية الذى سبق أن قتله ، وجعل يبحث عن زورق يمكنه هو وزوجته وأتباعه من الرحيل من تلك البقعة ، وفي ٢٢ أكتوبر أصدر أوامره بصفته رجل مخابرات روسى الى أحد الصيادين الذين يعيشون في قرية « جوركالين » بأن يقدم زورقه من أجل مهمة البحث عن قطاع الطرق وأشخاص مشبوه فيهم .

وتم إلقاء القبض على صياد السمك سيء الطالع خارج الميناء ، في حين أن الزورق شق طريقه في البحر وهو يقل بقية فريق المستر « سكوبى » متوجها الى « جوتلاند » لطلب حق اللجوء السياسى .

وقال « سكوبى » لزوجته : « إن السويديين لا يعرفون بالذى سوف يفعلونه معنا » وذلك مع حلول أعياد الكريسماس عام ١٩٤٥ ، حينما كانوا لا يزالون

محتجزين في معسكر اللاجئين . وحدث أن زار مع « لوتجاس » مقر السفارة البريطانية ليعرض خدماته إلا أن المسئولين بالسفارة رفضوا خدماته واعتذروا له في أدب ودمامة خلق .

وأخبر « سكوبى » المسئول البريطانى أن طموحه هو الحصول على زورق ليعود به ويستأنف الكفاح فى لاتفيا . وصار الاحتياج إلى زورق هاجساً يؤرق الرجل ، وهو الهاجس الذى تفاقم حينما أرسله السويديون للعمل فى غابات الشمال ، فصار على بعد ٢٦ ساعة بالسيارة من زوجته . وفى صيف ١٩٤٦ ، انكشفت عنه الغمة وزالت عنه المحنة . إذ كتب « جانيس لوكينز » بأنه يحتاج المساعدة لإعداد زورق من أجل رحلة خاصة .

كان « لوكينز » غير مدرك لمشكلات الراديو التى يعانى منها « زاندى » وبنهاية شهر أكتوبر من عام ١٩٤٦ ، جند « لوكينز » أربعة رجال آخرين من لاتفيا كطاقم له أما الشخص الخامس الذى عينه « جنترس » فقد تقرر أن يقيم فى لاتفيا كمشغل لراديو الاتصالات اللاسلكية الخاصة بأجهزة المخابرات البريطانية السرية .

وفى ١٧ ديسمبر ، فى الوقت الذى كان فيه « سكوبى » ينهى ترتيباته ويضع لها اللمسات النهائية ، وصل وسيط غير معروف هو الذى وصفهم « سكوبى » فيما بعد بأنه « الكولونيل - وصل إلى الرصيف البحرى وأفرغ حمولة حقيبتين بنيتين . كانت المحتويات تتحدث عن نفسها : وهى جهازان من أجهزة الاستقبال والإرسال ، وراديو جديد وجهاز إرسال وبنديقتان أمريكيتان من عيار ٩ مم ، وثلاثة مسدسات ، وذخائر ، وصندوق علاج وأدوية .

أخفى « سكوبى » والطاقم الذى معه بكل عناية الأشياء فى أماكن سابقة الإعداد . أما المصدر لكل هذه الأشياء فهو أحد الرجال من استونيا ، هكذا قال سكوبى للطاقم الذى معه . وعلى الرغم من طلبه لاختبار صلاحية الزورق ، أصر « لوكينز » ، أنه ليس هناك الوقت من أجل ذلك ، حيث إن رجالنا فى لاتفيا صاروا قلقين للغاية .

وأعطى الكولونيل للمستمر « سكوبى » حافظتين أخريين الأولى تحتوى على ١١,٥٠٠ روبيل (وحدة النقد فى الاتحاد السوفيتى) والأخرى تحتوى على أكواد جهاز راديو ومواقيت وجداول البث اللاسلكى . وقال له : لاتدع لاي أحد أبداً مهما كان ان

يضع يديه على هذه الأشياء .

فدس « سكوبى » المظروف إلى إحدى الحقائب وأضاف ٣,٠٠٠ روبيل أخرى كان قد أعطاها إياه باليد إلى جيبه . ولم يكن سكوبى قد رأى مثل هذا المبلغ من المال قط فى الماضى وطوال حياته . وقال له الكولونيل وهو يسلم له طردين آخرين صغيرين « إليك شىء آخر إضافى ، ثمانية غطاءات زجاجية كفيارات لجهاز الراديو أعطها إلى مشغل الراديو حينما تصل » .

وكانت تلك الأشياء بمثابة قطع غيار لجهاز إرسال المستر « زاندى » المهم أخفى « سكوبى » الحقائب داخل أجهزة الملاحة . وكلفه بالمزيد من التعليمات إذ قال له : مهما يحدث من أمور ، يجب ألا تدع الزورق والأجهزة تقع فى أيدي الروس . وإذا أمسكوا بك فى البحر ، يتعين عليك أن تضرب النار فى خزانات الوقود وتهلك مع الزورق . وإذا وجدت لظروف قهرية وجوب مكوئك فى لاتفيا ، وأمسكوا بك هناك ، فلا يجب أبداً أن تقول إلا أنك تسلت عن طريق ألمانيا . ولا يجب أن تكشف تحت أية ضغوط أنك قد جئت بالمساعدة الأمريكية من السويد .

وشرعت سفينة « هاجبارد » فى الإبحار بعد يومين وعلى ظهرها ضابط بحرى سويدي هو الذى أبحر بها عبر أرخبيل ستوكهولم المليء بالصخور صوب « جوتلاند » وذلك قبل الانتقال إلى زورق آخر كان ينتظر فى الخارج عند البحار العالية . وأبحر « سكوبى » إلا أنه سرعان ما رصدته إحدى الدوريات البحرية السويدية . غير أن الزورق سبق الدورية ، ولكن عند الوصول فى ميناء جوتلاند تعرض الزورق للاحتجاز .

وبعد ساعتين ، وعلى الرغم من اكتشاف أجهزة الراديو والأسلحة ، وردت مكالمات هاتفية إلى « بيرتيل بوند » ، مقر الاستخبارات المضادة فى الجزيرة ، كان من شأنها أن تؤمن إطلاق سراح السفينة . بل أكثر من هذا ، فى ١٩ ديسمبر ، كانت سفينة « هاجبارد » فى الطريق وكان قصدها الوصول إلى خليج « سكالتم » فى أعماق أعماق المياه الإقليمية الروسية حيث لا تتوقع الدوريات السوفيتية أن تغامر السفن الأجنبية بالوصول إلى هناك .

كان المستر « زاندى » وحوالى عشرين لاتفياً ينتظرون صامتين بالقرب من

الشاطيء من أجل خلاصهم ، غير مدركين أن « لوكاسيفيتش » وتجريدة كبرى من المخابرات السوفيتية الـ « كى - جى - بى » مختبأة بالقرب من مكان تواجدهم .

كانت سفينة « هاجبارد » متواجدة في أعماق المياه السوفيتية ، وتتجه صوب موقع الموعد المحدد حينما فقد « سكوبى » أعصابه فجأة . وعلى الرغم من أنه فيما بعد زعم أن البوصلة كانت تتأرجح بشدة ، إلا أنه في حقيقة الأمور كان يخشى من أن يضيع الزورق ويتعرض للانكشاف وافتضاح أمره فيما بعد في ضوء النهار .

فأصدر أوامره بالالتفاف نحو الخلف بزاوية درجتها ١٨٠ وبسرعة بالغة في البحر ليخرج من الموقع المحاصر . وفي الظهيرة ، كانت السفينة تقترب للمرة الثانية من « جوتلاند » حيث تم التقاطها من جانب البوليس المحلى . لم يكن أمام « بيرتيل بوند » أية سلطات تخوله التأثير على قوات ذلك البوليس .

ولدى مثوله التحقيقات قال سكوبى : إنه يجمع التبرعات والأموال من أجل شراء هذه المعدات والهدف إطلاق سراح وإنقاذ الأهل والأقارب من برائن الأعداء فتم تحويله إلى ستوكهولم حيث عهد به إلى وكالة الاستخبارات المدنية .

وهناك مارست الزبانية أشد أنواع التعذيب والتكيل بالمستر سكوبى فانهار تحت وطأة الشدة واعترف ، وأخذ يمل اعترافاته أمام الضابط الذى أصر على أنه لن يطلق سراحه إلا بعد الاعتراف تفصيلاً بكل شيء وبأسرار العملية التى ضبط متلبساً بالقيام بها .

و فعلاً أخبره بأنه يعمل لصالح الاستخبارات الأمريكية وجهازها الجديد الذى أصبح اسمه « وكالة المخابرات المركزية الأمريكية » ، وذلك في أعقاب وضع الحرب العالمية الثانية أوزارها ، حيث كان اسمها أصلاً : مكتب الخدمات الاستراتيجية .

وقال : إن الضابط الأمريكى حدد مطالبه بالاتصال مع جماعات الفلاحين وإعطائهم أجهزة الراديو واللاسلكى التى من شأنها أن تزودنا بحلقات الاتصالات الضرورية معنا وبخاصة للحصول على المعلومات عن اختبارات الصواريخ الروسية ، حيث أنهم كانوا يرغبون في معرفة قواعد الروس العسكرية ومواقعها وإمكانياتها ومسارات اختبارات الإطلاق والإقلاع والتفصيلات الفنية اللازمة حول هذه الصواريخ .

كما اعترف سكوبى أن المخابرات الأمريكية أرادت معلومات عن الجيش الأحمر الروسى وكل ما يحدث على الصعيد الاقتصادى والسياسى فى المنطقة . واعترف بأن هذا الضابط هو الذى أمدّه بالعتاد والأجهزة وسوى الترتيبات الكاملة مع البحرية السويدية وأجهزة المخابرات المضادة فى جوتلاندى . ولم يكن أمام الضابط المحقق إلا الأخذ بأقواله واعتبارها صحيحة طالما أن الأجهزة التى أمامه لم تكن سوى أجهزة أمريكية الصنع .

وفى اليوم التالى من يناير عام ١٩٤٧ ، عرض على المستر سكوبى مجموعة مختارة من الصور الفوتوغرافية . وكان من بينها صور للمستر « روبرت أندرسون » رئيس محطة المخابرات البريطانية فى ستوكهولم ، والكولونيل « ليونارد جونسون » الملحق العسكرى الأمريكى ، ومستولون آخرون بالسفارة كان الضابط المحقق يتشكك فيهم وفى تورطهم فى أنشطة تجسس وتخریبية .

ولقد كشفت التحقيقات أن هناك شخصا اسمه « ماكلاشلان سيلفروود كوبى » ملحقاً رسمياً بصفته سكرتير ثالث فى السفارة البريطانية فى ستوكهولم منذ صيف عام ١٩٤٥ ، وكان قد غادر السويد على غير توقع وطار إلى إنجلترا . إن هذا الدبلوماسى العجوز البالغ من العمر ٣١ عاما كان معروفاً لكبير ضباط استخبارات أجهزة المخابرات البريطانية السرية فى السفارة ، وهو الذى طور أثناء الحرب صلاته الوثيقة مع المخابرات الفنلندية والنرويجية .

وعلى الرغم من أن إنكار « سكوبى » أنه يعرف « سيلفروود كوبى » ، إلا أن الضابط المحقق توصل إلى نتيجة مؤداها أنه من الواضح أن مهمة سكوبى هى مجرد البدء فى شن خطة بريطانية لتجنيد العملاء فى روسيا وتزويدهم بالضروريات ثم نقلهم بالمظلات ، وإنهم تركوا عمداً علامات « جيش الولايات المتحدة » على أجهزة الراديو ، حتى يمكن لفت الانتباه وإبعاده إلى الأمريكين فى حالة قبض الأعداء عليهم والاستيلاء على مامعهم من أجهزة ومعدات . أنكر سكوبى أية صلات تربط بينهم وبين أجهزة المخابرات البريطانية قائلاً : إن كل هذه المعلومات غير صحيحة .

وفى الأسابيع التالية لسفر المستر « سيلفر وودكوبى » بالطائرة إلى لندن ، أصبح « لوكا سيفتش » قلقاً بشأن عملية الخداع التى قام بها . ولم تكن أجهزة المخابرات السوفيتية الـ « كى - جى - بى » مدركة أو عالمة بأسباب عدم وصول سكوبى كما أنهم

تلقوا رسالة أخرى من السويد بأن الزورق تعرض لعاصفة هوجاء هي التي تسببت في تأخيره ، وإنه سوف يصل في تمام يوم ٥ يناير - بعد يومين من فشل وإخفاق « سكوبى » في تحديد هوية الكولونيل المطلوب لضابط التحقيق .

أما المستر « ماكيبين » فقد كان يتعشم في ترتيب سفينة بديلة إلا أنه أخفق . أما « زاندى » وجماعته الكبرى ، فلا تزال تحت رقابة المخابرات السوفيتية الـ « كى - جى - بى » ، ومع ذلك فقد استطاعوا العودة إلى بيوتهم .

لم يكن « زاندى » و « تومسون » يستطيعان صبراً وانتابهم الجزع وأخذ منهم الهلع كل مأخذ ، وكان « تومسون » قد وجد زورقاً صغيراً بحاجة إلى تصلیحات طفيفة وأصبح على استعداد للإبحار . وفي ليلة الإبحار فشلت المحركات في الشروع والتحرك بالدوران . واكتشف فيما بعد أن الميكانيكى التابع لأجهزة الـ « كى - جى - بى » كان قد أزال جزءاً صغيراً ولكنه حيوى من المحرك .

بلغ اليأس بالمستر « تومسون » مبلغه واشتد به القلق ، وسرعان ما أخذ يبحث عن زورق آخر في حين أن « زاندى » استمر بكل قوة ونشاط في جمع الاستخبارات لكى يتم بثها عن طريق المستر « برجمانيس » . إلا أنه بحلول شهر مارس عام ١٩٤٧ ، صار رؤساء « لوكاسيفيتش » قلقين تستبد بهم الظنون والشك بشأن جودة المعلومات الاستخبارية التي كان يرسل بها المستر « زاندى » . وبمرور الوقت صار زورق المستر « تومسون » جاهزاً للإبحار ، ولكن فجأة ، صدرت أوامر من أحد رجال الاستخبارات المعادية . « اقبضوا عليهم فوراً .. لقد أصبحوا في منتهى الخطورة » .

وأرسل « كارليس أرينز » مشغل الراديو في السويد الذى استطاع التقاط آخر رسائل « برجمانيس » في السويد ، بتحذيراته إلى المقر الرئيس للاستخبارات قائلاً : لقد حدثت كارثة عظمى .. ألقى الأعداء القبض على المستر زاندى ، والمستر تومسون . أما أنا فقد نجوت بأعجوبة . وأخشى أن يعترف المستر زاندى تحت وطأة التعذيب . كما توقفت جميع الأنشطة . ساعاود الاتصال بكم حينما يصير الوقت أكثر أمناً وسلاماً .

وعلى صعيد العمليات الاستخبارية في المقر الرئيسى لمخابرات الدولة البريطانية السرية ، أدت هذه المعلومات الخطيرة إلى إرباك المستر « كار » والمستر « ماكيبين » إذ كانت مفاجأة لهم وتطوراً غير متوقع بالمرّة . ففي الماضى القريب ، لم تكن هناك أية إشارة أو مجرد تلميح بوجود أدنى خطر ، والآن انقلب كل شيء رأساً على عقب . إذ

أطبق الصمت الرهيب ولم يعد أحد يعرف بما جرى لهم .

وسرعان ما اتخذت أجهزة وأقسام المخابرات البريطانية السرية كافة الإجراءات الكفيلة بامتصاص الصدمة ، حيث شرعوا في تغيير كافة الخطط المستقبلية القائمة على عمليات الفريق المضبوط ، كما حاولوا حماية سائر العملاء عن طريق إبلاغهم بطرق وأساليب تكفل لهم السرية وعدم الوقوع في براثن استخبارات الـ « كى - جى - بى » . إذ أن المخابرات البريطانية كانت قد تعلمت في الماضي أن الـ « كى - جى - بى » إذ أن المخابرات البريطانية كانت قد تعلمت في الماضي أن الـ « كى - جى - بى » يستغل المعلومات المستمرة من سقوط العملاء . والجواسيس البريطانيين في شن عمليات جديدة إجهاضية .

وشرعت المخابرات البريطانية في البحث عن عملاء جدد وكان الذي رشحهم لها هو المستر « روبرت سيبريس » الذي هرب من لاتفيا في مايو عام ١٩٤٥ .

واكتشف المستر « سيبريس » أن شخصاً عظيماً يصلح للعمل الجاسوسى الا وهو المستر « فيليكس رومينكس » .

ولد « رومينكس » في « ريجا » عام ١٩١٤ ، وعمل في الفيلق العسكرى المعروف باسم « إس - إس » التابع لدولة لاتفيا وذلك قبل أن يهجره في يناير عام ١٩٤٥ . وسرعان ما تم اعتقاله فيما بعد ، وتقابل مع أحد معارفه واسمه « روبرت أوسيس » ، أحد ضباط جيش لاتفيا الذى كان مصدراً من مصادر الاستخبارات في منطقة « ريجا » قبل عام ١٩٣٩ .

وفي اثناء الاحتلال الألمانى ، تمت ترقية « أوسيس » إلى رتبة الكولونيل « عقيد » وعهد إليه أساساً بتولى مهمة حراسة حارة اليهود في « ريجا » غير أنه فيما بعد تولى قيادة فريق إعدام متجول في كل من « لاتفيا » و « بولندا » . وقد تم مناقشة أنشطة زمن الحرب هذه بإيجاز فقط حينما تقابل « أوسيس » و « رومينكس » في يناير عام ١٩٤٥ .

واقترح « أوسيس » وجوب إبحار « رومينكس » إلى السويد وإبلاغ أجهزة الاستخبارات البريطانية أن « أوسيس » ، وهو المصدر الموثوق لديهم في ريجا منذ عهد ما قبل الحرب ، أصبح للمرة الثانية على استعداد لأن يقدم خدماته . ووصل

« رومينكس » بمساعدة الألمان إلى السويد ، وفي أعقاب مكالمته وحديثه مع أحد مسئولى السفارة البريطانية ، قام بالاتصال بالمستر « تيفيرز » التابع للمجلس المركزى اللاتيفى ، وكان قد عمل فترة وجيزة لدى الإنجليز .

لم يثمر اجتماعهما عن نتائج تذكر وتم إدخال المستر « رومينكس » فى أحد معسكرات اللاجئين ، فى حين أن « أوسيس » بمساعدة جهاز المخابرات البريطانية ، كان قد وصل أخيراً إلى بريطانيا سالماً .

ولما عثر « سيرس » على « رومينكس » فى أوائل عام ١٩٤٦ ، علم أنه يعتزم العودة إلى بلاده ، سأل أن يترىث . وتم الاتفاق على أن يسافر « أرسيس » إلى السويد انطلاقاً من لندن ، ونيابة عن « ماكيبين » لمقابلة المستر « رومينكس » وإقناعه بالعودة إلى « لاتفيا » باعتباره عميلاً سرياً من عملاء المخابرات السرية البريطانية .

ووافق « رومينكس » على هذه الخطة ، ولما حققت معه المخابرات السوفيتية الـ « كى - جى - بى » ، اعترف على الفور بأن المخابرات البريطانية كانت قد جنده ، وأعطته اسماً رمزياً وحركياً وهو « ميلبارديس » وأن قناة اتصالاته مع لندن هو زيارته للبحارة من التجار الذين يعملون بالتجارة فى البحر .

ولما اعترف بتفاصيل كل شىء ، صار بوسعه إقامة علاقة طيبة مع الضباط المحليين الذين يعملون فى استخبارات لجنة أمن الدولة السوفيتية الـ « كى - جى - بى » وأن يقى بالفرض الحقيقى لمهمته ، الا وهو استكشاف المصير الذى آل إليه المستر « زاندى » و « تومسون » و « أرنيش » . واعتزم أن يرسل بالمعلومات التى استقاها عن طريق البريد ، مستخدماً الحبر السرى ، وموجهاً رسائله إلى عناوين فى ألمانيا الغربية وبلجيكا .

وحدث أن جاءت عودة « رومينكس » حسبما كان مخططاً لها من قبل ، كما أن اقتناع ضباط الـ « كى - جى - بى » برواياته المختلفة ، وسمحوا له باستئناف حياته الطبيعية فى مدينة « ريجا » . أما أجهزة الاستخبارات البريطانية ، والمستر « ماكيبين » فقد كان يتعين عليهم الانتظار وترقب التطورات المستقبلية .

نحالفات غامضة

عاد ماكلاشلان سيلفر وود - كوب إلى ستوكهولم . بطريق غير فضولية . بعد قص
أجنحة المخابرات السويدية « المنتفخة » ، وأصبحت السويد مؤقتاً مكاناً غير عملي ..
كمركز لعمليات المخابرات .. ورغب الساسة السويديون في تهدئة الروس . والمحوا مرة
ثانية إلى المخابرات البريطانية بضرورة السيطرة على عملياتها .

وكان كار وماكين بحاجة إلى إعادة تقييم لاستراتيجية المخابرات البريطانية في
البلطيق والتأكد بأن شبكاتهم لم تنكشف . وعلى قمة « سكوب فياسكو » ، عاد جوناس
ديكسينس مرة أخرى إلى ليتوانيا عبر بولندا وكان معه « شريكه » فايتبوس
ستانفشيوس الذي جاء بزوجه معه . وكان مستمتعاً بعودته الناجحة للمرة الثانية .
وقدم ستايس زايمنيش خبير المخابرات البريطانية « الليتوانى تقارير شهادة عيان
تفصيلية عن المعارك الشرسة بين الأنصار والجيش السوفيتى . وادعى أن الريف كانت
منطقة محرمة على المحتلين ليلاً . وكانت الغابات مخيفة بكل الحسابات وتعرض الآلاف
من المدنيين والعسكريين للقتل على يد المتعاطفين والمتعاونين ضد الروس . وبث
الأنصار الرعب في نفوس الروس الذين جاءوا إلى البلطيق ضمن موجات التهجير
الجماعى وخصصت لهم مزارع الليتوانيين المهجرين قسراً أيضاً إلى سيبيريا .

وعاش رجال الـ « كى - جى - بى » في حالة إحباط وتبنوا أساليب مرعبة وارتدوا
ملابس الأنصار للكشف عنهم . وعن مؤيديهم .

وكوم رجال الـ « كى - جى - بى » جثث الضحايا في ساحات القرى وراقبوا الأهالى
عن بعد حتى يتعرفوا على رد فعل المواطنين . وألقوا القبض على الذين يكشفون
وبسلامة نية عن أنفسهم وأنهم أقارب أحد الضحايا . ثم يجرى استجوابهم وترحيلهم
إلى سيبيريا - وكإجراء مضاى لهذا - لجأ الأنصار إلى تشويه وجوه الرفاق القتل عن
عمد .. حتى يجنبوا أسرهم مخاطر الترويج على يد الروس . بينما .. من يفضل الموت

على الاسر .. كان يفجر القنبلة اليدوية على رأسه حتى يحول بين نفسه وبين الاعتراف أمام الأعداء .

ومن أكثر الجوانب أهمية في تقرير « ديكسانس » كما رأى ذلك ماكبن وزايمنتس ، هو لقائه مع الأنصار وعلى الخصوص مع « جيوزاس لوكاشا » وهو الابن الأكبر لعائلة فلاحية ويبلغ من العمر ٢٥ عاماً .

وتعرضت عائلته للتهجير الإجبارى إلى سيبيريا ، وهو قائد معروف للأنصار وله قدرات فائقة في تنظيم الجماعات المقاتلة في الريف .. في خلايا تعتمد على ذاتها ، حتى يعظم من قدرتها وكفاءتها القتالية في مواجهة الأعداء .

وقد تركت قصص « ديكسنس » عن شجاعة الأنصار انطباعاً حسناً عن مستخلصى المعلومات في المخابرات البريطانية . وفي ليتوانيا .. كما هو الحال في لاتفيا وأوكرانيا .. هناك حرب ساخنة ضد الروس ويمكن مساندةهما بأقل تكلفة ، ومن الواضح أن عملاء المخابرات البريطانية على علاقة بقادتها .

ولا يوجد من هو أكثر أهمية من الدكتور « جوياس اليناس ماركيلى » وهو في رأى « ديكسنس » يقدم نفسه على أنه قومى ويحاول التعاون مع الأنصار . ولد « ماركيلى » في بتسبرج بالولايات المتحدة الأمريكية وعاد سنة ١٩٢٠ إلى ليتوانيا ودرس في سلك الرهبنة وفي النهاية رفض أن يتبرهن وتخرج سنة ١٩٤١ من الجامعة بعد دراسة الطب .

وتأثر ديكسنس كثيراً بشخصية « ماركيلى » وقد أقام في منزله وتعرف على حماسه ومصادره وقدرته في استخراج جوازات السفر المزورة .. والتي أتاحت لديكسنس العودة إلى الغرب ، مقابل تسليم ديكسنس له شفرات اللاسلكى وجدول مواعيد الإرسال والاتصال بالمخابرات البريطانية في السويد ، وقائمة بعناوين في أوروبا الغربية لإرسال الخطابات الشفوية وقد أسماه ديكسنس باسم حركى ، نيابة عن المخابرات البريطانية « آريانز » .

وأثناء تلك الزيارة أيضاً ، أقنع ماركيلى ، « ديكسنس » بأن جماعة JLIK والقيادة الليتوانية المنفية وقاعدتها ومقر إقامتها في ألمانيا لاتحظى بالثقة من جانب جماعته من الريفيين لأنهم متعاونون سابقاً مع النازى ولذا لا اتصال بهم الآن . وأوصى بضرورة إنشاء منظمة جديدة تربط بين الأنصار والغرب تسمى « VLAK » وكانت تلك

التوصية اقتراحاً محرراً لماكين ولجهاز المخابرات البريطانية .. لأن المخابرات انهدت فعلاً
أى علاقة مع VLAK ويبحث ماكين عن منظمة بديلة ..

وكان تقرير ماكين عن وجود جماعة مقاومة منظمة داخل روسيا تناسب
احتياجات المخابرات البريطانية يحتاج إلى مزيد من البحث والفحص .

وفي يناير سنة ١٩٤٧ ، مُنح زيلتاسكسل ، وديكسنس وزايمنتس وعدد آخر من
الليتوانيين تذاكر سفر من ممثل المخابرات البريطانية في استوكهولم للسفر في مواعيد
وبطرق مختلفة من السويد إلى هامبورج .

وعند الوصول .. توجهوا إلى خارج أوسنبروك ومكثوا بها لأسبوعين .

وكان المضيفان للمجموعة .. ضابطان انجليزيان يتكلمان الروسية بطلاقة .. ولم
يكشف الضابطان عن هويتهم إلا في مرحلة متأخرة . أحدهما يدعى « كار » وعاش
الليتوانيون حياة مرفهة واستمتعوا بها وهم يناقشون استراتيجيتهم بينما الشعب
الألماني خلف أسوار القلعة يعيش على أقل من ألفي سعر حراري يومياً وعانى
البريطانيون من توزيع الخبز بالبطاقات لدعم الأعداء السابقين .. وكان مضيفوا جهاز
المخابرات البريطانية يقدمون للليتوانيين ولائم لانتتهى .

وتركزت المناقشات على الاعتراف بمنظمة VLAK . وشرح ديسكنس أن ماركيلوس
كان يجمع كل قادة الأنصار في اجتماع لتنسيق القتال ويجب أن تكون JLAK هي
المنظمة المعترف بها من قبلهم . وأرسل ماكين مساندة وتأييده .. ولم يكن حاضراً ، إننا
نريد أن نمنح الأنصار الدعم السياسي في النضال وأن مجرد قتل الروس عمل وحشي .
ولا أثق بجماعة JLAK .

وعلينا أن نساند VLAK لبناء زايمنس وفي نهاية المؤتمر وافق ضباط المخابرات
على تكوين VLAK ووعدوا بالدعم المالي للحرب . وابتهج ديسكنس وزايمنس وإن
خلت بهجتهم عندما عرفوا أن قمة أنصار .. « ماكيلوس » عقدت منذ أسبوعين أيضاً .
ولم تنتهج نفس الطريق الذي تخيله ديسكنس .

وقد دعا مارليكوس لمؤتمر ٨ يناير ، ولكن جويابس لوكاس ، « قائد الأنصار » شك
في قدرة الطبيب الملحوظة في توفير الأموال وجوازات السفر والمنازل الآمنة . وحذر
الأنصار بالابتعاد عن هذا المؤتمر .

وفي يوم الاجتماع راقب جواسيس لوكاس « لقاء باركيلوس » عن بعد ، ولاحظوا أن ضباط الـ « كى - جى - بى » قد أحاطوا بالمبنى .

وقد القى القبض على الأنصار الذين لم يأخذوا بتحذيرات لوكاس .

وكشفت مزيد من التحريات أن ماركيلوس أصبح شيوعياً سنة ١٩٤٤ وكان ضابطاً عاملاً في الـ « كى - جى - بى » ومهمته اختراق حركة الأنصار .

وفي « أوسنبروك » أصبح ديسكتس « أداته يشق المقاومة الليتوانية إلى جماعة VLAK و VLAK و دفع المخابرات البريطانية لتقع في شرك الـ « كى - جى - بى » ولم يكن لدى لوكاشا جهاز لاسلكى أو عناوين لإسالة التحذيرات إلى الغرب واستمرت المخابرات البريطانية تسير في طريقها الذى اختارته وهى تجهل ما حدث .

وكان كار المشبع بأسطورة الثقة ومؤسسة الأمن على وشك أن يقع في شرك جديد . وعشية رحيل الليتوانيين من أوزنبرك . اختصرت رحلة العودة لضيوف المخابرات البريطانية ، وامتلات جوازات سفرهم بالتأشيرات المزورة بما يفيد أن غيابهم لأسبوعين عن السويد كان في سفرهم لم توقف .

وعزز الوداع الحار استنتاج الليتوانيين بأنهم اكتسبوا دعم الحكومة البريطانية إلى صف قضية الاستقلال « لقد حصلنا على الجيش » كان ذلك ما أرسل به أحد ضباط المخابرات البريطانية إلى ماكبن ، وإننا ننتظر الواقعية السياسية للإفادة من ذلك . ولم تكن تلك المرة الأولى ولا الأخيرة التى يقتضى فيها المخابرات البريطانية رؤيتها للتاريخ وقد أخفى رجال المخابرات عمداً عن خوفهم « الواقعية السياسية » التى يدعها زملاؤهم على الجانب الآخر ، وزارة الخارجية البريطانية . ففى لندن ، وفى تلك اللحظة كان ارنست بيفن يستعد لمغادرة بلاده لاجتماع مع وزير الخارجية فى موسكو . وكان مستشاروه قد أعدوا موجزاً ينتهى بالاعتراف بشرعية الاحتلال السوفيتى لدول البلطيق .

وفى المذكرة المعدة إلى بيفن فى بداية مارس . أوضح توماس بريملو من القسم الشرقى الخلفية التاريخية ، وكانت بريطانيا على وشك الاعتراف بالاحتلال السوفيتى سنة ١٩٤٢ ، وفى ثانية فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ ، ولم يحدث شىء فى عام ١٩٤٧ يغير من تلك الشرعية . ولكن كان على السوفيت فى مقابل ذلك تسوية الديون المالية التى

اقتضتها دول البلطيق من بريطانيا والمتبوعات البريطانية أثناء سنوات الحرب . ولكن دهشة بيفن خلال إقامته في موسكو . ان القضية ذكرت صراحة وان قضية الضم بالنسبة للسوفيت كان حقيقة ان الاعتراف الغربى لاقيمة له ، ولم تؤثر تلك الاحداث على بيرمليو وعن عودة بيفن إلى بلاده ، واجه الدعاية يطلب ان تحتج الحكومة البريطانية على عمليات « الترحيل العسكرى » من دول البلطيق إلى سيبيريا ونصح بيرمليو وزير الخارجية بأن ذلك لن يكون له ادى فائدة للمرحلين . وان الحكومة السوفيتية سوف تعتبر ذلك وبكل تأكيد تدخلاً غير مقبول في الشئون الداخلية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، وتفهم بيفن ، بلاشك مجهودات القسم الشرقى لتوفير مخرج ملائم لمسألة دول البلطيق رغم عدائه الشديد للاتحاد السوفيتى .

وان قدر شعوب البلطيق ، شىء طفيف .. وجانبى إذا ماقورن بالقهر الشيوعى المخيف في أوروبا الشرقية من الشيوعيين في اليونان . وكان بيفن مقتنعاً أن روسيا تريد ان تحفظ أوروبا في حالة من الاضطراب أطول وقت ممكن لتمكن من إحراز الهيمنة الشيوعية في أوروبا .

وحدث بيفن واشنطن مراراً على أن تتحمل مسئولياتها لتوقف التقدم الشيوعى .

وقد استجابت واشنطن لتوسلاته أخيراً في ١٢ مارس سنة ١٩٤٧ .

ففى رسالة وجهها الرئيس ترومان إلى الكونجرس ، أعلن الرئيس ترومان أن الولايات المتحدة سوف ترسل المعونات إلى اليونان لمواجهة الشيوعيين .

وهذا ما عرف فيما بعد باسم « مبدأ ترومان » .

وقد فسر قادة الأركان العسكريون هذا الأمر على أنه « مقدمة حرب صليبية ضد الشيوعية .. ودعا القادة العسكريون البريطانيين إلى رسم خطط مشتركة لمقاومة الشيوعية » .

وكانت إحدى المبتكرات السياسية التي ابتدعتها الإدارة الأمريكية ، توجيه الدعوة إلى سفراء دول البلطيق في لقاءات رسمية واحتج السفير السوفيتى .. وهدد بعدم حضور أية لقاءات رسمية في وجودهم وتم تجاهل السفير السوفيتى .

وكتب اللورد جبيلكو في السفارة البريطانية إلى بيرمليو من بعد غياب السفير السوفيتى الذى ارتاحت له واشنطن فإن وزارة الخارجية بدأت في مراجعة سياساتها ..

وسربت الأخبار إلى الجانب الآخر .

وفي برودوى اعترف بنزيس أن المناخ السياسى فى لندن يفضل المزيد من العمليات ..

ومع ذلك فشلت المخابرات البريطانية فى الحصول على معلومات لها قيمتها داخل روسيا ..

وبالمقارنة بالمعلومات الوفيرة عن النشاط السوفيتى فى ألمانيا والنمسا من خلال العملاء المتعاونين .. إلا أن هناك قحطاً فى نشاط المخابرات داخل روسيا ذاتها . وظل هذا الوضع على حاله حتى تعقد برفض بليفس الفورى الموافقة على القيام بعمليات عدائية داخل الاتحاد السوفيتى . والتي يسهل البرهنة على تورط بريطانيا فيها حال اكتشافها .

وان رفع القيد عن تلك النشاطات . لكن مع تخفيض حاد للتمويل . حيث كانت بريطانيا على وشك حافة الإفلاس وتعتمد فى حماية السياسة الخارجية على سخاء واشنطن ، ونصح جورج كينان ، بسفارة الولايات المتحدة الأمريكية فى موسكو الرئيس فى يوليو سنة ١٩٤٧ بتبنى سياسة حازمة .. هى ،، الاحتواء .. للميول التوسعية الروسية .

ولم يكن ضباط المخابرات الإنجليزية راغبين فى المشاركة بأى شىء مع أى جهاز مخابرات آخر ، وقد كان هناك عددا من العمليات تحتاج واشنطن المعاونة فيها لتنجح ، ولسوء حظ المخابرات البريطانية .. فإن جهاز المخابرات الأمريكية .. الـ « سى - أى - آيه » كان لايزال يكافح ليقيل من عثرة اضطرابات مابعد الحرب . وعقدت تلك المسألة المفاوضات « بين الجهازين » .

ودون اعتبار للأسطورة المتوهجة ، فإن النحوبين فى « مكتب الخدمات الاستراتيجية » .. والمعروف باسم « وايلد بيل » كانوا مثل رئيسهم يخلقون الأعداء ، وتهدف تلك الزمرة الطائشة والعاجزة إلى أن يتسامح البيت الأبيض إزاء وجودهم فى زمن السلم .

وكان عرض دونوفا هو الإغراء الرئيسى بأن يسمح لمكتب الخدمات الاستراتيجية الاستمرار فى مواصلة عمله الفاشل ، على ثلاث محاور ..

الأول : أن هدف المكتب أصبح محل شك بعد أن أصبحت روسيا وبريطانيا حليفين .

الثانى : أن الجيش يعارض نشاط وكالة مدنية للاستخبارات .

الثالث : هناك اعتقاد بأن مكتب الخدمات الاستيراطية بات مكشوفاً بالكامل من قبل بريطانيا .

وفى خريف عام ١٩٤٥ ، لم تظهر هناك حاجة عاجلة لإقرار موقف إزاء تغيير هذا المكتب ، وبينما يحاول « سمسرة السلطة » فى واشنطن حول مهمة التنسيق المشترك لتقديم المعلومات .. المخابراتية للرئيس وهل تكون تلك المهمة تحت الإشراف المدنى أو العسكرى ، جرى توزيع مهمات مكتب الخدمات الاستيراطية على عدد من الوكالات الأخرى .

وارتبك العاملون بالخارج .. والداخل .. وسط المنافسة نظراً للتنوع وغالباً تناقض الأهداف .

ولم يكن هناك من هو أكثر إحباطاً « هارى روسترك » رئيس القسم السوفيتى فى مجموعة المخابرات المركزية والتي تركت الوظيفة المدنية لمكتب المخابرات الاستيراطية فى واشنطن .

وكان روسترك أكاديمياً سابقاً ، أطروحته العملية عن التاريخ الانجلو - ساكسونى . وبالأدق عن فترة ما قبل غزو تورفان لبريطانيا سنة ١٠٦٦ وحتى مايو سنة ١٩٤٥ ظل روسترك ضابطاً مقيماً فى لندن تابعاً لمكتب الخدمات الاستيراطية ، وفضل بعد ذلك أن يظل فى مكان رآه مثيراً كمتخصص فى الشؤون السوفيتية فى المخابرات الأمريكية .

وكان « مصدره » الأساسى فى هذا .. كتاب أعدته المخابرات البريطانية سنة ١٩٤٤ عن جهاز المخابرات السوفيتية .

وحتى عام ١٩٤٧ ظلت معرفة وخبرة روسترك بالشؤون السوفيتية أولية ومقصورة على الكتب المنشورة والمقالات وبحث مكثف عن الجاسوسية السوفيتية فى زمن الحرب .

وفى سياق قرارات روسترك ، أعجبه نجاح شخصين هما ، « ريتشارد دسورج »

« وليوبولد تريبر ، من كبار العملاء السوفيت الذين نقلوا بدقة النشاطات الألمانية إلى ستالين . وبعد أن قرأ .. ملخصات ، المخابرات المتدفقة من أوروبا ، قرر أن يضع عملاء تحت الإشراف الأمريكي .. داخل الاتحاد السوفيتي للقيام بنفس المهمة .

وقد نصحه جورج كينان بأن الروس دائماً مراوغون .. ماكرون لا يمكن التكهن بما يفعلون ، وغامضون .. وكان أول حاجز هو غياب القوانين التي تمكن من القيام بتلك المهمة .. واحتاجت المخابرات الأمريكية إلى « تصريح قانوني » .

وانتهت الفجوة جزئياً في يوليو سنة ١٩٤٧ عندما وقع الرئيس على مشروع « الأمن القومي » وأصبح ١,٨٠٠ فرد مدني يعملون في مجموعة المخابرات المركزية .. من أوائل العاملين في المخابرات المركزية .

وفي غضون الشهور التالية ، ساءت العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا ، وكان وزير الدفاع الأمريكي .. جيمس فورستال هو الذي يحدد جدول أعمال روستزك . وكان الوزير يتوقع الحرب الباردة قبل أن تبدأ . وفي خريف سنة ١٩٤٧ ، سأل فورستال المدير المؤسس لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية « روسكو هيلنكوتر » .. وأجابته .. بأن ذلك ممكن الحدوث ، فور أن تحصل الوكالة على .. تصريح قانوني .. بذلك .

وأصدر مجلس الأمن القومي .. التوجيه رقم ٤ .. في « ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، ويطلب من وزارة الخارجية التنسيق في الحملة الدعائية المضادة للشيوعية .

وفي الملحق السري من توجيه الأمن القومي رقم ٤ فقرة أ ، صدر الأمر لمدير وكالة المخابرات الأمريكية بأن يعزز الدعاية بغطاء من الحرب النفسية . وأنشئت مجموعة عمل خاصة لتنفيذ هذا التوجيه في أواخر سنة ١٩٤٧ داخل وكالة المخابرات الأمريكية وتحت إشراف مكتب العمليات الخاصة وأصبح روستزك رئيساً لقسم العمليات الخاصة « بالاتحاد السوفيتي » وبالتالي .. واحداً من أهم وأبرز موظفي الوكالة المسئولين عن « العمليات السرية » .

وأحس روستزك .. أن جزءاً من الحملة الصليبية الأمريكية ضد ستالين كانت موجهة أيضاً ضد هتلر . ورغم أن مكتب العمليات الخاصة لم يكن مخولاً قانونياً بشن حرب سرية .

الوكالة التحذير وأن الحرب ستنتشب في غضون ثلاثة شهور على الأكثر .. ورغم أن الوكالة .. كانت صوت العقل .. عند قيامها بتكهنات وتقديرات أخرى .

وفي اليوم التالي دعى الرئيس ترومان في رسالة إلى جلسة مشتركة لمجلسي الكونجرس إلى عودة المجندين إلى الخدمة فوراً .

وعندما .. درس تحذير « كلاى » وأعيدت دراسته داخل البنتاجون بدا أنه يملك مصداقيته ، فإعداد الفرق العسكرية الروسية العاملة في أوروبا الشرقية .. وطبقا لتقديرات الخبرات ، تزيد إلى حد كبير عن القوات المطلوبة لمجرد مهمة الاحتلال .

وأن هدف السوفيت النهائى يكون بذلك « الغزو » ولم يتوقف أحد ليفكر في تفسير بديل .. ذلك أن الروس أقل كفاءة .. أو يريدون من تلك القوات مهاماً إضافية مثل الإدارة والتعمير ، ولم يتجراً شخص في التفكير في الرأى الذى ساد في منتصف عام ١٩٤٦ من فرع المخابرات العسكرية ، والذى كان يشرف على ألفى رجل من رجال المخابرات المضادة في ألمانيا والذى أكد أن الجيش السوفيتى دون المستوى التسليحي المطلوب .

ولم يفكر أحد في واشنطن .. في التقييم المخابراتى .. الذى قدر فيه القيادة العسكريون البريطانيون أن الاتحاد السوفيتى لن يستطيع أن يبدأ حرباً قبل نهاية سنة ١٩٥٦ إلا إذا اعتقد الزعماء السوفيت .. بأن الاتحاد السوفيتى على وشك أن يتعرض لهجوم ، أو قدروا وقوع رد فعل من الحلفاء تجاه نفوذهم . وقد عزز الفيلد مارشال مونتهجرى هذا الرأى بعد زيارته الرسمية لموسكو .

وأوشك هارى روستزك بأن يقتنع بسهولة بأن الحرب وشيكة ، رغم أن ملفاته كانت تعاني قحطاً في المعلومات الأساسية عن خطوط السكك الحديدية والطرق والكبارى في الاتحاد السوفيتى .

وكانت التقديرات الصادرة عن البنتاجون والبيت الأبيض .. بأن الروس قادمون مقنعة إلى حد كبير ، وقد ظهرت مصداقية تلك الاستنتاجات وتعززت عندما فرض الروس « حائط برلين » بعد خمسة وعشرين يوماً من برقية « كلاى » وفي هذا المناخ المثير ، لم يتوقف شخص في واشنطن في فهم هذا وأن ذلك كان بداية الحرب . ثم لماذا لم تقرر المخابرات المركزية الأمريكية في برلين غياب أى تعبئة أو تخزين للأسلحة والمهمات في المنطقة السوفيتية . ولماذا لم يُجلب عملاء أمريكا الألمان ؟

وتعززت قناعة روستزك الشخصية وفي سرية تامة ودُعى إلى اجتماعات مع قادة الجيش الكبار في البنّاجون لعرض موجزٍ عن المتطلبات المتغيرة والمطرّدة الجديدة ، ولم يكن هناك اجتماع أو توجيه له أهمية عند روستزك إلا ذلك الأمر الذي صدر له في سنة ١٩٤٨ من « قائد الجيش » الذي كان يشرح على خريطة ضخمة تتدلى في غرفة العمل وطلب .. أريد عميلاً في كل مجال جوى بين الستار الحديدي والإمرار . أريد أن أعرف متى تطلع القاذفات ،، ولم يكن ذلك الاجتماع يعنى بأى معنى أن نية البنّاجون إعلان الحرب ولكن يعكس الاجتماع الخوف الشائع لدى الأمريكيين وأنهم عميان تجاه النوايا السوفيتية ، وعاد روستزك إلى مكتبه ويرن في أذنيه بصوت عال .. التوجيه .. عمل .. عمل .. عمل .

وأخيراً وافقت السلطة الجديدة السماح للمخابرات الأمريكية الـ « سي - أي - آيه » تنفيذ عمليات سرية . وصدر التوجيه « مجلس الأمن القومي » ، ١٠ / ٢ ووقعه الرئيس في ١٨ يونيو . و« نشئت » مجموعة خاصة .. داخل مجلس الأمن القومي للإشراف على تنفيذ العمليات بموجب التوجيه ١٠ / ٢ . وفي ضوء المبدأ القائل بأن « العمليات الأجنبية التي تقوم بها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية يجب أن تدعمها العمليات السرية بما يسمح لحكومة الولايات المتحدة أن تتقّى أى مسئولية تجاه تلك العمليات .

وكان مدى غير محدود ، وستشمل العمليات أى نشاط سرى يتعلق بالدعاية لانتظار الحرب ، والعمل الوقائي المباشر .. وإثارة القلاقل والتخريب المضاد وإجراءات التخريب والإجلاء ، والإطاحة بالحكومات المعادية وتقديم المعاونة لحركات المقاومة السرية وجماعات التحرير والميليشيات ومساندة العناصر المعادية للشيوعية في البلدان التي يتهدها الخطر الشيوعي في بلاد العالم الحر . وكان التوجيه بالنسبة لروستزك ، ورجال الـ « سي - أي - آيه » بمثابة توقيع على بياض والعودة إلى الأعمال الحربية التي تمت خلال الحرب العالمية الثانية حينما أسقط عملاء « مكتب الخدمات الاستيراتيجية » بالمظلات في أراضي الأعداء .

ولا يوجد شيء أكثر وضوحاً عن أهداف الوكالة .. سوى الوثيقة السياسية السرية للغاية التي أعدت تحت إشراف جورج كينان والتي تبناها الرئيس ترومان في أغسطس سنة ١٩٤٨ . وقد وصف التوجيه رقم ٢٠ لمجلس الأمن القومي « الهدف الأمريكي » وهو الإطاحة بالسلطة السوفيتية . ورغم أن كينان لم ينصح أو يحبذ شن أعمال

عدائية ، أو عنى بأى معنى « الحرب الفعلية » وأوصى فقط بسياسات يمكن أن تحقق النتيجة دون الوصول إلى أقصى درجات الصراع ، واقترح أن تدعم حكومة الولايات المتحدة الجماعات المضاره المعادية للبلشفية ، والذين ، حسب رأيه ، يعدون طعاماً أفضل لروسيا ، واقترح كينان .. بدلاً من تعمد الولايات المتحدة إلى اختيار جماعات معينة كمرشحين مثالين لتلك المهمة . يجب أن يعامل جميع المعادين للبلشفية على قدم المساواة ويسمح لهم .. بوضع تصوراتهم ومقترحاتهم عن السلطة ، في أعقاب سقوط البلشفية في روسيا .

ويجب أن تعامل جميع الجماعات ، وفق ماتقدمه من أوراق اعتماد أكيدة في عدائها للشيوعية .. دون الأخذ في الاعتبار سلوك أى منها إبان حقيقة النازى ، وأطلق على هذا البرنامج البالغ السرية « حجر الدم » وقد عرفت اللجنة الفرعية التى ادارت « برنامج ، حجر الدم » بين المشاركين القلائل المختارين بعناية في واشنطن باسم « SANACCZGS » .

وقد عهدت لجنة « حجر الدم » لك « سى - أى - آيه » بمساندة أى جماعة بما في ذلك الاشتراكيين ، والنقابيين والمفكرين ، والذين يمكنهم إنتاج دعاية معادية للشيوعية ، وقد ناقشت اللجنة في مارس سنة ١٩٤٨ الاستفادة من اللاجئيين القادمين من الاتحاد السوفيتى وذلك بتقويم أوجه القصور التى تعانى منها تلك النخبة القادمة من المعسكر السوفيتى وتفكيك صورة العدو الأمريكى لديهم . وقد جىء بخمسين من أفضل اللاجئيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتشكل « نواة فاعلة للجان التحرر » ، وتشجع حركات المقاومة في العالم السوفيتى والقيام بالاتصالات مع الجماعات السرية .

وكان الشخص المسئول عن تنظيم وترتيب النشاطات المخابراتية هو « فرانك ويزنر » الذى يتمتع بطاقات حيوية وعين لإدارة مكتب التنسيق السياسى ، الذى اتسن في قرارات الخارجية وإن كان رسمياً جزءاً من الـ « سى - أى - آيه » وأثارت استقلالية ويزنر صراعاً داخلياً ، وبسبب اختيارات للمجندين العاملين معه واستهدف ويزنر على وجه خاص اللاجئيين السوفيت باعتبارهم ، العناصر المثلى لتنفيذ الأهداف القومية للمصالح الأمريكية . وفي كتابه وبث الدعاية ، وقد حثت « لجنة ٣٩٥ » ويزنر أن يجند الأجانب « من مجرمى الحرب والمتعاونين مع سلطات الاحتلال الخونة » والذين ساعدوا طوعاً قوفاً الأعداء عند اطلاق الحرب العالمية الثانية .

وقد تناقض هذا « التفويض المفتوح » مع رفع الحكومة الأمريكية للدعوى العمومية

ضد تلك العناصر ، مما أعطى على الفور .. نشاطات لجنة .. حجر الدم .. بعدم الشرعية والقانونية .

وكان من بين الذين أنت بهم لجنة .. حجر الدم .. جوستاف هيلجر الموظف السابق بوزارة الخارجية الألمانية وكانت مهمته تشمل على الاتصال باللجنة .. الألمانية .. المسئولة عن ممارسة القتل اليومي لليهود في أوروبا .

والجنرال أندريه فلاسوف .. القائد السوفيتي البارز الذي كان موالياً للامان ، والذي قاد حوالي ٢٠٠ ألف جندي ضد ستالين .

وبعد الحرب استقدم هيلجر إلى أمريكا للمساءلة . ثم أصبح مؤخراً يقدم المشورة إلى وزارة الخارجية الأمريكية .

وخشية توقع احتجاج من الرأي العام إزاء تلك الأنشطة .. قدمت وزارة الخارجية ملخصاً بالموقف إلى قادة الكونجرس في سبتمبر سنة ١٩٤٨ وأحاطتهم علماً بهذا البرنامج لكسب تأييد قادة الكونجرس وحتى تضمن سكوتهم .

ولكن .. كان برنامج الدعاية .. نشاطاً ثانوياً من « أنشطة » العمليات الخاصة وقد عُرِف هذا البرنامج بأنه .. نشاطات ضد الأعداء تقوم به القوى الحليفة والصديقة خلف خطوط الأعداء .. وكانت العقبة البارزة في أثناء سنة ١٩٤٨ هي إيجاد عملاء ينفذون تلك العمليات الخاصة داخل روسيا .

وقد عكست الأهداف والوسائل المختارة .. اختيارات .. لجنة العمليات الخاصة ، وكتب كينان إلى فورستال في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، مقترحاً ضرورة أن يعيد الجيش تكوين مدرسة لحرب العصابات وبعد عشرة شهور أوصت اللجنة العسكرية المشتركة للتخطيط الاستراتيجي بضرورة إنشاء مدرسة لحرب العصابات كوسيلة .. لدعم حركات المقاومة الأجنبية .. وفي ضوء ذلك وضعت الدراسات اللازمة من قبل المخابرات الأمريكية العاملة في أوروبا والقوة ١٠١ العاملة في بورما حيث أحرز رجال حرب العصابات هناك .. نجاحاً خاصاً .

ومن أجل تغطية تلك الاقتراحات ببعض المقولات التي تلقى الاحترام ، ذكر أن .. في أثناء أحداث الحرب ، يحتاج الجيش إلى خطوط .. هروب لأسراب القوات الجوية الحليفة ، وتدمير رؤوس السكك الحديدية والمعدات ولكن تجاهل هذا الاقتراح .. فارقاً

أساسياً في الحرب بين دولة ودولة حيث أن حرب العصابات في الحرب العالمية الثانية جرت ضد محتل أجنبي بينما العمليات تحت التقييم سنة ١٩٤٨ . ستنفذ داخل روسيا نفسها .

ورفض القادة العسكريون الامريكان هذا الاقتراح وشرحوا رفضهم بأن العمليات الخاصة أصبحت من مسئولية الـ « سى - اى - ايه » والجيش سيقدم التدريب للعملاء ولكن يجب أن يتورط الجنود في حرب غير مشروعة حيث يشتمل تعريف « العمليات الخاصة » على ممارسة « حرب سرية » وتخريب واغتيالات .

وقد أوضح قرار الجيش .. تفهمه الكامل لنوايا الحكومة ، وحسب رأيهم يجب أن تترك الأعمال القذرة لعناصر غير أمريكية .

وقرر موظفو وسياسيو البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية والـ « سى - اى - ايه » وهم يفضلون « العمليات السرية » أن يعهد بتنفيذ تلك المهام الخاصة إلى عناصر أجنبية ، من الذين يقاومون نشاط الاتحاد السوفيتي .

وكان نموذج .. حركات المقاومة السرية ... ، وحرب العصابات وجماعات التحرر من اللاجئيين هو الجنرال أندريه فولسوف ، الذي اعتقد الأمريكان أنه قد جند بإشراف الألمان حوالي مليون روسي للقتال بجانب النازي ضد ستالين ، وكان من بين البلدان التي رأت فيها .. لجنة .. العمليات الخاصة آفاقاً لشن الحرب السرية .. على نحو ممتاز ، ليتوانيا ، وطبقا لتقارير مختلفة .. فإن هناك ما لا يقل عن ٣٠٠ ألف من الانصار ينشطون في قتال الجيش الأحمر هناك . ولم تذكر لاتفيا واستونيا ، لأن المخابرات الأمريكية لم تكن لها مصادر معلومات عنها .. مثلما كان متاحاً للمخابرات البريطانية .

وفي إعلان سياسي حديث لمجلس الأمن القومي الأمريكي . ورد وصف للأهداف الأمريكية ضد الاتحاد السوفيتي ، وقد حددت دراسة جورج كينان دول البلطيق .. بأن لها وصفاً خاصاً من وجهة نظرنا .. ويجب أن تحرر من السوفيت بيد القوات الأمريكية .

ولا يمكن أن نعترف حقاً بمزيد من القدر السيء لشعوب البلطيق ..

ويجب أن تعتبر تلك المنطقة ، منطقياً من أهداف الولايات المتحدة حتى نرى تلك البلدان تحقق شيئاً ما وعلى الأقل اقتراباً معيناً من حالة الحرية والاستقلال .

وركز كينان على التكلفة أنه من العبث تخيل أن ذلك يمكن أن يحدث عبر حرب قصيرة واستبعد كينان على نحو واضح جداً «أوكرانيا» من فرصة تحرير أنفسهم أساساً من السيطرة الروسية . وذهبت مسئولية العمليات الخاصة إلى روستزك .. وكان الهدف الأساسي فعل شيء ضد السوفيت .

وكان مركز تدريب العملاء في .. القسم الأمريكي .. في ألمانيا الغربية .. وقد تحدد الموقع المثالي فهذا المركز بالقرب من ميونخ .

وباشر روستزك العمليات ببحث مصادر للمعلومات في الاتحاد السوفيتي (القفاز الأحمر) وسافر العملاء عبر روسيا بجوازات سفر شرعية وتأشيرات دخول قانونية ، وعرفت العملية باسم حركى .. الجلد الأحمر ..

بينما أطلق على الضباط الروس المجندين في الغرب « عملية » الكاب الأحمر . وأصبح شارلى كاتيك ، العميل المحنك للمخابرات البريطانية ، وبعد طرده من تشيكوسلفاكيا يعمل تحت غطاء محقق « جرائم الحرب » وعين رئيساً لقاعدة التدريب في « كافيورين » وهي قرية صغيرة محاطة بالأشجار وتبعد خمسين ميلاً عن ميونخ .. وطلب رسمياً ثلاثة منازل للإقامة المعيشية في ضواحي القرية ، وتؤمن بإحكام من خلال سور عال ، رغم المخاطر المثيرة التي يمكن ان تتعرض لها المنازل من المواطنين العاديين الذين افتقرت « إدارة العمليات » خداعهم .

وقد خنق الإحساس بالخطر وتوقع حدوث أمر طارىء بين الجواسيس الجدد أى شعور بالمخاطر .

ورأس مجموعة العمليات السوفيتية في جورج بيلك الذى كان على علاقة مع هارى كار والكسندو ماكين .

وولد بيلك في روسيا سنة ١٩١١ ، وكان والده كولونيل في جيش الجنرال دنكن الذى حارب البلاشفة جميعها عدة بريطانيا .

وفي نهاية سنة ١٩٢٠ هجر بيلك مع والدته من الاوديا إلى القسطنطينية واختفى والده إلى مالانهاية في فوضى « الروس البيض » ، الموقع الأخير لحشود تروتسكى . وبعد ثلاث سنوات .. نزل بيلك في الولايات المتحدة الأمريكية . وتخرج في ١٩٢٦ من مدرسة جورج تاون « للخدمات الخارجية » .

وفي عام ١٩٤٢ التحق بالأسطول الأمريكى وأصبح متخصصاً في شئون المخابرات وفي سنة ١٩٤٥ وفد في مهمة للجيش الأمريكى في بوخارست المحتلة من قبل السوفيت في رومانيا .

وكانت البعثة الأمريكية الصغيرة في بوخارست تضم الطيار فرانك ويزنر وقد وصل إلى بوخارست في ظل توقع أن يفى ستالين بتأكيداته إلى روزفيلت وتشرشل ويسمح بانتخابات حرة ، ولكن شهد بيلك مؤامرة الـ « كى - جى - بى » وهى تفرض على الحكومة الشيوعيين الرومان القادمين من موسكو .

وبحثت المخابرات السوفيتية المدربة جيداً ، من أعداء للشعب .. وأدركتهم ضمن قوائم الاعتقال الفورى .

وقد عززت تلك الخبرة مأساة طفولته . واعترف بيلك بأن الشيوعية السوفيتية أصبحت عدواً لي منذ أن كنت في الثانية من عمري ، ويجب أن يمنع انتشارها السرطاني وقد شاركت في قتالها بكل ما في نفسى من غبطة .

وجُنِّد بيلك سنة ١٩٤٧ على يد ريتشارد هيلمز ليلتحق بوحدة الخدمات الاستيراتيجية ، الجهاز السابق على الـ « سى آى - آيه » في المانيا الغربية .

وكان رئيس بيلك في هيلدبرج ، هو جوردون ستيوارت . الضابط السابق بمكتب الخدمات الاستيراتيجية وكان على غير « رجال مخابرات الجيش » ، يرى أن الأولوية ليست في اصطياذ مجرمى حرب النازى ولكن في التصدى للتهديد الشيوعى للمصالح الأمريكية . وكان الضابط الجديد مشتاقاً لمهمته التى أصبحت عمل حياته ، وبحث في معسكرات اعتقال المنشقين المستعدين للانخراط في حرب سرية ضد الشيوعية .

وراقب بيلك كتلميذ مبتدىء .. زملاءه الآخرين لمدة ثلاثة شهور قبل أن يقع اختياره على سبعة عشر مصدراً للمعلومات في معسكرات الاعتقال ، الذين يوفرون تدفقاً مستمراً للمعلومات عن المؤامرات وإمكانية الثورة في أوطانهم السابقة .. ورغم أن التأكيد لا يزال على عملية جمع المعلومات والقيام بالاتصالات .. إلا أن بيلك كان متأثراً بأن مايقدر من مليون مواطن سوفيتى حاربوا إلى جانب الألمان ضد ستالين ولا توجد جماعة أكبر من جيش التحرير الروسى الذى يقوده الجنرال أندريه فولسوف ، ورغم

أن فولسوف سلمه الجيش الأمريكى إلى الروس في مايو سنة ١٩٤٥ ، إلا أن خلفاءه كانوا يضغطون على ممثل المخابرات الأمريكية بما لديهم من معرفة وبشبيكاتهم المعادية للشيوعية التي لاتزال داخل روسيا .

وأحس بيلك الشاب بالمصلحة المتقاربة مع أولئك المعادين بقوة للشيوعية ، وأدرك مؤخراً فيما بعد أن مصدر معرفتهم كان مجرد شائعات كاذبة والتي وجهها مجتمع المخابرات على أنها معلومات حقيقية وصادقة ، ولم يكن مستهلكو تلك الشائعات قوى الاحتلال الأربع ولكن أجهزة المخابرات المنافسة .

وقد أكمل أناتولى جرانوفسكى ، الضابط الكبير بالـ « كى - جى - بى » تعليم بيلك على طبيعة أعداء والده ، وقد ناقش جرانوفسكى في أوجه مقصورة في ستوكهولم وتسلمه بيلك في أوائل سنة ١٩٤٧ ومرت ستة شهور قبل أن يدرك بيلك أنه أصبح يعرف عن نوايا وأهداف ووسائل السوفيت أكثر مما يعرف الآخرون في المخابرات وطلب بيلك نقله في ربيع سنة ١٩٤٧ إلى برلين ، بعد إحساسه بالتفوق . ليدير سلسلة من مصادر المعلومات العاملة داخل « المنطقة السوفيتية » في ألمانيا وكان المصدر الرئيسى لمعلومات بيلك .. هو ضابط سوفيتى كان مسئولاً عن إدارة الـ « كى - جى - بى » في كارلشورست .. من خلال صديقة ألمانية للضابط الروسى .

وقد تفاوض بيلك للحصول على المعلومات مقابل وعد بإقامة أمنة في الولايات المتحدة الأمريكية ، عند تنفيذ العملية . وكانت تلك العملية جوهرة أصيلة في مدينة تمتلئ بالمعلومات المضللة عن المؤتمرات والمؤامرات المضادة بواسطة السوفيت أنفسهم والقادة العسكريين المعادين للسوفيت أيضاً .

وعندما عاد سيلك إلى ميونخ سنة ١٩٤٨ ليدير شبكة العملاء داخل الاتحاد السوفيتى ذاته ، رأى أنه ضابط له خبرة مخابراتية متميزة ويمكن أن يُعهد إليه بتنفيذ العمليات السرية والتي نوقش إطارها العام خلال الشهور السابقة في واشنطن .

وكان دافعه مثاليا .. اننى متعاطف مع أى شخص معادى للشيوعية .. كما قال بذلك إلى كاتيك ، وكانت مضخة العملاء في ألمانيا الغربية كبيرة العدد .

وكانت منطقة مسئولية بيلك الجديدة .. هي دول البلطيق الثلاث ، المنطقة التي

لا يعرف عنها شيئاً . وكان ممتناً جداً عندما اقترح أمريكي من أصل يوناني يدعى .. أنتوني فايفادا ، أين يبحث عن اتصالات له ، وانتهت إقامة فايفادا في شياغوا ، مشكوراً في سنة ١٩٤٦ مع عرض بوظيفة ذات أجر حسن نسبياً كمحلل في وحدة الخدمات الاستراتيجية للشئون السوفيتية ، وفي أول اتصال له مع بيلك بعد أن تولى عمله الجديد في الـ « سي - أي - أيه » اقترح فايفادا الاتصال بضابط ميدان ضمن جماعة VLIK وتحديداً مع الجنرال بوفيلاس بلشافيكوس ، القائد السابق للجيش الليتواني .

وبينما كان الانجليز يفضلون زايمنتس وديلسكنس قبلت جماعة VLIK عرضاً بالمساعدة من المكتب الثاني (المخابرات الفرنسية) والتي فضلت إدارتها إلى بوفليتين في المنطقة الفرنسية واكتشف بيلك أن بلشافيكوس كان يعيش في القسم البريطاني والتحق بشبكة جماعة VLAK التابعة للمخابرات البريطانية . ورغم أنه لاقية له في أن يخدم الـ « سي - أي - أيه » والآن بلشافيكوس أقنع بيلك أثناء الحديث أن شبكة المقاومة داخل ليتوانيا لم تصب بأذى ، ولاتزال تحارب الروس وأنها متلهفة للتعاون مع الأمريكيين .

وكانت تلك الأخبار التي أراد بيلك الاستماع إليها . وسأل الأمريكي .. عن أي اتصال يمكن أن يتم مع المقاومة . وأجاب الليتواني .. مطلقاً .. والمع في حديثه أن العمليات التي تقوم بها الجماعة تشرف عليها المخابرات البريطانية لاتزال مستمرة .

وكان بيلك يرى أن المخابرات البريطانية .. وكالة يجب أن تؤخذ في الاعتبار وتحترم ، رغم أن الجانبين يعرفان أنهما أبناء عمومة وكل أمريكي يعرف أن العلاقة بين أمريكا وبريطانيا مثل الأسرة والطفل ، وأثناء الحرب ، كان العملاء الأمريكيان يدرّبون على يد البريطانيين . وقد كافح مكتب الخدمات الاستراتيجية حتى يتغلب على وضعه كشريك أصغر .

وكما اقترح بلوشافيكوس . فإن المخابرات البريطانية لاتزال ترسل العملاء إلى روسيا ودول البلطيق وتحتاج الـ « سي - أي - أيه » إلى تعويض النقص في الأرض المهملة . ولم يعط بلوشافيكوس أي تفاصيل عن العمليات البريطانية .

ولم يكن في ذلك محتاطاً أو جاهلاً ، ولكن لاحظ بيلك أن الجنرال بدا فخوراً بما يملك من معرفة .

وقد انتهى بيلك إلى استنتاجين مهمين بعد سلسلة من اللقاءات مع العناصر المنفية التي يود تجنيدها .. الأول : أن المنفيين يستمتعون بالقوة التي تحوزها فجأة عندما تطلب المخابرات الغربية معاونتها .

وأن تعبيرهم عن هذا النفوذ يتجاهل التوفيق بين ما يعرفون ومقتضيات الأمن .

وفي نهاية سنة ١٩٤٨ كان بيلك تحت ضغط الحاجة إلى إيجاد مصادر جديدة للعملاء وتدريبهم ، وقد وقع بيلك في سوء التقدير للعناصر المنفية ورغباتهم .. ولم يكن دقيقاً في ذلك .

وكانت اهتمامات المنفيين بالسياسة لبالأمن ، وقد تعرض كار وماكين لسوء فهم مشابه لذلك ..

وكانت الدعوات التالية لبيلك موجهة إلى موسينجور كار بقشيوس القائد السياسي لحركة VLIK والكولونيل أنتاناس سوزا القائد العسكري للحركة .. وكانا كليهما لا يزال يعيش في المنطقة الغربية .

واستكملت الاستعدادات التمهيديّة ، وناقش الرجال الثلاثة .. وعلى نحو متفائل أفاق انهيار حكم ستالين نتيجة الثورة القومية ضد الروس .

وأكد الرجلان الليتوانيان للأمريكي أن VLIK لها اتصال مباشر مع أربعة جماعات من الأنصار ، التي تحارب بفاعلية السوفيت ، وكانت المبالغة والمشاعر المتوهجة هي الأوكسجين الذي يحتاج إليه القائدين المنفيين .

ولكن سرعان ما استعاد بيلك وأيضاً ماكين الماضي الخاص بالرجلين وعطب هاتين الشخصيتين .

وفي نفس الوقت ، تدّعت ادعاءات المنفيين بأخبار حملها رسل من السفارة الأمريكية في موسكو يحددون مقالات الصحف المحلية التي تصف .. قوة النشاط المعادي للحكومة في ليتوانيا ، وعصابات السرقة .. ملمحاً مرتبطاً بالحياة المعاصرة .. والتخريب والسطو والقتل .. وانتهى تقرير السفارة الأمريكية .. باعتراف صريح بقوة النشاط المعادي للسوفيت وأن لها دلالة كتأكيد لا يقبل الإنكار عن السخط والمقاومة المسلحة .

وكان هناك مزيد من التأكيد على التمرد المعادي للروس في مطلع عام سنة ١٩٤٨ ووصل .. جوياس لوكاشا .. قائد الانصار في ليتوانيا ، إلى ألمانيا .. كبطل .. بعد عشرة شهور من مفادرتة بلاده ، ومعه خمسة عشر حارساً خاصاً . وقد قتل ثلاثة من حراسة على يد الجيش الأحمر ولأول مرة ، يرى الغرب برهاناً حياً أن هناك من يصارع الصخرة المسماة ستالين وقدم لوكاشا وصفاً دقيقاً لخيانة ماركيلوس في الاجتماع المخطط لقادة الانصار في يناير سنة ١٩٤٧ . وأصر على أن هذا الضيف ضابط في الـ « كى - جى - بى » وعلى النقيض من تقرير ديسكنس كان الانصار يثقون في VLAK ولم يسمع أى شخص عن VLAK .. تلك المنظمة الخاضعة لإغراء المخابرات البريطانية . وكان دفاع ديسكيس عرف ماركيلوس . وكما افترض لوكاشا دليلاً على أن ديكستس هذا أيضاً عميل لكـ « كى - جى - بى » . وعندما سُربت الأخبار إلى لندن ، اتسع الخلاف بين الليتوانيين واستدعت الأمور أن يطير ماكبن إلى ستوكهولم في صيف سنة ١٩٤٨ لمواجهة ديكستس .

وقال ماكبن « نريد إقامة القتال بالراديو مع الانصار » .

ورد ديكستس بجفاء : « إنك دائم الحديث عن الراديو » .

وقال ماكبن : إننا نساند ذلك الأمر .. رغم أنه عرف أن كبار موظفي الخارجية البريطانية شكوا في قوة المقاومة ؛ لأن الصحافة الروسية بدأت تتحدث عن المقاومة .

وقال ديكستس : « من الممكن أن تساند ذلك ، وهو شخصية تشرب مايزيد على زجاجة ويسكى يوميا ، وأضاف . ولكن ماذا ستفعل أكثر من ذلك ؟ كيف يمكن أن نحرر بلادنا بالراديو .

وأجاب ماكبن : إنها مجرد بداية .

وكانت محاولات ديكستس للاتصال بماركيلوس عبر الراديو غير ناجحة لبعض الوقت .. وتقول تقارير المخابرات أن اتصال عميل المخابرات البريطانية الليتوانى ، والتر زايلتسكاس ، كان يتم عبر تسلم مظروف بنى اللون بانتظام من منزل « سيلفروود كوب » يحتوى على الشائعات والتخمينات والحقيقة الصعبة التي أغفلت هي مصير ماركيلوس .. وهو ما ظل مجهولاً بالنسبة لـ « زيلنكساس و ديكستس » .. وقد كان

الدكتور ماركيلوس هدفا لمحاولات اغتيال على يد أربعة من الأنصار .. وحتى تؤمن حياته الـ « كى - جى - بي » قامت بحركة خاطفة ووضعت في مكان آمن في ليننجراد .

ولم يصدق زيلنكساس وديكستس أن منظماتهم محترفة من الـ « كى - جى - بي » وكان ماكين .. غالباً ما يتورط في نوبات شراب طويلة وثقيلة وإن كانت مرحة مع ديكسنس .. والتي قللت من احتراس ديكسنس .. ولكن حتى في أشد حالات السكر وفقدان السيطرة على النفس .. لم تبدر منه إشارة تفيد أنه شخص غير غيور على وطنه ، وفي المقابل .. كشفت محادثاتها عن كراهية مشتركة للشيوعيين .. اللذين سنطردهم .. وفي أثناء زيارة ماكين إلى ستوكهولم وقعت أحداث أثرت في موقف السياسة البريطانيين تجاه تبني خيارات أكثر عدائية والتي عرضتها المخابرات البريطانية

وقد أخبر أرنست بيفن « لجنة الدفاع » بمجلس الوزراء « برأى في غضون ستة إلى تسعة أشهر سيحدث صراع حاسم على السلطة وكان ذلك قبل خمسة أشهر من حدوث معركة برلين .

وتوقع تشرشل وقوع حرب مؤكدة مع الشيوعيين ، وعبر الوزراء الفرنسيون عن مخاوفهم من أن الروس سيصلون في شهر أغسطس .

واستدعى هذا التحذير نشاطاً محموداً ووافق بيفن على إحياء « لجنة روسيا » لتقدم مقترحاتها لتنظيم حملة عبر أوروبا ضد الشيوعيين ، وقد دفعت نفس المخاوف الكابتن أور ليلجنبرج ، ضابط المخابرات السويدية أن يقترب من ماكين عشية عودة الرجل الاسكتلندي إلى لندن .

وسأل السويدي عما إذا كانت المخابرات البريطانية تفكر في دعم عملية لإرسال مجموعة كبيرة من مواطني دول البلطيق بالزوارق إلى الاتحاد السوفيتي لمعرفة عما إذا كان الاتحاد السوفيتي يخطط للفرز . وستكون تلك عملية المخابرات البريطانية ويغطيها السويديون . وأجاب ماكين على نحو إيجابي ومؤكد .. وتلاشى إيصال المخابرات البريطانية بليتوانيا عبر اللاسلكي ، وظل مصير الثلاثة رجال العاملين على جهاز « الراديو » في لاتفيا سراً .

ولم يعرف المزيد عن ذلك من فيلكس رومينكس الذي عاد تحت غطاء العائد إلى

وطنه . وقد وصفت رسائله محاولاته في الاشتباك مع ضابط الـ « كى - جى - بى » في أحاديث لاكتشاف مصير عملاء المخابرات البريطانية الثلاثة .

ولكن صمته في عام ١٩٤٨ كان نذير شؤم ، وفي الواقع ان المخابرات السوفيتية الـ « كى - جى - بى » بنهاية ١٩٤٧ ، قد ثارت شكوكها حول اقترابه المتكرر من رجالها ، ووضعته تحت المراقبة واكتشفت بعض خطابه والتي وضعت تحت الفحص العلمى ، والقى القبض عليه بعد اعتراف سريع منه ..

وكان اكتشاف نشاط المخابرات البريطانية الحالى ، والأزمة في برلين .. أسباباً وراء فضيحة موسكو لإدارات الـ « كى - جى - بى » في كل الجمهوريات بمراجعة استراتيجيتها في ضوء توقع تزايد نشاط الجاسوسية الغربى .

وعُهد بمسئوليات مشابهة .. لأعضاء الحزب الشيوعى من البلطيق ، حتى البحر الأسود أولئك الذين يرتدون شارة « الحرس » وعادوا إلى مخطط مؤسس حزبهم لمراقبة نشاط المخابرات المعادية . التى توظف المنشقين من المهاجرين الروس وقد أرسل الجنرال جانيس فيفرس إلى معاونه في ريجا وإلى الجمهوريات السوفيتية يقول لضباطه التابعين له .. إن المخابرات البريطانية تنوى بوضوح مواصلة نشاطها ، ونريد أن نكتشف مدى نواياهم . ونريد أن نرسل رجلنا إلى عشهم . ومسئولية نسج خيط العش للإيقاع بسيلفروود كاب ، وكار ، وماكبن وقد عهدت إلى الميجور لوكاسفيس والطائر الذى اختير لغواية المخابرات البريطانية حتى تدخل عش الـ « كى - جى - بى » هو فيدقوس سفيكس .

واختيار سفيكس .. كان اختياراً ثاقب البصيرة ، فقبل الحرب كان يقود الحياة الاجتماعية في جامعة ريجا وفي الجيش ومدى اتصالاته وأصدقائه مؤثر وفعال ، ويعتقد كل شخص أنه قومى ومعادى للشيوعية ، ويشك البعض وعلى حق .. أنه قد تعاون مع الألمان .. ولكن لا يدرك أى من أصدقائه أن تعاونه مع النازى ومشاركة اللاتفيين في جرائم الحرب الألمانية قد أبعدته عن القوميين .

وبعد أن تسلمت الـ « كى - جى - بى » سفيكس سنة ١٩٤٧ ، أقنع أن يذهب إلى الغابات للتعرف على الأنصار ويغدر بهم عندما كانوا يحاربون السوفيت .

وفي ١١ أكتوبر سنة ١٩٤٨ ، هبط سيفكس على شاطئ جوتلاند ، وعلى الفور حاصره البوليس المحلى . وكان بحوزته خطاب من أوزوالديلسكانس وهو مصدر معلومات بريطانى قبل عام ١٩٣٩ والتحق بالمجلس المركزى فى لاتفيا أثناء الحرب .

وحصل سيفكس على خطاب بيلسكانس بعدما أظهر عداه للشيوعية وأنه ينوى الهروب إلى الأبد ويحتاج إلى شهادة حسن سير وسلوك فى حياته الجديدة .

وأرسل إلى فيرنرز تيفيرس منظم المخابرات البريطانية فى لاتفيا ، والذي يعيش فى ستوكهولم .

وتأخر الاستعلام بينما سيفكس يستجوب بهمة على يد بيرتل بوند ، رئيس قسم « المخابرات المضادة » فى جوتلاند . وكانت الأسباب التى ذكرها سيفكس « لهروبه » لاتقبل الشك . وكما شرح بنفسه ، لقد دفعت مبلغاً لصياد ليعبر بى ، وعاد فوراً . ووافق بوند على إطلاق سراحه ، ووصل سيفكس إلى منزل « تيفيرس » .. وغير وجوده فى خطط المخابرات البريطانية بالكامل .

وكان مقرراً أن يسافر أربعة مواطنين من لاتفيا ، جندوا حديثاً ، على متن قارب ليلينبرج ، لكن وصول سيفكس إلى منزل تيليفرس .. قد زاد من الحماس والثقة بتلك الخطة . وكان سيفكس يمتلك المعلومات التفصيلية عن الحياة داخل روسيا . وكانت معلومات حيوية . واعتقد تيليفرس بضرورة تجنيد سيفكس للعملية . وفى الأيام الأولى ، المح تيليفرس بكل ثقة إلى ضيفه على الترتيبات مع البريطانيين والسويديين ، ومع نهاية نوفمبر ، عرف سيفكس ، أن تيليفرس وبناء على طلب من المخابرات البريطانية ، كان يدير مدرسة للعملاء ، وكانت تعدهم لمهام داخل روسيا .

ودون جهد يذكر ، زرع ، عميل لوكا سيفكس نفسه وسط عملية ماكبن . وراقب الترتيبات الجارية لإقامته الدائمة فى مخبأ ، بقرية صغيرة تبعد ٤٠٠ كيلو متراً جنوب العاصمة ، وليقيم مع فريد لانجس ، أفضل أصدقائه فى فترة ما قبل حرب « ريجا » . وكما يقول فريد : فإن سيفكس كان واحداً من ألمع التلاميذ فى فصل ، وكان فريد مسروراً جداً لرؤية صديقه القديم .

وصل لانجس إلى السويد في نوفمبر ١٩٤٥ ، على نفس القارب الذي كان عليه اليمارز سكوب والذي انتقاه في غابات كورزيم . وكانت معركته الشخصية مع الروس شديدة ومريرة . وأطلق شخصيا النار على واحد على الأقل من ضباط الـ « كى - جى - بي » . ولم يكن نادماً على ذلك . ومنذ وصوله إلى السويد وهو يبحث عن دعم للأنصار الذين تركهم خلفه . وقفز على الفرصة التي قدمها له تيفلرس سنة ١٩٤٨ وأن يعود إلى لاتفيا على ظهر قارب سويدي .

وبدا سيفكس مجنّداً مثالياً « للعملية » وكان صديقه القديم لانجس أفضل من يتحقق من مصداقية سيفكس .

وفي بداية سنة ١٩٤٩ ، وبعدما أكد لانجس الثقة في سيفكس . عرض تيفلرس خطته وهي إسقاط مجموعة من العملاء من لاتفيا وليتوانيا وإستونيا .. دربتها المخابرات السويدية ، على ساحل لاتفيا . ولتنشئ هذه المجموعة شبكة جديدة ، وقال تيفلرس : أحب أن تنضموا إلى تلك الشبكة .

ورد سيفكس .. لا .. إنه خطر تماماً العودة وأود أن أعيش هنا لأننى حر الآن . وخابت محاولات تيفلرس في حث عمل الـ « كى - جى - بي » ورفض سيفكس بمنتهى الإصرار . وقال تيفلرس : أستطيع أن أعدك بذلك عندما تعود في نهاية « المهمة » وستحصل على مكافأة شخصية ، وقد أدلى بذلك القول عندما لمح تراجع سيفكس . ووافق سيفكس بعد يومين من ذلك .

وفي منتصف يناير .. أرسل سيفكس ولانجس إلى منزل في ليدينجو ، شرقي ستوكهولم ، ووجدوا هناك ستة آخرين مجتمعين يتدربون على أعمال الجاسوسية تحت إشراف الكابتن أندريه من المخابرات السويدية . وكان الستة : واحداً من لاتفيا ، واثنين من إستونيا ، وثلاثة من ليتوانيا . والثلاثة الليتوانيين هم : كازمارس بيليس الذي وصل إلى الغرب مع لوكاشا وكان مشتاقاً إلى العودة إلى المعركة بأسرع مما يمكن . وجوستاس بروس ، وجوناس ديكسنس .

وفي خلال الشهور الثلاثة التالية ، تعلمت المجموعة فن جمع المعلومات ، والرسائل الشفوية وتشغيل اللاسلكى (الراديو) والحياة في الغابات وقال لامجس لزوجته : وأخيراً يمكن أن نفعل شيئاً من أجل بلادنا .. وقد أضافت الأحداث الجارية في دول البلطيق عنصر .. العجلة .. على العملية .. حيث بدأ في وحدات الجيش الأحمر وبإشراف

الـ « كى - جى - بى » الجولة السادسة فى الحرب ، وبدأت ترحيل عشرات الآلاف من الفلاحين والمهنيين من الطبقة الوسطى ، وأولئك المتعاونين مع الألمان إلى سيبيريا .

وفى مشهد يذكر بمذبحة .. الهولوكوست .. لليهود ، وقدر وجود حوالى مائة ألف من الرجال والأطفال والنساء الخائفين والدموع فى عيونهم وهم يحملون حقائبهم الصغيرة ويضعونها فى قطارات متجهة إلى مستقبل مجهول . وكان السوفيت .. بذلك يقتلون آخر أمارات المعارضة .

وأذاعت الدعاية السوفيتية « أن المعارضة البرجوازية القومية الليتوانية العاملة تحت الأرض ، صفيت لتخلص البلاد من عصابات الشر ، ومثل تلك الأقوال .. ترددت عند القيام بعمليات التهجير الجماعى القسرى من لاتفيا وإستونيا .

وقرأ محللو وكالة المخابرات البريطانية والـ « أى - سى - ايه » تلك التقارير فى مذكرة محددة كتبت فى منتصف عام ١٩٤٧ تحت اسم « المعارضة السرية فى ليتوانيا .. » التى وصفت .. الجيوش الضخمة والمنظمة والمسلحة جيداً ، ورغم أنها تعيش فى الغابات إلا أنها ترتدى أزياء أعداءها لهم الفلاحون والمدنيون وتسبب تلك الجيوش الخراب للسوفيت .

وقرأ روستزك ، وكار ، وماكين وآخرين من ضباط المخابرات السوفيتية الأخيرة .. عن سياسة الأرض المحروقة .. وأن تلك التقارير تؤكد على أن جماعات الأنصار لاتزال موجودة .

ولم يقدر ضباط المخابرات البريطانية والـ « سى - أى - ايه » نتائج تلك التقارير وأن عمليات الترحيل القسرى التى يقوم بها الـ « كى - جى - بى » قد نجحت فى القضاء على مساندة الأنصار فى الريف والغابات وأنها تعانى تراجعاً .

ودون اهتمام بتلك النتائج ، واصل العملاء الثمانية للمخابرات البريطانية تدريبهم فى ليدنغو ، وقيل لهم : إن عمليات الترحيل الجماعى ، قدمت للغرب فرصة نادرة .

وشرح الكابتن أندريه قائلًا : « يجب أن نخرب تلك العمليات ، وأن نقلب الشعب ضد الروس » ويمكن تفجير خطوط السكك الحديدية واغتيال كبار الضباط السوفيت ، ولكن الأهم من ذلك كله ، هو حشد الأنصار لكسب تأييد ومساندة جماهير الريف التى تعانى من العمل الجماعى القسرى .

وكان لانجس وآخرين مأخوذين بهذا الشرح ، وواصل أندريه القول : « إن هدف العملاء البعيد المدى والهام جداً هو الحصول على معلومات مخبرانية عن القواعد العسكرية السوفيتية » .

وتفاصيل فنية عن الأسلحة الحديثة ، وعن الصواريخ السوفيتية وبرامج محطات الطاقة الذرية .

وفي بداية أبريل سنة ١٩٤٩ ، أعلن لانجس فجأة ، رفضه الاستمرار رغم استكمال الاستعدادات تقريباً لتفادير المجموعة السويد في أول مرحلة ، متجهة إلى روسيا .

وقال لها : إن زوجتي حامل وعلاقاتنا تأثرت إلى حد كبير بنشاطى ، ولا يمكن أن نواصل تلك العملية . وحتى يؤمن العملية من الانكشاف والفساد ، انفصل المنشق عن بقية المجموعة ، ولكن ليس قبل أن يتفق مع سيفكس على شفرة سرية للاتصال الشخصى بينهما بالخطابات بناء على شفرة من كتاب ليتوانى .. وخلال عنوان سرى للمراسلات فى ستوكهولم يخدمهما كقناة اتصال خاصة بهما بعيداً عن معرفة المخابرات البريطانية ولم يكن اللاتفى الثالث مستعداً للمهمة ، وبذلك عُهد بنجاح المهمة إلى سيفكس بمفرده وأعطى كافة المعلومات السرية الهامة عن العملية وأطلعته يتلفرس على قائمة الاتصالات مع المتعاطفين التى تستخدمها المخابرات الانجليزية والسويدية فى لاتفيا ، وقد ضمت القائمة أوجستس بيرجمانس ، مُشغل اللاسلكى الوحيد ، والأب فاليدس أمولس وهوتس ، كان قومياً أثناء الحرب ، ثم ساعد فى المقاومة ضد الشيوعية .. ومنزله يبعد مسافة .. السير على الأقدام .. من الشاطىء فى لاتفيا .

وبدا هذا المنزل ، ملجأ مثالياً عندما يصل قادم جديد .. أو هكذا رأى لانجس .

وكما شرح لانجس فيما بعد ، أن هذا كان ملجأ للمنفيين وضباط المخابرات البريطانية وبدأ يحس بشكوك غامضة حول سيفكس وقال : « بعض قصصه بدت خيالية ، ولكنهم لم يكن لديهم بديل آخر للوثوق به » .

وفي ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٩ ، أبحر سيفكس مع خمسة آخرين على متن قارب سويدي لعبور المياه . وبعد ست ساعات ، ألغيت العملية وادعى ليلنبرج أن الزورق بطيء جداً ، مما يزيد من مخاطر الأسر .

وبعد مشاورات عاجلة مع المخابرات البريطانية ، وافقت على إسقاط الادعاء بأن العملية سويدية وأن بريطانيا ستتولى إنزال العملاء .

وطار العملاء الستة إلى قاعدة بريطانية في جوتيرشلون في ألمانيا الغربية ، ونقلوا إلى هامبورج في شاحنة عسكرية بريطانية وجرى التأكد من سلامة الإجراءات والترتيبات النهائية .. وأقام العملاء في فيلا مريحة تطل على نهر الألب .. جهزتها الحكومة العسكرية .

وكان مضيفهم خليط من الضباط الإنجليز المقيمين في هامبورج ومجموعة وصلت مبكراً من لندن .

وكان ضمن المجموعة الأخيرة رجل قدم نفسه على أنه « العم ساندى ماكبن » .

وهذا الضابط التابع للمخابرات البريطانية .. القادم شارع رايدر قد تولى الإشراف على تدريب المجموعة ، وإن ظل دائماً في الخلفية ، وعشية الرحيل طلب فحص شبكة المخابرات البريطانية شخصياً والتي ستكون طليعة نشاط المخابرات في البلطيق .

وقضى الأيام التالية مع الاستونيين بينما انشغل زايتميس مع الليتوانيين حتى يعطيهم الثقة والإيمان فيما يفعلون .. كما قال ذلك بنفسه .

وأنكر الرجال الستة أنهم اطلوا التفكير في أى لحظة في مصيرهم .

وكانوا يخرجون في ظل حراسة إلى المركز التجارى لشراء الكاميرات ، وفي المساء ، يتناولون الشراب في بارات هامبورج .

وفي ذات الوقت كان القارب الذى سيستقله العملاء إلى الساحل الروسى يخضع لتفتيش وفحص دقيق وأخير . وكان هذا القارب ألمانياً وقع في الأسر وقد ذهب إلى ترسانة صغيرة للسفن في يورت سموث وأعيد بناؤه . وزود بالأسلحة والطوربيدات ومحركة من ماركة مرسيدس بنز ٥ / ٨ وقد فحص الموتور فحصاً شاملاً من قبل مهندس الاسطول الملكى . وأدخلت على الموتور تعديلات حتى يكون هادئاً لأقصى درجة حتى يمكن من الاقتراب من شاطئ الأعداء وبأقل ضوضاء ممكنة . وزود باللاسلكى والرادار في هيئة الرادار والإشارة البحرية والتي تعمل بضابط واحد يخدم على ظهر الزورق لهذه المهمة .

وبعد إتمام هذه التعديلات ، قام القائد أنتونى كورتنى وهو ضابط تابع لمخابرات الاسطول البريطانى ، بتفتيش مفاجئ على قائد الزورق الألمانى .. السابق .. هانز هيلموت كلاوس .

وفي مايو سنة ١٩٤٩ دعى كورتنى الألمانى لزيارة مقر قيادته في ميندن في ألمانيا

الغربية ، ورغم أن كورتنى عمل خبيراً سابقاً في كسح الألغام إلا أنه في تلك المناسبة بدأ مباشراً ودخل في الموضوع رأساً وقدم نفسه على أنه .. تونى .. وكشف كورتنى أن نشاطات طلاوس في زمن الحرب .. اكتشفتها مخابرات البحرية البريطانية عند فحصها لليوميات الحربية للأسطول الألماني وقد ظهر أن طلاوس منذ عام ١٩٤٤ وحتى نهاية الحرب ، تولى قيادة الزوارق في البلطيق وأسقط العملاء الألمان خلف الخطوط الروسية . للقيام بعمليات تجريبية .

وطلب كورتنى من كلاوس معرفة عما إذا كان الأخير مهتماً باستئناف نشاطه وعمله الحربى كقائد للزورق الألماني ، وتلك المرة في خدمة المخابرات البريطانية .

ولد كلاوس في ماكلينبرج سنة ١٩١٦ لعائلة تنتمى إلى القوميين الألمان .. وكان طموحه أن يخدم الوطن ، وفي أثناء الرايخ الثالث كان لدى الأسطول الألماني ، القليل من الذين نذروا أنفسهم للوطن ومنهم كلاوس ، رغم أنه لم يكن نازياً ولم يكن متعاطفاً مع سياسات نظام الحكم المتطرفة . وأثناء قيادته للزوارق الألمانية حول ساحل البلطيق ، شاهد بنفسه القتل الجماعى لليهود ، ولكنه احترم قوانين حالة الحرب .

وقد حكى كلارس بكل فخر ، إلى اللورد مونتباين ، عند لقائه به في مطلع الخمسينات ، وكنوع من إشارة الامتنان إلى المخابرات البريطانية قائلاً : « كنت أعانى دائما عندما أشاهد البحارة الانجليز يفرقون وفكرت في أمهاتهم المسكينات » لقد وحدث العواطف المشتركة بين البحارة وامتدت لتشمل كراهيتهم للبشافية .

ولم يحس كلاوس بأذى شك عندما عرض عليه البريطانيون العودة إلى البحر . وإنها لفرصة مثيرة حقاً لضابط بحرى طموح والذي لم ير أى افاق لمستقبله العملى سنة ١٩٤٩ .

والحق الزورق الأبيض « س ٢٠٨ » بهيئة حماية مصايد الأسماك والتي شكلتها الحكومة العسكرية البريطانية في هامبورج لمساعدة مراكب الصيد الألمانية الغربية في البلطيق ، وقد عهد لكلاوس بتجنيد طاقمه من العاملين معه أثناء الحرب .

وفي إجراء .. للحفاظ على سرية المهمة ، كان الزورق « س ٢٠٨ » سيبحر من كيل أو من إكينفورده رافعاً الراية البيضاء في الجزء الأول من الرحلة البالغ ٥٠٠ ميل وحتى خليج صغير في جزيرة الدنمارك . يسمى « بورنهولم » ويرفع العلم السويدي ، وهناك ، كان على كلاوس أن ينتظر مع العملاء أسفل سطح الزورق حتى تصل رسالة صغيرة

وعبر سعريه من هامبورج بعصيه امرا بالعدم في المهمه حسب تقديره وعلى مسؤليه .
وإذا كان الطقس ملائماً والرياح شرقية بما يقلل من ضوضاء الزورق ، س
٢٠٨ « .. فعلى الزورق أن ينطلق بسرعة ويعود في أقصى سرعة ممكنة . وكان هناك
سؤال يطرح نفسه على كلاوس دائماً وهو ، ماذا لو أمسكوا بنا ؟
وكانت إجابته .. التأكد من أننا أسرع من أى شخص آخر .. ويقول : ثق بى ، فإن
الانجليز لم يتمكنوا من الإمساك بزورقى أثناء الحرب .
وكان موعد الرحيل .. قد ثبت في ليلة ٢٩ / ٣٠ إبريل ، وكانت الجهة التى يقصدها
الزورق هى شاطيء بالانجا في ليتوانيا ، وكان مأمولاً أن يتم الإنزال في الأول من مايو
وعن يوم إجازة عند الشيوعيين .
وهناك اعتقاد أن حرس الحدود سيكونون في حالة حذر ضعيفة . وعند حلول
غسق يوم ٢٩ إبريل .. انطلقت ثلاث سيارات وشاحنة صوب أحد جوانب رصيف ميناء
كيل .. بالقرب من الزورق .
وراقب كلاوس ذلك المشهد بصمت ، من كابينة القيادة .. والرجال الستة يحملون
حقائبهم على ظهورهم ويلوحون بالبنادق التى يحملونها بتحيات الوداع . ويندفعون
نحو الطريق المؤدى إلى الزورق . وبدأت المناسبة شيئاً عادياً .. وعندما فكت حبال
الزورق وبدأت اللحظة درامية .

عندما حان الرحيل وقدم الضابط الانجليزى (اقراص - ل) وهى من السيانيذ
الخالص ووضع كل رجل حبوب الانتحار في جيبه ، دون تعليق . وتميز حديثهم عن
الايام السابقة بأنه حديث ثار .. واضطر سيمكس أن يبتسم موافقاً عندما تحدث رفاقه
عن كيفية أنهم سيصنعون ثغرة وسط الشيوعيين ، المحتلين لأوطانهم .

وذكر رجل الـ « كى - جى - بى » أن ذلك لم يكن تظاهراً بالشجاعة ، ولكن كان نية
أصيلة . وفي رأيه أن تلك المجموعة على رأس الزورق (س ٢٠٨) كانت مجموعة خطيرة
حقاً .. وعندما بدأ الزورق يبحر إلى بورنهولم ، بدأ يعنى التفكير فيما يفعله .

ورسأ .. الزورق (س ٢٠٨) في خليج صغير في بورنهولم .. وهذا الخليج
استخدمته قوات الأسطول الدنماركى ، بينما انتظر كلاوس التقرير النهائى عن حالة
الطقس .

ووصلت الرسالة من هامبورج ، ولم تكن ذات قيمة لمن يسترق السمع حيث

تنبأت .. بهبوب عواصف ، ولم يكن هناك خيار آخر سوى انتظار تحسن الأحوال الجوية .. وظل العملاء أسفل سطح القارب ، بعيداً عن البصر وظل كلاوس يتظاهر أمام مضيفيه الدنماركيين أن مهمته بريئة تماماً وفي الخامس من مايو ، تحسن الجو واتخذ الزورق طريقه بأقصى سرعة متجهاً إلى « بالانجا » مباشرة .

وعلى بعد ٢ كيلو متر من الشاطئ . أصبحت شاشة الرادار واضحة تماماً وأمر كلاوس بإيقاف المحركات .

وفي الثانية صباحاً ، وضع الرجال الستة أنفسهم في قوارب مطاطية وتوجهوا إلى الشاطئ .

وكان إنزالهم متقناً تماماً ولم يلحظه أحد .

وما حدث بعد ذلك كان غامضاً . رغم أنه من الواضح أن الستة رجال قد هربوا في الغابات . وسرعان ما انفصل عنهم سيفكس وبحث عن الميليشيا المحلية ليدفع إليها تحذيره . وحدث إطلاق للنار .. ولقى الرجلان الاستونيان مصرعهما . وتحرك ديكسنس وبيبلس المنطقة قبل أن تصل الميليشيا ومات بيبلس بعد ستة أشهر فيما بعد وهو يقاتل الروس .

وفي أول رسالة تلقاها تيفرس « مكتوبة » باستخدام الحبر السرى ذكر سيفكس أن المجموعة فوجئت على الشاطئ ، ورفض الآخرون في المجموعة الاستسلام وبدأ إطلاق النار ، وهناك عدد منهم قد لقي حتفه على وجه اليقين . ولا يعرف شيئاً عن الأحياء ، لأنه ولحسن الحظ هرب ووصل إلى ريجا . وحيث جهاز اللاسلكى الذى بحوزته في حالة طيبة .

وقد خفف من وطأة الكارثة ، رسالة أخرى تلقاها تيفرس .. وأنه فور وصوله ، زار سيفكس ، أوزوالد بيلسكانس .. وقد أحضر معه بعض الهدايا من السويد وخطاباً مغلقةً ومختوماً من تيفرس .. وأجابه بيلسكانس بأنه سيضمن عودة آمنه لسيفكس إلى ريجا ورغبته المستمرة لخدمة مصالح العالم الحر .

وفي نفس الوقت .. وتحت توجيه لوكاسيفكس .. أجرى اتصالاً مع فاليدس أمولس ، القس الذى يعيش بالقرب من الساحل .

وكتب إلى تيفرس .. بأن كل المنازل الآمنة لاتزال لم تصب بأذى .

وتبع اتصال سيفكس ، خطاب ديكسنس ، والذى ذكر فيه لزايمنش أنه بعد الرحلة

المرعبة ، وصل إلى ليتوانيا وأنه فقد اتصاله من الضابط المسئول عن تشغيل جهاز اللاسلكى .

واقترح ديكستس ترتيب إرسال مشغل على وجه السرعة وبينما هو يبحث عن قادة منظمة VLAK « الليتوانية » .

وقد أحس كار في لندن ، بالارتياح . ذلك أن الهيكل الخاص بشبكة ليتوانيا ولاتفيا لا يزال امنا .

وهناك حاجة الآن لمزيد من الإنزال وضرورة التفكير في ذلك على نحو طارئ . حيث تكثفت الضغوط لزرع المزيد من العملاء .

وقد ترافق وصول هذين الخطابين مع سلسلة اجتماعات في واشنطن بين فريق وزارة الخارجية البريطانية برئاسة وليم هاتير وكبار أعضاء جهاز المخابرات المركزية الأمريكية الـ « سى - اى - ايه » وموظفى الخارجية الأمريكية المسئولين عن الجاسوسية في المعسكر السوفيتى .

وكان هاتير عضواً « بلجنة روسيا » التابعة لوزارة الخارجية البريطانية ، وفي ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ناقشت تلك اللجنة اقتراحاً بالبدء فى « عمليات هجومية » ضد الدول الدائرة فى الفلك السوفيتى على وجه خاص فى ألبانيا .

وكان الهدف من ذلك تخفيف القبضة السوفيتية على البلدان الدائرة فى فلكه بما يمكنها فى النهاية من استفادة استقلالها . وكانت التكييفات هى .. إثارة السخط المدنى .. والاضطرابات الداخلية قدر الإمكان الشقاق والخلاف .

ورغم أن بعض أعضاء اللجنة كان فى شكٍ من المهمة . إلا أن صوت مارشال الجو اللورد تيدر كان مقنعاً ، حيث قال « إننا نهدف إلى كسب الحرب الباردة ، وأعنى بذلك إسقاط النظام السوفيتى فى غضون خمسة سنوات .

وعكس جدول أعماله .. القناعة الأمريكية البريطانية المشتركة بأن روسيا ستبنى القنبلة الذرية بحلول عام ١٩٥٧ . وبعد ذلك سيصبح صعب احتواء الاتحاد السوفيتى لأن القادة العسكريين البريطانيين حذروا أن مواردهم « للحرب الساخنة تتضاءل بسرعة » .

وقد اختلطت تلك المخاوف مع دلائل التسلط السوفيتى فى أوروبا الشرقية بما أقنع أعضاء اللجنة الموافقة على أن الهدف البريطانى .. أن يكون وبكل تأكيد هو تحرير

البلدان الدائرة في الفلك السوفيتي . بما يعنى أن ذلك يتم فقط بوسائل حرب قصيرة الأمد . ولا يمكن تحقيق شىء من ذلك دون التعاون مع الأمريكان ، وعلى هذا الأساس .. حصل الموظفون على موافقة بيفن بالسفر إلى واشنطن .

واستمر الاجتماع الذى عقد في مارس ١٩٤٩ ثلاثة أيام . وكان أطرافه هاتير ، جلادين جب ، واللورد جيكلوى من الجانب البريطانى ومن الـ « سى - آى - ايه » روبرت جويس وفرانك ويزنر المعادى للشيوعية بلا هواده .

وقد غطى هذا الاجتماع المجال الواسع لإمكانية التعاون بين الشعبين وجهازى المخابرات ضد الاتحاد السوفيتي .

وقد دهش الجانب البريطانى بتلك الحماسة الامريكية للتفوق على المخابرات البريطانية ومباشرة العمليات السرية .. ولكن فزع البريطانيون من المناقشات الغزيرة التي كشفت عن غياب أى تنسيق أو قيادة حازمة ومقنعة داخل جهاز المخابرات الأمريكية .

وكانت خطة جهاز المخابرات البريطانية هى إسقاط النظام فى ألبانيا ، كما أوضح ذلك هاتير وصدوم ويزنر باعتبارها عملية سرية نموذجية من النمط الذى تجرى مناقشته .

وبرأى ويزنر .. فإن أربع سنوات ضاعت فى واشنطن ، بينما أهملنا وتناسينا ونافسنا خبرة المخابرات البريطانية .. وأخيراً ناصرنا خطتها .

وفى ذلك الوقت تغير الكثير .. ليس فقط طبيعة العدو وتضاريس الأرض التى يجب أن تجرى فيها المعركة . وقد تأثر ويزنر دون خجل بتراث التجسس لدى جهاز المخابرات البريطانية .

وكان ويزنر ممتناً لأن بريطانيا راغبة فى تقديم خبرتها وسلم بالقيادة لبريطانيا فى تلك العملية .

وقد ظاهر فرانك ليندس .. تقدير ويزنر .. ومعروف أن ليندس هو الذى دعم كينان فى اقتراحه سنة ١٩٤٧ بإنشاء مدرسة لحرب العصابات وقد اكتسب ليندس شهرة لخدماته الحربية التى أداها مع الأنصار المعادين لتيتو فى يوجسلافيا وأصبح نائباً لـ « ويزنر » ومسئولاً عن أوروبا الشرقية .

وفي رأى ليندس .. أن هاتير وممثلو المخابرات البريطانية يمثلون أفضل تراث وتقاليد العالم الانجلو - أمريكى .

وكان اقتناعه أن من واجب أمريكا مواجهة إمبراطورية الشر وقد اكتسبت تلك القناة صلابة بالتقارير الواردة عن فظاعة تيتو . منذ الحرب ورغم حماسة ويزنر للعمليات السرية كانت من النوع المرضى إلا أن مساندة ليندس لعملية البانيا كانت حاسمة .

وقوبل الاتفاق الأمريكى ، بأن يتولى الأمريكان الدفع وتمويل عملية المخابرات البريطانية فى البانيا ، بارتياح شديد فى برودواى على الأقل من قبل جاك إيستون رئيس اللجنة المشرفة على العملية .

ووصلت مجموعة من الضباط البريطانيين إلى البحر المتوسط فى أغسطس سنة ١٩٤٩ ودرّبوا عشرين البانيا على جس إمكانيات إثارة الفوضى والتمرد . وفى أكتوبر .. وضع العشرون رجلاً على الشاطئء وبنهاية الشهر فقد منهم أربعة .. وقد قيل أنهم قتلوا ، إلا أن الباقين عادوا وقرروا أنه رغم المعارضة الهائلة للنظام الشيوعى إلا أن السكان حذرين تجاه إمكانية نجاح انقلاب .

وكان ذلك كافياً .. عند إيستون ومديرى المخابرات البريطانية ، للبحث عن مساندة على مستوى أعلى لتوسيع مطامحهم .

وحدثت واقعة فريدة من نوعها فى بداية سبتمبر .. بددت أسس الحذر وأطلقت فيضانا من المطالب لمزيد من النشاط المخابراتى .

ففى ٢ سبتمبر .. عاد نظام الاستطلاع الأمريكى البعيد المدى (ب - ٢٩) إلى قاعدته بالمحيط الهادى .. ومع النظام دليل دامغ أن السوفيت فجرّوا قنبلة ذرية .

وفجأة بدت كل التقديرات والتقييمات العسكرية والاستخباراتية والسياسية لاقيمة لها . وأصبح التفوق الروسى فى القوات التقليدية .. لم يعد يوازنه التهديد النووى الأمريكى .

وقد أضعف الفشل فى تقدير امتلاك روسيا للقنبلة من مصداقية الـ « سى - أى - ايه » والمخابرات البريطانية ، وقاد ذلك إلى إبعاد مدير الـ « سى - أى - ايه » هيلنكوتر .. وفى نفس الوقت أعطيت للوكالتين السرية والتمويل اللازم لتحقيق الأهداف ، ومن

المفارقات المميزة للصراع بين الشرق والغرب .. أن ستالين كان منذ أربعة شهور يبحث عن تخفيض التوتر بإقامة سور برلين ، بينما البيت الأبيض و « الوایت هول » يعترفون الآن بأنهم في حالة حرب مع روسيا .

وسرعان .. ماخضع نشاط المخابرات البريطانية الموجه بكل طاقته ضد الشيوعية إلى مراجعة دقيقة والتخريب إذا ما ظل مجرد تخريب . كما الحال في البانيا احتاج إلى موافقة الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية . أما إذا كان التخريب أو الاغتيال هو الهدف ، فإن المخابرات البريطانية كانت تحتاج إلى موافقة وزارية فقط ، وهكذا فإن الأوراق التي أعدها إيستون تقترح تدمير السفن في الموانئ الإيطالية والتي تعتزم نقل اللاجئين اليهود إلى إسرائيل ، كانت تلك الأوراق يجب أن تمر عبر القنوات للفحص والمراجعة ثم مصادقة .. حكيمنت أتلى رئيس الوزراء شخصياً . وأيضاً أعطى بيفن موافقته على العمليات السرية داخل روسيا والدول الدائرة في فلكتها .

وفي صيف سنة ١٩٤٩ ، وافق على التوسع في تلك الخطط . وكان هارى وهو في قمة نشاطه الوظيفي ، ينجز طموح حياته ، فقد توسعت منطقة عمليات المنطقة الشمالية لتشمل العملاء في بولندا وأوكرانيا ونتيجة التعرض لقيود في الميزانية حصل على موافقة لزيادة الأموال لعملياته . وبينما يتسع نطاق العمليات في البلطيق . اتفق كار وماكين على إجراء تحقيق حول « المهمة الكارثة » من السويد وحتى ليتوانيا ، فمئذ إرسال ديكسنس وسيفكس . واختفاء الفريق التالى الذى أرسل .. ماجعل كار يشك أن الفريق القى القبض عليه وفي الحقيقة أنهم قتلوا في شاطئ بالانجا على يد رجال الـ « كى - جى - بى » الذين كانوا في انتظار الفريق .

واعتقد كار وماكين أن عملياتهم تتعرض لخيانة ، وأشارت الدلائل إلى لانجس ، حيث أن انسحابه المفاجيء والغامض من المهمة كان بكل تأكيد مدعاة لكثير من التعجب .

وأشرفت لندن على التحقيق وحتى يمكن دفع أى شكوك أجرى الاتصال الأولى مع لانجس « المارز سكوب » .

فمئذ إطلاق سراح سكوب من السجن في السويد ، ويخدم كتاجر بحرى على متن سفن الشحن البريطانية . وبمساعدة المخابرات البريطانية استقر في كينجستون في لندن ، وبناء على طلب ماكين كتب إلى لانجس قال له : إن صديقه « فيكتور ساندرسون » ضابط المخابرات البريطانى يود السفر من لندن .

وكان لانجس مسروراً بالأخبار التي جاءت إليه وأن ضابط المخابرات البريطاني سيزوره .. ورغم أنه يحاول إتمام زواجه ظل لانجس مخلصاً بالكامل لفكرة النضال ضد ستالين وتحريير لاتفيا .

ومنذ رحيل سيفكس .. جند هو حنترز المزيد من المنفيين الذين استعدوا للعودة إلى روسيا .. وكليهما شجعه استلام خطاب شفري من سيفكس يخبرهما فيه .. عن وصوله الأمن إلى ريجا .

وعلى أية حال .. فإنهم يحتاجون إلى المساعدة من الوكالات الغربية وبدأت رسالة سكوب بأنها وعد بنجدة ضرورية .

وكانت ترتيبات سكوب للموعد ، تفترض ألا تعلم المخابرات السويدية شيئاً عن زيارة ساندرسون ولا عن الاتصالات .

وكتب سكوب « يجب أن تذهب محطة جوتبورج للسكك الحديدية وتنتظر شخصاً في الصالة الرئيسية وتحمل صحيفة « الديبل تلجراف » وأضف بعض الكلمات الشفريّة التي يستخدمها الجانبين .

كان « ساندرسون » حسن المظهر ، رقيق البنية ، أسود الشعر ومصاب بصم في إحدى أذنيه ، نتيجة الوقوف بالقرب من الانفجارات أثناء الحرب . ويتحدث الألمانية بطلاقة .

ورغم أن « ساندرسون » سعيد بلقاء لانجس إلا أنه كان متلهفاً للاستماع إلى معلومات عن سيفكس . وبدأ غير مندهش عندما عرف القناة الخاصة بلانجس مع العميل في ريجا .

وسأل « ساندرسون » هل يمكنك إرسال تلك الأسئلة إلى سيفكس وتطلب منه الاستعجال في الإجابات ؟ .

وسأل لانجس : ماذا عن العمليات الأخرى في لاتفيا ؟ .

وأجاب ساندرسون : إنه خطير جداً في تلك اللحظة .. الحديث عنها .

ورتب اجتماعين آخرين ، حيث قدم لانجس لاتفيين متلهفين أن يصبحوا عملاء في المخابرات البريطانية .

ومع نهاية سنة ١٩٤٩ ولأسباب لم يستطع لانجس أن يسبر اغوارها ، أدرك أن

ساندرسون لا ينوى تقديم فرص أخرى من العمليات السرية . واحتار ؛ لأن رغبته الجارفة كانت ستوجه ضد الشيوعيين ، وأعاد لانجس التفكير في نصيحة سيفكس في الاتصال بالأمريكان . وكتب إليه سيفكس .. إنهم حقا معادون لروسيا .

ولم يستطع لانجس أن يخمن أنه كان تحت التحقيق كعميل لكـ « كى - جى - بى » . وعن صديق في واشنطن . أجرى لانجس اتصالاً مع فرع هارى روسترك في الـ « سى - آى - ايه » في مطلع سنة ١٩٥٠ ولم يكن ضباط الـ « سى - آى - ايه » مهتمين بشكوك المخابرات البريطانية لأنه خلال عام ١٩٤٩ أحببت ميول كار للسرية محاولاً روسترك لترتيب لقاء . وكان روسترك وبالمقابل .. أبناء البلطيق متلهفين لإيجاد عملاء مناسبين لهم وبدأ لـ « كافرنا » فى « كافرنا » كان ستيف تانر يشق طريقه نحو إسقاط مجموعة من الأوكرانيين فوق جبال الكاريبي .

ورغم استبعاد كينان سنة ١٩٤٩ الحاسم للأوكرانيين من العمليات السرية لأنه رفض الاعتراف بمطالب الجماعة العرقية فى أن تكون لها قومية . وبعد عام من ذلك اختفى ذلك القيد .. لأن الرئيس حث الـ « سى - آى - ايه » لاستخدام كل فرصة .. تقرب من اختفاء القوة السوفيتية من البلدان الدائرة فى فلكه .

وكان روسترك .. يعمل على نحو فعال ومعه « شيك على بياض » وتلقى لانجس رسالة من واشنطن بموعد فى ميناء هيلسنبرج وفى اليوم المحدد .. توجه أمريكان ، الأكبر يسمى نفسه « روبرت أرمستروغ » ، والأصغر يسمى نفسه « جونى والكر » ووصلا إلى محطة السكك الحديدية فى الموعد المحدد .

وعندما شاهد لانجس لأول مرة .. اعتقد أنهما من نجوم السينما .. لأنهما وسيمان للغاية .

ويمكن أن تكتب كلمات الضابطين فى هوليوود ، حيث قالوا : إننا نريد منك العمل لحسابنا كمتخصص ، وترسل العملاء إلى روسيا . ونطلب أن نختبرك وكل شيكتك هنا فى السويد .

وأحس لانجس بالسرور لهذا الحظ الطيب . ورغم أنه طلب مهلة من الوقت لاستشارة فريقه ، ومن بين هذا الفريق .. اديفنز أوسولتز والذى كان ملفه الشخصى متميزاً فى مكتب لوكاسيفكس الخاضع للحراسة جيداً فى شارع لينى تحت اسم حركى « بايلوت »

الفصل الخامس

نسيج خيوط العنق

لم تخل التحقيقات التي تجريها وكالة الاستخبارات البريطانية في السويد من توسيع « مركز الاتصالات الخاص » في شارع رايدر .

فقبل المصير السيء الذي حل بالبعثتين المرسلتين إلى ليتوانيا ، وافق كار على أن الترتيبات في السويد أصبحت غير مرضية ، وأن التدريب في المستقبل يجب أن يتركز في لندن . حيث يمكن للمخابرات البريطانية أن تمارس سيطرة كاملة . ولكي تنسجم عملية التوسع .. يجب أن تقسم « إدارة البلطيق » إلى ثلاثة أقسام ويختص كل قسم بوحدة من الدول الثلاث .

وطلب ماكين أن يتولى لاتفيا أو استوني تجنيد عملاء من أبناء جنسه .. على غرار زايمنتس ويشرف على تدريبهم أيضا ، وصادق كار على تعيينات ماكين ، وعكس ذلك الأهواء السياسية لضباط المخابرات البريطانية . وأولئك على الجانب الآخر من المبنى ، في وزارة الخارجية البريطانية ومنذ سنة ١٩٤٧ ، وفي ظل عملية ويست ورد هو - جُندت جماعات من الرجال والنساء من أبناء البلطيق في معسكرات الاعتقال للعمل في المناجم البريطانية وكذلك في مصانع النسيج .. حيث تأثر الإنتاج نتيجة النقص في العمالة . وكان من بين الجماعات التي وصلت إلى بريطانيا سنة ١٩٤٧ مجموعة من اللاتفين .. وأثناء الفحص الطبي الروتيني لاحظ الطبيب في ميناء « هاروتش » وجود « وشم » متطابق في الشكل تحت ذراع كل فرد منهم .

ولم يكن الطبيب في شك مما تعنيه تلك العلامات السوداء . إنها علامات استخدمت لتنبه الطبيب ، بفصيلة دم المريض وتحذر أن تلك الفصيلة من أصل أرى نمقى . تستخدم في عمليات نقل الدم ، وبعد الحرب أصبح الوشم علامة لاتمحي ، وأن حاملها عضو في منظمة إجرامية .. وممنوع بوضوح من دخول بريطانيا .

وخلال الساعات الأربع والعشرين من اعتقالهم .. احتج سفير لاتفيا في بريطانيا

« شارلس زاوينس » إلى توماس بريميلو .. وذكر الدبلوماسي أن مواطنيه قد وشموا بالقوة عند اعتقالهم على يد الألمان . وخدموا كعمال لدى الألمان . وقد قبل بريميلو وموظفو الخارجية البريطانية هذا التفسير الكاذب ، ووافقوا على أن الطبيب البريطاني يجب أن يطلب منه أن يركز اهتمامه على المرض ولا يهتم بفصائل الدم ؟ وكان السماح لأولئك الضباط السابقين وثيق الصلة بسياسة وزارة الخارجية . ونزل الثمانية آلاف أوكراني تحت رقابة بريطانيا في ريميني .

وأصبحوا أعضاء في قسم جاليزيان الشهير . الذين سُمح لهم بدخول بريطانيا سنة ١٩٤٧ . وفي ظل التصنيف التقليدي كأسرى حرب ..

وأكدت الحكومة لأعضاء البرلمان الغاضب أن كل الذين وصلوا خضعوا لفحص دقيق واستبعد منهم مجرمو الحرب .

وعلى أى حال .. سمح موظفو الحكومة بعكس ذلك تماماً . وحدث التغيير في الموقف على يد أ- و- هـ- ويلكنسون ، خبير شئون اللاجئين في وزارة الخارجية . وفي غضون أربعة أيام في شهر يناير سنة ١٩٤٧ قال ويلكسون : « إنه لامفر من اعتبار أولئك الأوكرانيين كمنشقين سياسيين . ويجب أن يلقوا كل ما يستحقون ويتحولون إلى لاجئين سياسيين أبرياء » .

وحصل بيفن على موافقة اتلى شخصياً . وأن ينقل الأوكرانيين إلى بريطانيا ، رغم كل الاتهامات التي يوجهها زملاؤه بالبرلمان « وأنهم متعطشون للدماء » ، وكان وزير الخارجية متأثراً بالمشاعر القوية التي عبر عنها موظفوه في الخارجية في أن الأوكرانيين يجب ألا يستسلموا للروس ، وإنما سيكونون ذوى فائدة للمخابرات البريطانية شأنهم في ذلك شأن مواطنى البلطيق .

وبعد مرور عامين من ذلك ، وفي عام ١٩٤٩ أنجز هذا التوقع ، وكان من بين الضباط السابقين المدعويين إلى بريطانيا سنة ١٩٤٧ ، الكولونيل الفونس ريبان وهو يبلغ ٤٥ عاماً وقد أنهى الحرب الثانية كقائد للفرقة العشرين في استونيا ..

وفي إبريل سنة ١٩٤٥ كانت تلك الفرقة تحارب الروس في تشيكوسلفاكيا وهرب ريبان نحو الغرب قاصداً « المنطقة البريطانية » ومعه ألف رجل .. حتى يتجنب الموت المحقق على يد الشيوعيين .

وبعد عامين فيما بعد وصل إلى بريطانيا للعمل في طاحونة « براد فورد » وفي سنة

١٩٤٩ ، فوجيء اصديقاء ريبان لسماع انباء عن الكولونيل السابق وقد اعفى من عمله .
وتحرك الى لندن ، وبدا لهم ذلك وضعا مزدهرا يدعو للحسد .

وبعد عامين .. جنده ماكبن ليصبح ضابطا في المخابرات البريطانية مسئولاً عن
إرسال العملاء إلى استونيا .

وكان لريبان شرطان لقبول التعيين ..

الأول .. أن يعين الجنرال جوناس سودالا ، المفتش العام السابق بالجيش
الإستونى . مساعداً له .. وأن يعين ضمن فريقه ، الكابتن فياتو ، وكما شرح السبب .. أن
بارتل يعرف المواقع لكل الأعضاء السابقين من فرقته والذين يلائمون العمل كعملاء
وهو وسيط ضرورى بينهم . ووافق ماكبن .

وانتهت بذلك حاجة ماكبن إلى رجل من لاتفيا . أيضا بمساعدة من زاريتابس ،
ويفسر السفير اهتمام الحكومة البريطانية كدليل على نيتها لتحرير بلاده وهو يسمى ..
وولف ساليرجاس الضابط السابق بالقوات الجوية اللاتفية .. وهو الآن بمعسكرات
الاعتقال في بلجيكا .. كمرشح مثالى . فلقد كان ساليرجاس ذا تدريب عسكري ،
وحماسة قومية ، وعداء أعمى للشيوعية ، وهى الصفات المطلوبة للمهمة . وأوصى
ساليرجاس باثنين من الضباط السابقين بالقوات الجوية .. والمتلهفين لمواجهة
الشيوعيين ورتب ماكبن نقل الثلاثة من بلجيكا إلى بريطانيا .

وسكن زايمنتس ، ريبان ، ساليرجاس في لندن وعملوا مع ماكبن في شارع رايدر .
وتحدد للعمليات في البلطيق اسماً حركياً ، الاحراش ، واتخذت العمليات وضعا
حرفياً وثابتاً .

ومن أجل الحفاظ على الأمن ، طلب كار الا يقابله أى شخص من الثلاثة أو حتى
يعرفوا مكان وجوده .

ورغم أن ماكبن حافظ وبصدق على توزيع المسئوليات ، إلا أن سكرتيره نيجى
كوكيرتون . ، ومساعدته نورا راشوود لاحظا العلاقات غير المنسجمة بين ماكبن السهل
وکار الصارم وقد عكست نفسها في أوقات العمل ..

وكانت مشكلات تلك العلاقات واضحة للثلاثة رجال من أبناء البلطيق . ولكن
تجاهلوا بالكامل سياسات المخابرات البريطانية ذات السمعة النافذه ، وانشغلوا في
البحث عن عملاء لإرسالهم إلى الخارج . وكان ضابطا المخابرات البريطانية في نفس

الوقت يخططان لطريق تسلل جديد ..

وكان النجاح الظاهر لسيفكس وبيرجمانز وبقائهم أحراراً أقنع كار وماكين أن ينزل العملاء في المستقبل في لاتفيا بدلاً من ليتوانيا .

وكان أول العملاء الذين وقع عليهم الاختيار لعملية (الأحرار ١) هم : فاتبولدز بيركس ، واندريه جالدنز الذين وصلا مع ساليرجاس .

وكان بيركس يبلغ من العمر ٢١ عاماً والابن الأكبر لدبلوماسى لاتفى . وخدم مع ساليرجاس في القوات الجوية قبل تجنيده لجهاز المخابرات في ريجا ، وتولى مسئولية الاستخبارات السياسية . وفي عام ١٩٤٤ هرب من لاتفيا مع وحدة مخابرات واعتقل في بلجيكا مع ساليرجاس ، وكان اسمه الحركى في المخابرات البريطانية « كارنجا » .

أما أندريه جالدنز يبلغ من العمر ٢٢ عاماً وابن لأسرة فلاحية وقضى الحرب كعضو نشاط في قوات الكوماندو وكان اسمه الحركى في المخابرات البريطانية « ميونيز » .

وأعد برنامج تدريب العملاء المنفيين ، وكان الفارق العمل هو أن مدرب العملاء سيكون في لندن لتجنب جذب أى اهتمام لامبر له . وكانت المدرسة ، في منزل من الطراز الفيكتورى مكوناً من ٤ طوابق في ١١١ شارع « أولد تشارش » واستؤجر هذا المنزل من ضابط إنجليزى مقيم بالخارج . وتولى الزوجان .. إيدى ومافيس فلاورز إعداد الطعام وتقديم الخدمات المنزلية ، وكان أول من وصل هو بيركس وجاليدنز في شهر مايو .. وأعطيا خمسة جنيهات كمصروفات جيب أسبوعياً .

وصدرت لهما بطاقات شخصية جديدة بأسماء كاذبة . وفي قاعدة جورج كولر تعلمنا استخدام شفرة موريس والإرسال باللاسلكى . وتعلم الرجلان اللاتفيان كيفية إرسال واستقبال الرسائل . وكيف يشفران ويحلان الشفرة في آن واحد .. وكيف تنتقل الرسائل في تواريخ محددة بدقة وطبقاً لجدول شفرى .. والحفاظ على اللاسلكى ..

وفي الطابق الثانى .. كان جون كروفتون باسم مستعار هو « جون الصغير » المشرف على تعليم العملاء « حرفة الذكاء » وتعلم المتدربون .. وسائل الرصد وتجنب الرصد والمراقبة .. وتدبير الاجتماعات دون مراقبة . والتحقق من أن المنزل آمن وكيف تجهز الكيماويات المستخدمة في الكتابة السرية . وأعطيت عناية خاصة بالأمن ، وكيف

لا يجب أن تكتشف هواياتهم ولا خلفياتهم حتى بالنسبة لجماعات الأنصار . الذين يلتقون بهم .. كيف يتلاءمون مع المواقف المحرجة والحساسة ، وماذا يقولون في حالة الوقوع في الأسر .

وأين يصيغون الكلمة الشفوية الحاسمة في الرسائل بشفرة موريس والتي تكشف أن المرسل واقع تحت سيطرة العدو .

وأثناء التدريب أصبح « ضباط الحالة » وعملاؤهم أخوة في السلاح يشتركان على قدم المساواة في زهوة النصر وفي المعاناة .

وذكر المتدربون أن جهاز الـ « كى - جى - بى » كفاء ومخيف . « ويقطعون الأنوف .. واستمع جالندز وهو يفمغم ، يجب أن يزود العملاء بحبوب السيانيد لاستخدامها عند الضرورة » . وحصل المتدربون على دروس عملية في الميدان ، واستخدام الأسلحة الصغيرة والبنادق .. بينما الاستعداد للحياة كعملاء في الريف الروسى حدث خارج العاصمة .

وتولى الضباط في قلعة « مونكتون » في الساحل الجنوبي .. تدريب الرجلين اللاتفيين القتال بدون سلاح ، والحياة في البرية ، والسباحة ليلاً في ميناء « بورتسموث » والاقتراب الصامت من الشاطئ انتظاراً للقوارب البخارية .

وتلا تلك التدريبات رحلات إلى دارتمور ، سنودنيا ومرتفعات سكتلاندا لممارسة مهارتهم الجديدة .. وتحت إشراف كروففتون ، وتوجه الرجلان إلى المناطق البرية الموحشة البريطانية وإلى قرى « الضواحي » للبقاء بعيداً عن رؤية المدربين .. ويتركون الرسائل في أماكن متفق عليها ويبعثون بالرسائل الشفوية .

وفي أثناء عودتهم إلى لندن في نهاية سبتمبر ، تأكد ماكن أن كليهما جاهز للمهمة . وشرح كرفتون ، وساليرجاس يترجم أن المخابرات البريطانية تريد معلومات عن مواقع الجيش الأحمر . وعن الطرق وعن الموانئ ، وظروف الحياة . والأهم من ذلك كله الحصول على أدلة تطور روسيا في الطاقة الذرية والصواريخ . والتأكد من اختبارات التفجير السوفيتي للقنبلة الذرية في سبتمبر والتي جاءت من بعدها تقارير تفيد أن السوفيت أجروا اختبارات على الصواريخ في البلطيق (وثبت أن ذلك أمر كاذب فيما بعد) .

وكان كار .. ان تلك المهمة الاولى .. بمثابة اختبار يكشف قوة حركة المقاومة ، وتأكيداً للثقة .. طلب كار من ماكبن أن يعيد التأكد من العميلين حول أهمية إبداء الحذر في اتصالاتهم ، يجب الا يضعوا الثقة في أى شخص حتى يتأكدوا معاً أن الانصار غير مُخترقين من الـ « كى - جى - بى » وعليهم أن يعتبروا نفسيهما ضباط لاسلكى وليسا مقاتلين من أجل الحرية .

وكان رأى ساليرجاس في عرض المهمة والذي أعلنه للعميلين أنها مختلفة تماماً . فأثناء أمسيات كثيرة قضى وقته يلعب « القمار » ويشرب « السكوتش » مع زملائه في شارع أولد تشارش .

وتحدث ساليرجاس عن فرصة تحرير الأمة من الشيوعية بتوجيه ضربة قاضية إلى أعدائهم وإسقاط حكم ستالين ، وقال ساليرجاس في أكثر من مناسبة : « إن الشيوعيين وحشيون ويجب أن نعاملهم بالمثل » .

وعشية الرحيل .. إلى هامبورج .. رتب ساليرجاس لقاءً عاطفياً مع السفير « زارنيس » ومنح فخامته البركة للرجلين من طلائع مستقبل امتنا .. وحثهم على الاعتقاد بأن بريطانيا وأمريكا ستحارب قريباً روسيا وستحرر بلادهم .

وإذا أنكر بعض ضباط المخابرات البريطانية أى معرفة ، فيما بعد بتلك النصائح .. فإن ماكبن بلاشك ، وربما كار كانا على عهدهم بتصريحات ساليرجاس غير الرسمية إلى العميلين وشاركوهما نفس المشاعر .

ونادراً ما تتجاوز سياسة الواقع ، تلك الفانتازيا .. وأظهر ماكبن « القوة المحركة » ثقة عالية بنجاح العملية ، وفي الأيام السابقة على رحيل العملاء .. أعادوا فحص معداتهم . وتقرر .. أن يحمل كل فرد منهم حقيبة بنية اللون .. واحدة من الحقائب تحتوى على جهاز اللاسلكى ، والحقائب الباقية بها بندقيتين نصف آلية ومسدسين ماركة « والتر » وذخائر .

وفي حقائب بلاستيكية ضد الماء ، ٢٠٠٠ روبل وجوازات سفر مزورة وفي أجزاء محكمة من الأحزمة ، يوجد عملات ذهبية ومجوهرات . واصطحب « جون الصغير » الرجلين ، وعبر شاحنة توجهوا ومعداتهم إلى فرفورد للطيران إلى بوكسبورج في ألمانيا الغربية .

أما المسافر الثالث ، وهو ليتوانى .. لحق بالرحلة في فوفورد إلى روسيا .

والتقى العملاء الثلاثة ، ومسئولهم البريطاني في بوكبورج مع ضابط اتصال
المخابرات البريطاني الشاب « أنتوني كافيندش » وفي الأيام السابقة على وصولهم ،
انتقل كافيندش إلى فيلا واسعة في هامبورج ، في ضاحية على الطراز القديم .

وفور ، أن فحص فريق المخابرات البريطانية المسئول المنزل ، وجهزوا العقار
للضيافة . حتى تحولت « السندرة » إلى مركز للاتصالات على يد خبراء المخابرات
البريطانية .. وكانت مهمة كافيندش رعاية العملاء الثلاثة حتى يصل الخبر من كلاوس
بأن ظروف الإبحار ملائمة . وكان تلقى تلك الأنباء من مسئولية ضابط الاتصال
البحري « أنتوني كورتى » واحتاج العملاء الثلاثة إلى الترفيه ودون المخاطرة بالأمن
ودون السماح لهم بفرصة إطالة الفكر في خطورة مهمتهم .

وكان الحل الذى قدمه كافيندش . هو التدريبات الرياضية ويعقبها ممارسة بعض
الألعاب .

وفي الأمسية الأخيرة ! وهو ما أصبح تقليداً .. دعى كافيندش العملاء الثلاثة وجون
الصغير إلى عرض جنسى ، في منطقة ريبهام ذات الأضواء الحمراء .

وبعد شراب مفرط للبراندى .. غادر كافيندش . ووافق على أن يعود الرجال الباقيون
إلى الفيلا ، كل « بطريقته » .. وفي الساعات الأولى من الصباح ، نهض كافيندش على
أصوات طرق على الباب وكان بيركس جالدنز ، قد عاد فقط .. أما جون الصغير
والليتوانى فقد تورطاً في مشاجرات في البار وألقى القبض عليهما . وقضى كافيندش
بقية الليل مؤمناً إطلاق سراحهم وعمل في اليوم التالي على إقناع نفسه أن المهمة لم
تنكشف .. رغم حماقتهم في ظل الإفراط في الشراب وانتظرت المجموعة في مناخ قاسى
حتى أكد كورتنى أن الزورق (س ٢٠٨) جاهز للرحيل .

وفي الرابعة صباحاً ، من يوم ٢١ أكتوبر ، صعد بيركس ، جالدنز على ظهر
مركب « حماية المصايد » في كيل وتوجه إلى أسفل السطح .. وكان كلاوس فقط هو الذى
يعرف أين ينزل العميلان في لاتفيا . وفور استلام رسالة قصيرة من هامبورج تأمر
بالمسير ، أبحر قاصداً شاطئاً منعزلاً في غرب فينتسلبز .. وعندما هبط بيركس وجالدنز
على الشاطئ لم تكن الـ « كى - جى - بى » تعرف شيئاً عن وصولهم ..

وبناء على توجيهات ساليرجاس .. دفن العميلان الحقيقيين في الغابة ، بعيداً عن
الشاطئ ، وقصدوا طريقهم ليلاً إلى منزل الأب فاليدس أمولس . ذلك الراعى الذى

بعده تيطرس من أكثر الناس مدعاة للثقة من بين من يتصل بهم .
وكان ساليرجاس وماكبن .. مقتنعين بجدارة الأب فاليدس بالثقة ، ولكن ثقتهما لم
تكن في محلها ..

حيث وقع القس في الشرك الذى أعده له سيفكس دون أن يدري منذ عام مضى ..
وسقط في عش الـ « كى - جى - بى » ..

وعندما بادره بيركس بكلمة السر « هل يمكن أن أشتري شيئاً من البيرة هنا؟ »
أشار القس على الفور للعميلين بناحية الباب . وقال بيركس « نريد أن نتصل
بالأنصار » وكان أمولس يعرف عن اتصال أعده سيفكس مع أوجستس بيرجمانس في
ريجا .

وفي اليوم التالى . وبعد نصيحة العميلين عن أفضل الطرق لسلوكها . قرر أمولس
أن ينبه سيفكس لوصولهم . وهكذا انفك أمانهم قبل وصولهم إلى ريجا .. ذلك الأمان
الذى تدربوا عليه جيداً في لندن .

وفوجيء أوجستس بيرجمانس بطرقات غير المتوقعة على الباب في شقة بالطابق
الخامس في ٥ نوفمبر سنة ١٩٤٩ .

وكانت دهشته .. أكبر ، عندما شرح له الزائران أنهما قادمان توا من السويد .
وأنهما أسقطا من مركب سريع منذ خمسة أيام مضت وأنهما جاءا للاتصال بالأنصار
في الغابات ويبدآن في إنشاء شبكة مخابرات جديدة .

وقدم بيرجمانس لضيوفه بعضاً من الفودكا ودعاهما للبقاء في شقته حتى يؤمن
لهما الإقامة بمنزل آمن .

وفي اليوم التالى ، وفي أثناء تقديم الطعام الفاخر ، غادر بيرجمانس الشقة واتصل
مع لوكاسيفكس وقال له : « إنهما يعيشان في راحة ويشعران بالأمان في المنزل ويمكن
أن يظلا لبعض الوقت . ولكن لا يستطيع شخصياً أن يحافظ على الأمان لوقت طويل ..

ولاحظ العاملون في الإدارة الثانية للـ « كى - جى - بى » أن القائد تتلألا عيناه في
ذلك اليوم على نحو غير عادى .. وفي الاجتماع الذى ترأسه الجنرال فيفرس في شارع
لينين . تقرر أن يجهز منزل آمن ليقيم فيه العميلان اللاتفيان ويمكن مراقبتهما
بسهولة .

وكان ذلك شاغلاً لعدة أيام قبل أن يعود لوكاسيفكس ليشكو إليه أن العميلين غير مرتاحين .

وقال .. مسئول الـ « كى - جى - بى » إلى فيفرس : إن مشكلتنا ماذا سنفعل مع العميل الخاضعين للمخابرات البريطانية والمتلفين لبدء العمل ..

وطلب لوكاسيفكس التجهيز لعملية خادعة ، ولكن ذلك يتطلب وقتاً ، وقد طلب بيرجمانس ، ومن بعده سيفكس ، الذى تعرف على العميل مؤخراً .. من لوكاسيفكس أن يفعلوا شيئاً مافوراً مع هذين العميلين .

وشرح بيركس .. أن هذين الرجلين .. هما أول موجة من العملاء على وشك الوصول من بريطانيا وحتى من أمريكا .. ويصر كليهما على أن يذهبا للقاء بعض قادة الأنصار . وواجه فيفرس مشكلة وتحدياً .. وكان عليه استرجاع تعاليم درجنتسكى . ويعد لعملية مزدوجة ومتقنة وتتطلب تنظيماً محكماً وتزامناً فى التوقيت محكم من قبل الأنصار .

وإذا وقع بيركس والمخابرات البريطانية فى الفخ بوضوح ، فإن الـ « كى - جى - بى » .. عليها أن تشكل مجموعة من الأنصار .. تكون أنشطتهم وشخصياتهم مقنعة بالكامل لبيركس وجالدنز ويعتمد النجاح على اختيار العملاء القادرين على الحياة جسمانياً فى الغابات الموحشة ويتحملون الخداع .

وتتطلب العملية تمويلاً ضخماً ولكن فرصة النفاذ إلى قلب المخابرات البريطانية يجب ألا تمر .

وبعد مشاورات تفصيلية مع كرجلوف فى مسكو .. والذى قيل فيما بعد أنه عرض تقريراً بالموضوع على ستالين ، وافق على العملية « الخداعية » ، التى أخذت اسماً حركياً وهو عملية « لارسن س » ، وأشرف على تلك العملية لوكاسيفكس والميجور ألبرت بوندوليس .

وكان بوندوليس قوى البنية ، شيوعياً ثورياً التحق بالـ « كى - جى - بى » أثناء الحرب ، بالمقارنة مع لوكاسيفكس الذى كان ضابط أمن عملي ، وأيضاً محباً للنساء وللحياة الطيبة ولم يكن كاسيفكس مخططاً استراتيجياً .

وقرر فيفرس أن يتولى كاسيفكس توجيه العملية من الإدارة بينما يصبح بوندوليس قائداً لمجموعة الأنصار « الوهمية » وتعيش فى غابات كورزيم ، وتحت اسم

حركى « ماكسس » وبسرعة ملحوظة ، اختار كاسيفكس وبوندوليس ستة من ضباط الـ « كى - جى - بى » ذوى الخبرة فى حرب الأنصار فى الغابات ، ليصبحوا أعضاء فى مجموعة « ماكسس » .

وخلال شهور الشتاء المتبقية ، اخترع الضابطان المشرفان على العملية مع كل فرد من « الأنصار » قصة مقنعة عن حياة كل . خاصة عن نشاطات كل فرد بعد الحرب . وتجنبوا أدنى إشارة طفيفة تنم عن التناقض .

وفى بداية فبراير .. وبينما بيركس وجالدنز يتلقون تأكيدات مستمرة أن الصعوبات فى إقامة اتصال مع الأنصار على وشك التغلب عليها تقريباً .

وتوجه كل فرد .. من الأنصار .. فى ظل حراسة إلى غرفة لإحدى اللجان فى قيادة الـ « كى - جى - بى » . حتى يختبرهم بقوة فيفرس ، لوكاسيفكس وبوندوليس وسافر « كرجلوف » خصيصاً من موسكو حتى تيراس الجلسات وفور أن ذابت الثلوج الكثيفة .. توجه المهندسون إلى توكوم فى غابات كورزيم .. وكان الموقع الذى وقع عليه الاختيار .. هو خط المواجهة الأخير بين فيرماتش والجيش الأحمر . وحفروا على الطبيعة خنادق عميقة وتحيط بها المستنقعات ويمكن لمجموعة .. ماكسس .. أن تزعم وعلى نحو يدعو للإقناع أنهم قضوا السنوات الأخيرة .. مختبئين عن الشيوعيين .

وفى نفس الوقت ، تولى سيفكس إقناع بيركس ، المقيم فى منزل لرجل أرمل فى ريجا ، أنه اتصل بقائد مجموعة ماكسس وأنه لمن الخطر تماماً ، على قائد الأنصار أن يغادر الغابة حتى تذوب الثلوج لأن قوات الأمن ستلاحظ وبسرعة آثار الأقدام . وتأكيداً للمخاطر .. فإن المفتشين فى كل مكان وكان ذلك أسلوب سيفكس المفضل للإخضاع والسيطرة على عميل المخابرات البريطانية القلقين باللعب على مخاوف وأعصاب العملاء وسيصبح ذلك أداة الـ « كى - جى - بى » فى التحكم فى أولئك القادمين لتحرير بلادهم .

ووافق بيركس ، مرغماً ، على أن ينتظر حتى الربيع ، وأرضى نفسه بطلب المعلومات الصناعية والعسكرية ، والتي يمكن أن يمررها إلى لندن إما بالرسائل المعتادة والتي ترسل باللاسلكى وفى خطابات ترسل إلى بلجيكا وفرنسا والسويد .

ومن المثير لأى شخص ، أن يضطر بيركس إلى كتابة اسمه المرسل على المظروف ، طبقاً للقوانين السوفيتية ، واستخدم أسماء من التي تظهر فى إعلانات الطلاق فى الصحف اليومية . وأرسل إلى لندن مستخدماً اسماً حركياً هو ... ولف ... وقال : إنه

يواجه بعض المشاكل . إلا أنه يثق فيمن اتصل بهم ، وكانت شكواه الأساسية تنصب على أوراق هويته ، وأنها بدائية جداً ..

وفي الثاني من مايو .. انتهى انتظار بيركس .. حيث وافق قائد مجموعة «ماكسس» على موعد لقاء في حديقة عامة . وقد أخبره سيفكس بذلك ..

واتخذت إجراءات دقيقة حتى يمكن مراقبة بيركس . وارتدى بيركس معطفاً أزرق ولم يرتد قبعة ، وانتظر بين الأشجار حتى الموعد المحدد .

وفي الموعد .. اقترب بوندوليس من بيركس ، وتبادلا كلمات السر وبعد نقاش قصير ، وافق بوندوليس على تقديم عميل المخابرات البريطانية إلى فرقة الانصار يقودها « جارييس » .

ويحتاج انتقالهما إلى الغابات سرية قصوى .. وقال له بوندوليس : سيلتقطك أحد أعضاء الفرقة في شاحنة بالقرب من شارع جوركي . وستكون المقطورة مملوءة بصناديق السمك الفارغة .. وسيختبئ كلاكما في داخل الصناديق طوال الرحلة .

وبعد ظهر يوم ٢١ مايو ، وبعد ساعتين تقريباً من السير على الأقدام . توقف بيركس ، وجالز في وسط الغابة . وتحت الأشجار الكثيفة اختبئ أربعة من الانصار ومن بينهم .. أرفيتس جاليتس « جارييس » والذي خدم ضمن الفيلق اللاتفي ضد الروس أثناء الحرب .

وقد قضى الأربعة ثلاثة أسابيع في الغابة حتى يتأقلموا مع البيئة . وعند إشارة من جاليتس ظهر أربعة من رجال مسلحون ، كانوا مختبئين وحيوا القادمين الجدد الذين عبروا على الفور عن امتنانهم للأنصار عن السرية المتقنة .

وكانت استراتيجية لوكاسيفكس تعتمد على الصبر .. وأخذ .. الأنصار .. بيركس ، وجالدينز عبر ثلاثة مستنقعات حتى وصلوا إلى المعسكر في المخايء ، حيث سيتمكنون أطول مدة لازمة لإقناعهم بإخلاء الأنصار .

ويتطلب ذلك بعض الوقت .. حيث يباشر كل من الطرفين تقييماً نقدياً لمن يعاشرهم .

وكانت العملية أكثر صعوبة على نحو واضح بالنسبة للمضيفين والذين يخشون أية زلة واحدة يمكن أن تكشف المؤامرة .

وعلى الجانب الآخر ، عرض بيركس برهانا بسيطاً .. وقال : لها إعطوني اسم أغنية شعبية تفضلونها وتقدمها لكم إذاعة الـ « بي - بي - س » الدولية وإلى من تهدونها .. ويكون لكم ذلك .. ودهش .. عندما ازدري الحاضرون العرض وقال له جاليتس : نحن نعرف من أنت وثق بك ، وحكم عملاء الـ « كي - جي - بي » من جانبهم على بيركس أنه شخص ذكي وقوى ذو فكر واهتم بالأساس أن يبدأ بجمع الموجودين حوله .. وأظهر ثقته .. وذكر لكل فرد من الأنصار بالتفصيل عن خلفيته وليس من عاداته الارتباك عن أى سؤال مفاجيء حول نقطة محددة .. وقد تعرض لسؤال بعد شهرين عندما حكى عن موضوع معين .. وقيل له مع من سرقت هذا البنك . وفوق كل ذلك كان بيركس يستمتع بلعب الشطرنج وأداء لعبة الورق .. والتي علمها لكل المجموعة .

أما جالدنز فكان أكثر قلقاً ومتوتر الأعصاب ، ويمارس روتيناً يومياً مملأً ينظف الأسلحة . ويأكل وينام .. وأحياناً يعوق نموه الإرسال باللاسلكى . ويصبح عصبياً بسهولة .. وقال عنه جاليتس « وعلى وجه خاص .. جالدنز .. دائماً شكاك » ، وذلك في تقرير بعث به إلى مسئوليه في ريجا .

وينفعل جالدنز تجاه أية ضوضاء تنبعث من شجرة تحترق في الغابة . خشية أن تكون جاسوساً من الـ كي - جي - بي .

وكثيراً ما حذر جالدنز المجموعة بأن المفتشين الروس مهرة جداً .. وعليهم ألا يتركوا أية آثار لهم بعناية ، وأن تكون هناك حراسة دائمة .. ويوفى كل فرد من الموجودين لمواقفه .. ويؤكد جاليتس أنه من الأفضل ألا يفادر الغابة ويعتمد على الأنصار في جمع الاستخبارات والحصول على الطعام ..

ووافق جالدنز .. ولكن آثار سخطه على هذا الوضع لفقدان الحركة مجادلات بينه وبين بيركس الذى يهتم أكثر بإرسال الاستخبارات إلى لندن وتدريب مشغل لللاسلكى جديد ..

واختار بيركس واحداً من بين الأنصار هو .. كازيماس كيبورس « كمتدرب مثالي » فهو يبلغ من العمر ٢٤ عاماً وقد فسر بيركس دوافعه لعداء الشيوعية وقال « قبل الحرب كان والدى نائباً لرئيس البوليس وحكم عليه بالسجن لعشرين عاماً من قبل الـ « كي - جي - بي » ومنذ أن أرسلت والدى وأختى إلى سيبيريا في حملات التهجير الجماعى في العام الماضى ، هربت إلى الغابة .

وخلال ثلاثة شهور .. علم بيركس « كيبور » تكنيكات « الشفرة ونقلها ، وبفضل ذلك وفي نهاية الفترة أصبحت سرعة التلميذ تصل إلى ستين رمزاً في الدقيقة .

ولم يكن بيركس يدرى ان كيبورس يتقن معدل ١٢٠ رمزاً في الدقيقة بفضل تعليمه في مدرسة الـ « كى - جى - بى » في موسكو أثناء الحرب . وفي أكتوبر سنة ١٩٥٠ بعث بيركس بإشارة إلى « جابرييل » وهو الاسم الحركى لسيالديجاس في المراسلات الشفرية ليقدّم له مشغل اللاسلكى الجديد .. وبعد سلسلة من الاختبارات ، وصلت موافقة من لندن وتقول « إن مشغل اللاسلكى يبشر بأفاق طيبة » ، مع عرض أن يصبح كيبورس عميلاً كاملاً للمخابرات البريطانية بمرتب عشرين جنيهاً استرلينياً في الشهر . وكان المرتب المعتاد ، وسيودع المبلغ بانتظام في حساب بأحد بنوك لندن وحددت المخابرات البريطانية اسماً حركياً لكيبورس هو « ليوقا » أو بالأسد ، ودعى بيركس للاحتفال بتلك المناسبة على زجاجة فودكا . وعندما أتى الكحول بمفعوله .. وضع بيركس يده على ظهر صديقه واعترف له بأنه خلال الأسابيع الأولى شك في أن الانصار هم ضباط الـ « كى - جى - بى » وضحك كلاهما .. وشرباً نخباً آخر .

ولم تكن برودوى متأثرة بالنتائج التى حققتها المجموعة .. واشتكى المحللون البريطانيون من أن المعلومات هزلية وتتضمن معلومات عن أنواع الطائرات ، والظروف الاقتصادية ومعدلات الإنتاج في المصانع الاستراتيجية وصوراً لشخصيات من الحكومة وموظفى الحزب وأماكن معروفة لانتشار القوات في المنطقة ، وكشف الخبراء في لندن أن تلك المعلومات ربما تكون غير دقيقة .. بالرغم من أن تلك المادة التى أرسلت من لاتفيا .. ضمنت ملخص الاستخبارات البريطانية الذى يعرض بانتظام على رئيس الوزراء ووزارة الخارجية .

وكان فيفرس أيضاً مهتماً .. بفقر نوعية الاستخبارات التى سلمها لبوندليس ، ولكن عموماً كان هناك قيماً في موسكو للإفراج عن تلك المعلومات وحتى لمجرد الحفاظ على عملية هامة ومسموح فقط بتغذية لندن بالمعلومات المنشورة في الصحف لأنه حتى المعلومات الخاطئة « السرية » ستثير شكوكاً وخيبة أمل . وكان طموح ماكبن وساليرجاس يعتمد على بيركس وإرساله استخبارات أفضل حتى يوسع من العمليات . وقوبل طلب بيركس من الأنصار لمزيد من الاستخبارات بالرفض القاطع وقال له جاليتس وبوندليس : « إننا نريد مساعدة من الغرب .. وليس العكس من ذلك .. » .

وكانا في ذلك يعكسان تعليمات تلقوها من لوكاسيفكس عبر عميل لك « كى - جى - بي » وله منزل يقع على بعد أربعة كيلو مترات من المعسكر وكان يُرى غالباً وهو يتجول في الغابة .

وأجاب بيركس « المساعدة تعطى لمن يساعدون أنفسهم »

وكان الصراع من أجل البقاء في الغابة .. حصنه تدريجياً ضد الواقع .. ولكن تغير ذلك على نحو حاد عندما وصلته صحيفة في يناير سنة ١٩٥٠ أعطاهما له جاليتس وجاء فيها أن الحرب قد اندلعت في كوريا وقد شرح جاليتس الأمر بقوله .. تلك هي الحرب العالمية التي توقعها الجميع وستنتهي بهزيمة الشيوعية « وسترسل المخابرات البريطانية المزيد من المساعدات » .

وبينما كان بيركس وجالدينز في الغابة .. كان الرجل المسئول عنهما وعن مصيرهما « هارى كار » يعبر الاطلنطى على متن أفخر السفن « كوين مارى » وكانت تلك أولى رحلات كار إلى الولايات المتحدة ، وكان مينزيس ، قرر أن تنسق المخابرات البريطانية على نحو أوسع في شأن عملياتها السوفيتية مع المخابرات الأمريكية الـ « سى - اى - ايه » . وخاصة منذ التعاون الوثيق في البانيا والذي أثبت فائدته الكبرى .

وفي ١٤ أبريل سنة ١٩٥٠ أصدر مجلس الأمن القومى توجيهها جديداً (رقم ٦٨) والذي أمر فيه المخابرات الأمريكية بشن هجوم مضاد ، غير عسكري ضد الاتحاد السوفيتى وبتشجيع القلاقل والتمردات . ومرة أخرى .. تأثر ضباط المخابرات الأمريكية بالنص الحرقى للتوجيه وبالأحداث وكذلك بالحرب في كوريا .. وفي ذلك الظرف الطارئ تطلعت الوكالة إلى المخابرات البريطانية كحليف مخلص ومؤهل .

وكان كار يمثل عند المخابرات الأمريكية نموذج وتقاليد وكفاءة الوكالة « البريطانية » .

وكان من بين أوائل المرشحين بكار في واشنطن ، مسئول المخابرات البريطانى المقيم في واشنطن كيم فيلبى . وكان الاثنان قد أصبحا صديقين بين عامى ١٩٤٥ ، ١٩٤٧ ، عندما كان كار يبني شبكة العمليات الشمالية . وكان فيلبى مسئولاً عن القسم التاسع . وفي خلال العامين الذى خدم فيهما فيلبى في تركيا لم تتقاطع طريق الرجلين ، حتى ترقية الجاسوس ووصوله إلى واشنطن في أكتوبر سنة ١٩٤٩ .. وكان فيلبى يحس بخيبة أمل تجاه كار .. لان ولع كار بالسرية قد حد من كمية المعلومات التى حصل

عليها جاسوس الـ « كى - جى - بى » من لندن .

وفور وصول كار إلى واشنطن .. اصطحبه فيلبى إلى « التيمبو » في شارع « بى » حيث مقر الـ « سى - آى - إيه » وقدم الزائر رسمياً إلى هارى روستزك رئيس القسم السوفيتى في الوكالة الأمريكية ..

وضعت طبيعة الرجل الانجليزي المتحفظ إلى حدما عندما أدرك أن العضو المقابل له .. محب للانجليز بسخاء ، ومخلص أيضاً في محاربة الشيوعية .. ونوى وانتوى كار ان يناقش ولكن في خطوط عريضة عمليات في بولندا ، وأوكرانيا ، ودول البلطيق ..

وكلا الجهازين .. الأمريكى والبريطانى قد أسقط بالمظلات فريقاً له في اوكرانيا سنة ١٩٤٩ ولكن اختفى العملاء وافترض أنهما وقعا في الأسر . وخطت الوكالة الأمريكية سنة ١٩٥٠ لسته عمليات إنزال وأملت الوكالة البريطانية إرسال أكثر من فريقين على الأقل ، ولم تتركز الحاجة للتعاون على أى المجموعات هى التى تتلقى المساعدة الغربية ولكن أيضاً على مواعيد المهمات والمناطق المستهدفة للإنزال . وتبادل كار وروستزك المعلومات السرية والفنية وكان هدفهما تجنب أى خلافات خطيرة .

وبناء على طلبهما .. دون فيلبى ملاحظات للرجوع إليها مستقبلاً . وعندما استدعى فيلبى .. كانت المناقشات السائدة حول المناوشات التى يقوم بها القومى والاوكرانى « ستيفان بونديرا » .

وقد بدأت علاقة انجلترا مع بونديرا في الثلاثينات عندما كان رئيس المنظمة القومية الثورية الاوكرانية .. واتصل به ضابط بالمخابرات البريطانية ومعه عرض محدد بوضع شبكته من « المخبين » داخل الاتحاد السوفيتى تحت تصرف بريطانيا ، وقبل بونديرا العرض ولم تتلق منظمته مساعدات مالية فقط ، بل مساندة من انجلترا .. وجرت محاولات بث عملاء المنظمة القومية الثورية الاوكرانية من فنلندا وعبر الحدود إلى الاتحاد السوفيتى .

وكان ضابط المخابرات المسئول عن تلك العمليات هو كار والذى أصبح وظل على علاقة مع بونديرا القومى المعادى بحماس للشيوعية .

وفي سنة ١٩٤٥ لم يعثر كار عن معلومات عن نشاطات بونديرا في حالة الحرب ، وكان غرضه الوحيد الذى سيطر على عقله هو مواصلة النضال ضد الشيوعية .

وفي سنة ١٩٥١ .. كان بعيداً عن الاحتمال أن يكون كار على علم بأن جماعة بونديرا قد ارتكبت فظائع أثناء المواجهة مع النازي ، أو يكون .. طبقاً لمساعديه .. متعاطفاً مع إجراء أية تحقيقات عن ماضي بونديرا وكان اهتمامه الجارف هو الحملة الراهنة ضد ستالين .

واعترف روستزك لأن اجتماع واشنطن مع كار بأنه « كان مهتاجاً ويفكر بما في باطنى » وعلى أية حال فإن قلقه تلك المرة قد نحى جانباً وكان كار يثق في الأوكرانيين أيضاً بوضوح كما كان يفعل ماكين مع أبناء البلطيق . وبدا أن المنفيين عناصر لها قيمتها .

ولم يكن أحد مستعداً للتفكير أن أولئك عناصر ضائعة .. فالكل مشبع بالتفاؤل بزرع العملاء في قلب أذكوبة ستالين ..

وأبلغ كار روستزك أن بريطانيا نشطة في منطقة البلطيق وتنوى زيادة نشاطها .. ولكنه ليس في حلٍ .. لذكر التفاصيل لأن الأمريكان لم يكن لهم عناصر في المنطقة ولا حاجة للتنسيق ..

وأعلن روستزك .. ننوى إرسال العملاء إلى ليتوانيا وأيضاً دون ذكر للتفاصيل .. وهل يمكننا تبادل الرأي على مستوى « المكتب » ووافق كار على قدوم قائد العمليات السوفيتية في ميونيخ جورج سيلك إلى لندن للتشاور مع ماكين .

وكان هناك قليل من التطبيع بين روستزك وكار ، قبل أن يعود ضابط المخابرات البريطانية إلى بريطانيا مسروراً برحلته وعند عودته .. عرض على أسرته « قائمة الطعام في السفينة كوين مارى » وتعجب كل فرد ، عندما قارن تلك القائمة بذلك التقشف الصارم في حياتهم اليومية ، وأن هناك تلك الوفرة من الطعام على متن السفينة البريطانية .

طار جورج بيلك إلى لندن من ميونيخ بعد ذلك بفترة قصيرة ، للقاء ماكين وتبادل الخبرة في أوروبا ، وكان هناك تخميناً بأن ستالين سيغامر أثناء انشغال أمريكا في كوريا ويشن هجوماً مفاجئاً في الغرب .. وكان بيلك يشعر بضغط من واشنطن لبحث العملاء في روسيا ويحتاج إلى إعادة تأكيد على خطته . وكان يحترم وبلا أدنى خجل سمعة المخابرات البريطانية وإن أخفى ماكين صراحة شعوره بأنه يمثل جهاز المخابرات الأكثر تفوقاً ، وكان الضابط البريطاني مضيفاً حميماً ودعاه الأمريكى إلى ناديه للغداء وإلى منزله للعشاء . ودهش بيلك عندما شاهد جهاز التليفزيون الدقيق في

غرفة معيشة ماكين . وإن كان يثق على نحو خاص بأن تلك الطوائف لا تمتد إلى إدارة المخابرات البريطانية ، ثم طرق موضوعاً عن بعض التطورات الحديثة في ليتوانيا .

وقال الأمريكي : أدرك أن المخابرات الأمريكية تدير تقريباً كل العمليات في البلطيق مع بعض مشاركة سويدية .. وبالطبع هناك المكتب الثانى (المخابرات الفرنسية) والتي احتكرت مجموعة VLIK الليتوانية ولكن هذا تغير ، فلقد انتهت تلك المجموعة إلينا وهناك بعض الحزن .

استمع ماكين إلى بيلك وهو يتناول قصة حساسة والتي أثارها حديثاً زامينس .

وفي يناير زار ميسنجور كروفيكس ، قائد جماعة VLIK واشنطن حيث وعده كبار موظفى الخارجية الأمريكية والبيت الأبيض لأول مرة بالدعم السياسى والمساعدة المادية للعمليات السرية . وقبل عودته إلى أوروبا التقى كروفيكس مع فيافدا وهو ضابط مسئول بالـ « سى - اى - ايه » ، وأكد له أن الوكالة ستزود الجماعة VLIK بالمال والمساندة .

وفي يونيو سنة ١٩٤٩ انتقل الكولونيل انتناس سوما وأسرته إلى ميونيخ .. وهو القائد العسكرى للمجموعة .

بناء على دعوة من بيلك ، وكانت الوعود الأمريكية ممتدة .. « سنعطيك المساعدات الكثيرة التى تطلبونها إذا جئتم معنا . ولم يكن هناك من حدود » .

وكان بيلك صادقاً فى مكمنه ، حيث عاش شوقاً واستقر فى مقر إقامة مريح وتحت تصرفه نقوداً لاحدود لها وقدم للوكالة الأمريكية ثمانية عملاء اكفاء اختارهم من جماعة VLIK للتدريب .

وفي الاسبوع الذى اندلعت فيه الحرب الكورية قُدم إلى بيلك منحة .. هى لوكاشا واثنين من الليتوانيين الذين غيروا ولاءهم .

وبعد ١٨ شهر من التدريب على يد المكتب الثانى رافقهم الجنرال شميتلن إلى قاعدة جوية عسكرية خارج باريس فى المرحلة الأولى لعودتهم إلى ليتوانيا .

وفي اللحظة الأخيرة .. ألغيت المهمة حيث فقدت الوكالة فريقاً مكوناً من ثلاثة رجال أرسلوا من السويد إلى روسيا ، وشكت المخابرات الفرنسية فى خيانة أحد أعضاء فريق لوكاشا .

وكان ولاء لوكاشا للفرنسيين هشاً .. وسرعان ما عرض نفسه على وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وقبل بيلك العرض وكان لوكاشا مدرباً جيداً وله اتصالات طيبة وسط الانصار الليتوانيين وكان في « مفهوم » الـ « سى - أى - إيه » « جاهز للمهمة » وكانت تلك المشكلة التي شرحها بيلك إلى ماكين .

وبأية حسابات .. فإن لوكاشا امتلك مكونات بطل من أبطال هوليوود .. فهو جذاب وشجاع ومخلص لعقيدته الكاثوليكية ولقوميته أيضاً . وكان يقضى خمسة عشر دقيقة يوميا قبل جلسات التدريب في الصلاة ، وكان تشدده نتيجة لخبراته ، مثل الكثيرين من أبناء وطنه .

وقد وقع عليه أبلغ الضرر بعودة الشيوعية والتهجير الجماعى وهرب مع آلاف الشباب إلى الغابات وانضم إلى « إخوان الغابة » لمحاربة الديكتاتورية .

وحيثما ترك بحثاً عن المساعدة . كان يعذبه الغياب عن الكفاح ، وكان في خطابه التي أرسلها إلى خطيبته من مستشفى للأمراض الصدرية في باريس ويعالج بها من مرضه ، ميلودراميا ولكن صادقاً قال « لاأستطيع أن أفهم لماذا أنا هنا وتركت الميادين الملطخة بالدم في ليتوانيا ، محبوبتنا ليتوانيا التي تصلب وتتلوى من الألم وأتألم أنتى لأعانى نفس المصير والموت مثل الآلاف . أشعر بصرخات الجحيم وأحاول أن أرى الوجوه التي روعها الكابوس وبدموعى أحاول أن أضىء مشاعرى ، ولكن أرى دائما الطرقات قد امتلأت بالأصدقاء الذين لحقهم الموت . وأتوق للحياة .. ولكن أبدأ أريد أن تكون عظامى بجوار أولئك الأصدقاء المدافعين حقاً عن الحرية » .

حتما .. سيشتد كرب لوكاشا عندما يستمع عبر نافذة حجرة نومه إلى صوت النصارى مبتهجين « ضاحكاً .. مملوءاً بالسعادة والامخاوف ولأنين النساء الأرامل أن الأشياء تصبح ثمينة عندما تكون صعبة المنال » .

إن ضغط الإحساس بالعجز زائد عن الحد .. خاصة إذا كان يتعلق « بالدفاع عن قضيتنا » وأكره الناس الذين يساعدون بصمتهم على صلب أمتنا .

وعشية التحرك إلى ميونيخ زوجه كروفيسكس عروساً تسمى « نيجولى » وكانت عروسه الزوجة الثانية ، الأولى ليتوانية وانفصلا بعد ستة « أيام غسل » والتقى مرة أخرى . وقام بتلك المحاولة الصغيرة ليخفى حقيقته وحتى يوحى بأنه سيموت من أجل قضيته .

ولم يكن لدى لوكاشا شك من أن الـ « سي - آي - إيه » هي خلاصته . وقال :
« أخيراً أنا مع أناس يعتقدون أننا نستحق الحرية ، وهذا مايريده بالضبط بيلك
شخص ذكى مفعم بالمثل المخلصة ..

وازعج لوكاشا بيلك في مناقشاتهما بإقناعه أن شبكة المخابرات البريطانية في
ليتوانيا اخترقتها الـ « كي - جي - بي » .

وأخبر بيلك ماكبن في لندن في يونيو سنة ١٩٥٠ بالقول : إن رجلنا يعتقد أن
ديكسنس قد تحول ، فماذا سمعت منه منذ عودته ؟

وتوقع ماكبن السؤال . لأن العداء بين المجموعة الخاضعة لإشراف بريطانيا
VLIK والتي يقودها ديكسنس ..

ووصلت ثلاث رسائل في يونيو من بريدس « مسئول ديكسنس » ومنذ وصولهم
في الأول من مايو .. حكموا على الجميع بالثقة .. ولكن الرابع كان محل شك .

وكانت الرسالة مجرد دعاية ووصلت متزامنة مع رسالة من بيبلس ، العميل الثالث
في المهمة يسأل فيها إذا كانت المخابرات البريطانية تعلم ملابسات اختفاء ديكسنس ،
وفي الواقع .. أن ديكسنس وبريدس ألقى القبض عليهما ولم يعرف شيء عن بريدس
ومن المحتمل أن يكون أعدم .. اما ديكسنس ، فربما ، يكون قد وافق على التعامل مع الـ
« كي - جي - بي » . وبعد أربعة شهور فيما بعد قتل بيبلس في معركة داخل الغابة مع
الـ « كي - جي - بي » .

وفي لندن ، عرف ماكبن أن الـ « سي - آي - إيه » تمتلك أساساً معقولة للشك ، ولم
تكن لديه النية أيضاً بأن يكشف للأمريكيين أن ديكسنس في إجابته على سؤال
« خدعه » تضمنه خطاب أخير قد فشل في الاختبار .

ولا يريد أن يعتمد ادعاء زايمنتس بأنه كان هدفاً لمحاولة اغتيال فاشلة في السويد .
وأخذ ماكبن حكمه من زايمنتس ، الذي هو بالمقام الأخير لا يستطيع أن يشكك في
إخلاص وولاء أى شخص . وأخبر ماكبن بيلك مؤكداً « أننا على اتصال مع ديكسنس
وبينما هناك شكوك دائمة حوله فإننا نعتقد أنه أهل للثقة تماماً » .

وعاد بيلك إلى ميونيخ ليعيد التأكد والمصادقة على مهمة لوكاشا .

وقد اعتقدت المخابرات الغربية والمنفيون أن الأنصار بالبندق الآلية وأجهزة
اللاسلكى إنما يشقون سبيلهم للإطاحة بستالين . ومنذ سنة ١٩٤٥ .. حث قادة

المنفيين شعوبهم بالانتظار حتى تحين إشارة التمرد ضد الشيوعيين .

ووصل مئات المتوسلين من جماعات الضغط الممثلة لملايين المهاجرين في أوروبا الشرقية إلى البيت الأبيض ووزارة الخارجية .. ويحثون بإصرار السياسة الأمريكية على الاعتقاد بأن هناك حركات خلف الستار الحديدي تتصدى للقهر السوفيتي ، وتحتاج إلى دعم .

وحمل الضغط الكونجرس إلى عقد جلسات استماع علنية سنة ١٩٥٠ عن « العدوانية الشيوعية » وكان السياسة في طليعة من يحثون البنجاجون والـ « سي - أي - إيه » بمساندة الأنصار .

وعندما عاد بيلك إلى ميونيخ من لندن ، لم تكن الخطة أكثر ملائمة للمنفيين ليبرهنوا أن كلمتهم لم تكن من منتجات « مصنع الأحلام » .

ولم يتوقف أحد ليسال أو يفكر أن سكان دول البلطيق مثل الأوكرانيين والقوميات السوفيتية الأخرى عانوا حرمانا لامثيل له واحتلالاً وحرباً لأكثر من عشر سنوات وأنهم مجهدون ومنهكون .

ولم يتلق بيلك ولا الآخرون في الـ « سي - أي - إيه » أى تقارير شهادة عيان مدعاة للثقة .. ولامواجيز استخبارية عن الاستراتيجيات الأخيرة للـ « كى - جى - بى » لضرب الأنصار ، ولاعن الزراعة الجماعية الإجبارية ، ولاعن الترحيل القسرى لعدد ٣٥٠ الف ليتوانى إلى سيبيريا . ومذبحة لآلاف الأنصار في معارك قاسية ، وفضل بيلك أن يقبل زعم كوربفيسكس ، وسوف .. بأنهم وهبوا معدة للقتال ، ولم يشك أحد في ميونيخ في حكمتهم ولم يتوقف أحد ليتأمل كم الوقت الذى تستغرقه عملية بناء مقاومة موثوق بها .. وشبكة جاسوسية خلف الستار الحديدي .

ولأن كل فرد ظن أن إطار العمل موجود وقائم . وفي نهاية اليوم .. عندما يجلس هؤلاء في الفيلا المستولى عليها حول ميونيخ تبدو المحصلة مثبطة للهمة ، وذلك أن معنويات أكثر العملاء المخلصين والشجعان تتعثر .

وبيلك يتقدم ليلقى خطبة حماسية « إننا نحارب من أجل الحرية » وهو لاشك في ذلك مخلص ، وتنتعش معنويات عملائه . ولكن لبعض الوقت فقط . ثم يتحول بيلك إلى سوف ، وكوريفكس ليزودهم بالأمال والتطلعات وأن قضيتهم تستحق التضحية ..

وفي نهاية سبتمبر سنة ١٩٥٠ وصل خطاب من لوكاشا إلى زوجته نيجولا يخبرها فيه أن زوجها في عشية الرحيل . وقال فيه : « إذا كان مصري أن أقتل ، فلتحلمى أننى سعيد حيثما أكون واجعل حياتك سعيدة .. لاننى سأصبح جزءاً من تراب وطنى والذي هو الآن مشبع بالدم » .

وفي الاول من اكتوبر سنة ١٩٥٠ ، لوح لوكاشا واثنان آخران بتحيات إلى بيلك .. والآخران هما بيندكتوس ترامس ، وباولوس سيرفاس . وهو مشغل جهاز اللاسلكى ، وحمل لوكاشا اسماً حركياً هو « سكرجانيوس » وسلم قائد الفرع مبسم سيجاره الفضى وابتسم ، وسار واثق الخطى إلى شاحنة منتظرة .. ولم يكن معهم بطاقات هوية ، ووافقوا على ذلك لأنهم لن يعودوا إلى الغرب . وبعد ست ساعات كانوا فى القاعدة الجوية الأمريكية فى فسبادان وكان هناك طياران جاهزان للتوجه إلى الشمال الشرقى بطائرة من طراز (س ٤٧) ستتوجه إلى منطقة الإنزال بالعملاء .

وكان الطياران قد سبق لهما إنزال اثنين من الأوكرانيين منذ عام مضى ولذا اتقنا إجراءات الإسقاط الآمن وطارا على ارتفاع مائتى قدم عبر الحدود الروسية ثم ارتفعا فى اللحظة الأخيرة إلى ٥٠٠ قدم وهو أدنى ارتفاع لإنزال بالمظلات وشعروا بالفخر لأن رادار العدو فشل فى التنبه للمقتحمين .

وبعد يومين من ذلك وفى ٣ اكتوبر سنة ١٩٥٠ ، وفى طقس حسن اقلعت الطائرة (س ٤٧) .. وأعطى كل عميل بخلاف المعدات عشر ساعات ، و٣ آلاف روبل والفى جنيه استرلينى .

وهبط الثلاثة عملاء فى منطقة تورجيس بعد ثلاثين من السقوط من الطائرة ، وفى ظلام موحش .. وسمع سيرفاس زميله لوكاشا يقسم بأن كتفه جرح بينما ترامبس يلعن المظلة التى تحمل نصف معداتهم وأغذيتهم التى اختفت ، وقرر لوكاشا بالم واضح « أن ظلام دامس ويتعذر علينا البحث ويجب أن نبتعد » ودفنوا بقية معداتهم وأمسكوا بالبنادق النصف الية .. وكشف الفجر أنهم يبعدون مائة ميل عن منطقة الهبوط المقررة وبعد أسبوع فيما بعد ، اجتمعوا أخيراً مع رفاقهم من « إخوان الغابة » . ولم تكن الاخبار مشجعة ، حيث أكملت فرقة من الجيش الأحمر زحفها عبر الغابة . وبعد سلسلة من المعارك الطويلة والقاسية قتل فيها مايقرب من مائة فرد من الانصار

وكان الواقع قاسياً : فالحرب التي اشتعلت منذ خمسة أعوام على وشك أن تنتهى ، رغم أن الغابات لاتزال آمنة نسبياً .

وكانت أول رسالة شفرية تصل إلى ميونيخ ، سلمها لوكاشا إلى سيرفاس لإرسالها. لمن يرد فيها ذكر عن خسارة حرب . وكانت تقريراً فقط عن وصولهم الآمن . وفشلت المحاولة الأولى من سيرفاس لنقل الرسالة في ٢١ أكتوبر .. بعد أن تلفت بطاريات جهاز اللاسلكى بعد استخراجها من قرب منطقة الإنزال .. وبعد استخدام « مولد » جاءوا به على عجل كان سيرفاس متأكداً أن بث الرسالة في اليوم التالى سيكون ناجحاً .

بعدما تلقى شكراً من ميونيخ عبر الجهاز واكتملت الدورة .. وخبىء الجهاز في غرفة فحم ، ووقف لوكاشا يكتشف حالة الأنصار واستقر سيرفاس في مخبأ بالغابة في حالة خاملة . ويستمع إلى الإشارات وجاهز لبث رسائل لوكاشا إذا طلب منه ذلك .

وقال جوردون ستيورات إلى فيافدا في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٠ : « إن الرسائل مشوهة » إن الخبر الليتوانى قد حصل على إجازة من أمريكا ليكون في ألمانيا ، عندما فُجرت مهمة لوكاشا .

وانتظر مع رئيس الـ « سى - اى - إيه » في مقر الإدارة في « كارسروه » لاكتشاف النتيجة وهيبت أنباء ستيورات أعصابه وقال : « علينا ألا نراسلهم . كل المنظمة مخترقة . ديكسنس غدر بهم وخانهم » .

وفي ميونيخ قبل بيلك شكوك فيافدا باعتبارها مدعاة للثقة . وقال إلى الكولونيل سوفيا : « من الممكن أن يكونوا قد اعتقلوا أو تحولوا » وصدم القائد العسكرى لجماعة VLIK .. إن المخاطر التى حسبت لها الوكالة كانت أكبر كثيراً مما يتخيل .. وصاح في بيلك قائلاً : « من الجنون الاعتقاد بأنك تستطيع أن تبني شبكة مقاومة بهذه الطريقة .. إنهم تستغرق سنوات إننى أعرف الروس » .

وبعد اسبوعين فيما بعد وصلت رسالة أخرى من سيرفاس وكان قد حصل على الاشارات الشفرية من لوكاشا عبر رسول .. ولكنه لم يعرف محتوياتها على وجه الدقة واعتقد سيرفاس أن ذلك يجزم بأن مازق الأنصار أسوأ مما توقع وأضاف أنه لا يوجد دليل على التعبئة الروسية ، وأقنع ذلك بيلك وفيافدا أكثر بالخيانة . وإذ يعتقد

البنجاجون والساسة بأن روسيا تعد للحرب ويرسل لوكاشا بالعكس .. وكانت هناك ارضية للشك بأنه إما اعتقل أو تحول .

وأعطيت مهلة إلى بيلك بالعودة إلى لندن ولم يكن هناك أى ملمح للقبضاء عندما أجمل بيلك شكوكه إلى ماكبن في لقاء صريح في برودوى ، ومرة أخرى أعلن على مخاوفه ان يكون ديكسنس خائناً ، ومرة أخرى أخبره ماكبن .. بينما هناك دائماً شكوك .. فإن الوكالة البريطانية تثق في ديكسنس .

وطار بيلك عائداً إلى ميونيخ وأعد تقريراً إلى واشنطن يشرح فيه شكوكه ولا يقدم حلاً . وللمصادفة .. كان كار على وشك ان يصل إلى واشنطن لمزيد من المشاورات مع روستزك وكان الأمريكى قد أقنع بأن العملية الليتوانية تعرضت للخيانة من قبل عميل بريطانى وطالب اجتماع « مواجهة » وجهاً لوجه ورغم ان العمليات في اوكرانيا كانت الاكثر أهمية في جدول الاعمال .

وطبقاً لقول فيافدا « فان مصداقية ديكسنس لم تكن مؤكدة » .

وسأل روستزك .. هل يمكن لآى شخص ان يخرج مرتين من روسيا بهذه السهولة ؟

وكان ذلك بالنسبة لكار « مجرد طريق آخر لترديد سياسات المنفيين التى تصيب بالضجر » .

إنها مجموعة VLAK ضد مجموعة VLAK وليست من شئون الجاسوسية فى شىء ، وكان فيلبى حاضراً الاجتماع مرة أخرى كسكرتير لتسجيل الجلسة .. عندما رفع البريطانى والأمريكى صوتيهما كل على الآخر .

وسأل روستزك : هل تعرف أى من تلك العمليات تحت السيطرة الروسية ؟

ورد كار : عملياتنا لا .

واشمئز روستزك وقال : كيف يمكنك ان تتأكد من ان عميلك ليس تحت السيطرة ؟ وأجاب كار : نحن متأكدون .

وقال روستزك : ولكن كيف يمكنك ان تتأكد ؟

وأجاب كار : لاننا قمنا باختباراتنا ومجموعتنا محكمة ضد الاختراق .

ورد روستزك : وكذلك نحن .. ولكن هناك مجموعة واحدة مخترقة .

ودافع كار : أعتقد أننا نعرف عملنا مع تلك الواحدة .

وكان فيلبي يدون في عجلة الحادثة المتبادلة حرفياً . وكما ادعى فيما بعد أن المخابرات البريطانية والـ « س - أي - إيه » كانتا لهما دمي في البلطيق ولا يمكن التوفيق بين الطموحات المتنافسة بينهما .. وهذا ملاحظته بين الجماعات المتصارعة وقتالهم المتكرر لأنفسهم . وفي إحدى المرات أصبح الموقف خطيراً مما استدعى أن يُرسل هاري كار خبير الشمال الأوروبي في برودوي إلى واشنطن ومعه عرض يائس لإيقاف هذا العفن . وانتهت زيارته بكارثة حيث تبادل كار والأعضاء المناظرين له في الـ « سي - أي - إيه » الاتهامات كل لآخر بالكذب بالجملة .. وهذا حق تماماً .. وكان ذلك على مائدة الاجتماع ..

ولم يكن فيلبي مدركاً لكل تلك المفارقات . رغم أنه عرف ديكسنس عميل المخابرات البريطانية منذ رئاسته للقسم (٩) .. ولكنه لم يعرف أن هذا الليتواني كان تحت سيطرة الـ « كي - جي - بي » .

وأبلغ فيلبي المركز في موسكو بمحادثة كار وشعوره النهائي حيث قال : « إن برهان صدقنا هو أننا نصعد من نشاطاتنا » وفي ديسمبر كان عميلان ليتوانيان على وشك الإنزال في شاطئ بالانجا عن طريق كلاوس . وهما : الجيس ليخمانز وبول جاينزكاس ، وكلاهما ضابط لاسلكي مدرب ومن المقرر أن يلتقيا مع ديكسنس وبعد ثلاثين عاماً فيما بعد عبر كار وبكل أسف ومرارة عن حماقة التي لانظر لها ..

ولأن كار أبحر عبر الأطلنطي عند عودته إلى إنجلترا .. ولم ير عناوين صحف نيويورك التي تبرر لحكمة إرسال فريق من العملاء .

وفي نهاية نوفمبر .. شنت الصين الشيوعية هجوماً مضاداً في كوريا وفي الأسبوع الثاني في ديسمبر .. قالت الصحف ، وكار لا يزال في البحر ، إن الجيش الأمريكي يتقهقر وتعمه الفوضى ..

وكان بعض الخبراء يتضاربون حول ضخامة الكارثة المفاجئة .. وأن حرباً محلية على الجانب الآخر من الكوكب تتحول الآن إلى هزيمة أمريكية كبرى . وماهى النتائج لذلك على أوروبا ؟

وبدت انتصارات الأعداء كاسحة : أوروبا الشرقية والصين أصبحت شيوعية

وهناك القنبلة الذرية الروسية وحتى فرنسا بدت الضحية الجاهزة للسقوط في أسر الهيمنة الشيوعية .

وعلى قمة هذا كله ، كلاوس فوخس العالم الذرى والذي ذهب من بريطانيا إلى لوس انجلوس اثناء الحرب أصبح الآن متهما بالتجسس لحساب السوفيت وكان ذلك عند كار .. البرهان الاخير أن الشيوعية الدولية صار لها شبكة محكمة ، وفكر .. في الحاجة إلى العملاء داخل الاتحاد السوفيتى حتى يحذروا المخابرات البريطانية عن أى هجوم وقائى .

وفي لندن ، كان ماكين وثلاثة ضباط من البلطيق يجندون وبكل مافى طاقتهم .. أبناء البلطيق للتدريب .

وفي منزل .. في غرب لندن كان الشباب الليتوانى يحتل هذا المنزل وقد اتوا إلى بريطانيا كعمال زراعيين تحت مظلة مشروع « ويست وود هو » .

وعملوا بعد ذلك في أعمال النقل بلندن وبعدها يفرغون من الشراب في الامسيات .. كان الموضوع المفضل لديهم للحديث هو إمكانية حرب عالمية جديدة تهزم الشيوعية ، وكان من بين العمال .. ليتوانيان كبار في السن كانوا جنوداً وعمال خدمات مدنية وسياسيين في عهد الدولة المستقلة قبل الحرب .

ومن الطبيعى والمنهجي ، أن يكون هؤلاء هم هدف المخابرات البريطانية حيث يلائمون اهدافها تماماً .

وكان زيجماس كوديركا يبلغ ٢٤ عاما واغتصبه الالمان من المدرسة سنة ١٩٤٤ هو وكل الفصول الدراسية وأجبروا على السير غرباً وحفر الخنادق للقوات المتراجعة . وكان الكريسماس لسنة ١٩٥٠ المناسبة الاولى منذ إطلاق سراحه التى يفكر فيها في مستقبله والهجرة إلى كندا حيث يمكن أن يتخرج من الجامعة وعندما أجلى جيش الحلفاء من سول وهُزم في الشرق الاقصى ، دُعى كوديركا واثنين من اصدقائه لزيارة مكتب الكولونيل سيتكوس وهو ضابط ليتوانى وقال لهما عند مستهل استقباله لهما : إن الحرب مؤكداً أنها ستندلع فوراً في أوروبا ، وستحرر بلادنا ونريد متطوعين للالتحاق بجيش الانصار في ليتوانيا وللمساعدة بريطانيا في القتال من أجل حريتنا .. فلا بد من الانضمام للمخابرات البريطانية .

وتعجب كوديركا ، رغم ذكائه إلا أنه عامل نقل وقال : ليتوانى يصبح عضواً في المخابرات البريطانية .

وقال له الكولونيل : من أجل بلادك ، وهناك مكافآت ستمنح خمسة جنيهاً أسبوعياً عن كل الفترة التي تكون فيها بالخدمة ويعدونك أيضاً بالجنسية البريطانية عندما تفضل العودة إلى بريطانيا .

وقبل كوديركا العرض على الفور ، ودفعه اليأس والحاجة إلى المال والفرصة الحصول على جنسية لإكمال تعليمه بالجامعة .

أما الآخرون فلقد حركتهما دوافع وطنية أيضاً وبعد أسبوعين وصلا إلى المدرسة في ١١١ شارع أولد تسارش .

وكان الكولونيل الفونس ريبان ضابط أستونى سابق يعمل بهمة ونشاط ومساعدة فيانو بارتل ومعه خمسين من العاملين في المناجم وصناعة الغزل .. تمت دعوتهم إلى السفارة الاستونية للقاء قائدهم القديم في لندن ، وكان ريبان واسمه الحركى روبرت ، قد عمل في معمل للنسيج وكان ذلك يمثل انحطاطاً وظيفياً بالنسبة له .

ولكن لشجاعته الشخصية وكبطل حربى .. دفع بالمخابرات البريطانية أن تعرض عليه العمل معها . وهو الآن يشرب زجاجة سكوتش يومياً على الأقل ويلعب البوكر طوال الليل ، وفي الأسابيع السابقة على الكريسماس أعطى قواته حديثاً مفعماً بالحيوية مؤكداً أن بداية الحرب العالمية الثالثة قد حانت وهناك حاجة عاجلة لاتصالات لاسلكية مع المحطات السرية في الوطن للاتصال بجيوش الحلفاء عندما يشنون الهجوم ، وكان ريبان في نظر مستمعيه نصف إله ووطنياً صادقاً لايشق له غبار . وفي نهاية سنة ١٩٥٠ عثر على أربعة متطوعين ، وفي ٢٤ فبراير سنة ١٩٥١ كان العدد ستة ويتدربون في شارع أولد تسارش . ودعى الستة إلى منزل السفير أوجست تورمل لاحتفال بعيد استقلال استونيا ، وتحدث ريبان وتورمان في ذلك الحفل وقال ريبان للسفير بصوت هامس : « عن الصراع القادم والحرب التي على وشك أن تندلع وأضاف : فلتسجل كلماتي » .

وفي غابات لاتفيا ، وفي أثناء شتاء سنة ١٩٥٠ وحيث بدأ الشتاء وبدأت تؤتى مفعولها على العميلين البريطانيين بيركس وجالدنز ، وتبعه الصيف بالناموس والبراغيث مصاصة الدماء .

وفي نوفمبر همت الحشرات القذرة لانخفاض الحرارة إلى ما تحت الصفر والتي نادراً ما ترتفع إلى درجة خمسة عشر تحت الصفر .

وكان الحياة في أدغال الغابات شيئاً قاسياً على رجال المخابرات البريطانية والآنصار .

وأرسل بيركس إلى ماكين رسائل تفيض بالشكوى من القلق الجسماني الذي يعيشون فيه . وإن وجدت بعض اللحظات المريحة عندما حصل الآنصار على مؤن خاصة من الطعام من الفلاحين المحليين ، ولم يشهد بيركس ولا جالدنز الطريقة التي يجلب بها الآنصار تلك المواد التموينية . وإذا كان أحدهما قد تجرأ وخرج من المعسكر الآمن ، فليسوف يدهشان عندما يكتشفان أن جاليتس يلتقط الطعام من مكان خفي تحت شجرة ضخمة والذي تأتي به سيارة بلا أرقام قادمة من ريجا وكان هناك حادثاً مثيراً أيضاً .. عندما التقى بيركس وجالدنز مع فرقة أخرى من الآنصار واتفقوا على اللقاء مرة أخرى بعد أربعة أيام وقد ألفى الموعد بناء على توصية جاليتس ، لأن ذلك يعد عملاً خطيراً « ومن غير المعروف لعملاء المخابرات البريطانية : أن آخرين قد التقوا بجماعة الآنصار وأرسلوهم بعد التحقيق إلى سيبيريا .

وبدأ بيركس يشكو إلى لندن بانتظام عن نقص المال ، فجماعة الآنصار التي يعيش معها تعتمد عليه . ولا تزال لندن تشك ولم ترد على طلبه وفي الغابة ، عرض جاليتس حلاً .. فهناك « صراف بنك » معروف عنه أنه يمتطي حصانا في طريق معزول قرب الساحل ، ومن الممكن السطو على النقود التي بحوزته .

ووافق بيركس ، وانتظر أربعة من الآنصار ومعهم العميلين البريطانيين ليوم كامل حتى يظهر الصراف المسلح .

وأمكن السطو عليه بنجاح . وكتب بيركس في خطاب إلى لندن كان على أن اشارك في عملية السطو .. والتي عرضت كل العمليات للخطر وكان يمكن أن تتعقبنا قوات الأمن السوفيتية .. وخشية أن تتعقب الكلاب السوفيتية أثر مرتكبي حادث السطو .. نصحت المخابرات البريطانية جالدنز بالا يظهر من مخبأه إلا لأمتار قليلة .

وفي ريجا سجل لوكاسيفكس في سجلات العملية « السطو على ١٢.٨٢٢ روبل » في العملية التي دبرها بعناية ولاحظ أن تلك الخدعة يمكن أن تعجل بلندن لإرسال مزيد من العملاء .

وبينما انتظرت الـ « كى - جى - بى » وتعجبت لصمت برودوى ، شرب بيركس كميات من الفودكا حتى يتغلب على المناخ القارس البرودة ، وعندما أوشكت الفودكا على

النفاز كان يحتسى الكحول .. ورغم الإفراط في الشراب ظل بيركس قناصاً ممتازاً .

وبينما بيركس يرقد في مرضه .. متجمداً من البرد .. ولا يشكو ، واصل مشغل اللاسلكى الذي دربه وهو كيبورس .. نقل الرسائل إلى برودوى .. وفي مارس سنة ١٩٥١ . أ برق جابريل .. ساليرجاس بأن فريقاً من العملاء سيصل قريباً . وابتهج بيركس وجالدينز وقالوا لجاليتس .. إن لندن تثق بوضوح في عملهما . واحتفلوا بالمناسبة ، واتفقوا أن يبحث جاليتس عن مزيد من الطعام .

وعندما وصلت الأنباء .. أحس لوكاسيفكس بالسرور ولكنه لم يندهش لأنه سمع تلك الأنباء من لندن . لأن مشغل اللاسلكى التابع للمخابرات البريطانية ، كان عضواً في الـ « كى - جى - بى » وقد جُند لحساب المخابرات البريطانية في معسكرات الاعتقال الألمانية على يد جون رانسوم ضابط المخابرات البريطانية الذى ألحق بالقسم الفنى في لجنة الرقابة البريطانية .

وفي أثناء الإعداد النهائى في إبريل سنة ١٩٥١ لإرسال أربعة عملاء إلى لاتفيا ، وصل إلى لندن ستة ضباط من الـ « سى - أى - إيه » للقاء لمدة ثلاثة أيام مع كار وضباط آخرين في المخابرات البريطانية وكان جدول الأعمال هو مراجعة وبحث كل العمليات الأنجلو - أمريكية في روسيا والبلدان الدائرة في الفلك السوفيتى .

ويقود الفريق الأمريكى روستزك ، وكان مقرراً أن يذهب إلى ميونيخ في مهمة عمل كرئيس للقاعدة « التابعة للـ سى - أى - إيه » بدلا من شارلى كاتيك . وقد ترك خلفه في واشنطن ، مدينة وقعت في قبضة البارانونيا « داء العظمة » .

وكانت المحاكمات قد بدأت مع جولويوس وروزنبرج لاتهامهما بتسريب أسرار ذرية إلى الروس .

وفي الكابيتول ، كان السناتور مكارثى يشن حملة تفتيش ضد الشيوعية والتي أراد اجتثاثها من المجتمع الأمريكى .

وفي المقابل لم تطلق الإدارة الأمريكية أى معلومات ذات قيمة من داخل روسيا .

وكان الحضور غير المرئى للخطر الشيوعى القادر على كل شىء هو المستقر في داخل كل ضباط الـ « سى - أى - إيه » الذين وصلوا إلى برودوى في إبريل .

وصحب فيافيدا .. روستزك والذى أقنعه أن ديكسنس خانة ، ولو كان تحت

السيطرة السوفيتية . وتحت إلهام الرغبة في مواصلة العمليات .. طلب منه أن يعيد فحص الحقائق ، وكانت رسالة خامسة قد وصلت حديثاً من لوكاشا يطلب فيها إرسالاً عاجلاً لفريق جديد يشتمل على ضابط اتصال سياسى لتشجيع الانصار .

وعارض فيافدا إرسال المزيد من البعثات حتى يقتنع بعدم وجود اختراق سوفيتى . وأصر بالقول أنهم يرسلون ديك رومى بارد بدلاً من حقائق راسخة . وطلبت واشنطن الدليل على أن روسيا تحشد قواتها ، وطلب البنتراجون أماكن توزيع الفرق العسكرية وتحركات عربات السكك الحديدية ومخرجات الانتاج الصناعى والنشاط الجوى .

وانتهى فيافدا إلى القول .. إن المخابرات السوفيتية فقط هى التى ترسل لنا هذا اللغو الفارغ عن الوطنية ومشكلات حرب الأنصار .

وقال فيافدا إلى روستزك : « دعنا نأمل في الرب .. وهما يقتربان من برودوى .. وسيكون مفيداً أن نتعلم من البريطانيين شيئاً » .

وعندما بدأ الاجتماع .. وتبادل الطرفان التحيات الخاصة والحديثة عن العلاقات الودية بين البلدين والجهازين .

وقال كار : إلى العمل ..

وبدا روستزك الحديث بالقول .. هارى ، ومؤكداً على خطورة هدفهم « إننا نبحث عن تبادل صريح وواضح للرأى ، ودعنا نقارن الملاحظات والمذكرات ونرى إذا كانت هناك مشكلات بوجه عام .

وعرض كار لعمليات المخابرات البريطانية ولم يذكر شيئاً لم يكن معروفاً ، بإستثناء واحد أن هناك مزيداً من العملاء على وشك الأنزال .. وهذا الشيء الوحيد الذى كشف عنه . وتوضيحا للحذر والسرية فاننا لن نعرض رجالنا بالكشف عن منطقة الإنزال المحددة ولاتوقيت الوصول ، ونحن مهتمون مثلكم تماماً في أن نكون حذرين .. ولم يكن كار محدداً في حديثه .. وأدرك الأمريكيون أنه يعطيهم مسكنات بدلاً من إشراكهم في الأسرار ، وبنهاية الصباح وافق كار على أن يكون لدى فيافدا موجز كامل من ماكين عن النشاطات في ليتوانيا .

وأوقف الاجتماع للغداء ، وانتهى بعد الظهر متأخراً ولم يكن هناك مزيد من العمل

في ذلك اليوم .

وفي صباح اليوم التالي ، التقى فيافدا مع ماكبن وانجذب إلى الرجل الذي كان مواطناً بلطيقياً أكثر من كونه انجليزى ، وقال فيافدا لزميله .. « لقد كنت على نفس الموجة » وبعد جلسة عمل والاطلاع على ملفات ماكبن .

دُهِش فيافدا لجدية ماكبن وإحساسه بالمسئولية وقد وعد ماكبن بتقديم تقييم وتقدير موقف لحركة الأنصار في لاتفيا في موعد لاحق إلى الـ « سى - اى - إيه » . وتوقفوا للغداء ووافقا على اللقاء على العشاء في تلك الليلة .

ولم يكن روستزك وكار راضيان عن الاجتماع في ذلك اليوم وقد اقتنع « ضابط الخدمات الاستراتيجية » في ميونيخ وواشنطن بأن المخابرات البريطانية لها علاقة وثيقة مع ستيفان بنديرا القومى الأوكرانى والذي كان يخرب جهودهم في تجنيد وإرسال العملاء لمساندة حرب الأنصار في جبال .. الكاريبي .. وأماكن أخرى .

وادعى الأمريكان أنهم يخطرون استخدام النازيين ومجرمى الحرب ضد الشيوعيين فإن سجلات بانديرا المروعة عن تعاونه مع النازى أثناء الحرب ، إنما كانت عملاً مضاداً على نحو إيجابى ولا يوجد برهان كاف أنه قاد أى دعم للنازى فى أوكرانيا . وقد تدعمت حجة الأمريكين بتحذير رئيس المخابرات الألمانية السابق رينهارد جيهلين والذي أصبح مستشاراً دائماً للأمريكان ..

والذى حذرهم من بانديرا ومنظمتة داخل روسيا مخترقة بكل الاحتمالات وقال أحد الضباط الأمريكين « إننا نصطدم بعقبات فى علاقتنا مع الأوكرانيين ، وبسبب دعمكم لبونديرا » وكانت ثقة كار فى بونديرا الذى يعرفه منذ خمسة عشر عاماً تقريبا وإزدرائه للأخبار الجديدة من واشنطن حملته إلى رفض أية محاولة من قبل الأمريكين ولذلك المؤتمر لتحطيم العلاقة .

ومن بين الذين صعدوا إلى الطائرة فى ميونيخ « دافيد ميرفى » ضابط المخابرات العسكرية فى زمن الحرب فى الشرق الأقصى ، ثم فى برلين ، وميرفى وصف ذاته مرة أنه شخص وسيم دائماً ومتردد دائماً ومخطئ دائماً ، كان عليه أن يدير مركز التدريب الروسى للأوكرانيين ويحل بيلك رئيساً للعمليات السوفيتية .

وكان الطموح فى التوسع فى العمليات من قبل المدير المعين حديثاً للعمليات الأمريكية فى واشنطن الآن دالاس . والذي كان مولعاً وعلى ثقة كبيرة فى العمليات المغطاة

والطعن من الخلف ، وقد بث دلاس في مساعديه مفهومه عن تلك العمليات وأنها الضمان الحقيقي لنجاح الجاسوسية .

وكان يشارك المخابرات البريطانية في الاعتقاد بأن هزيمة الهيمنة الشيوعية تتم عن طريق إثارة ومساندة التمرد القومي داخل الاتحاد السوفيتي .

وكان انجيل هذا المبدأ .. لتوجيه مجلس الأمن القومي الأمريكي رقم ٦٨ والتي كانت مواده والتي تنتمي الآن إلى الذكريات هي التي زودت المؤمنين بترانيم شن الحرب الباردة ، وقال التوجيه : إن الاتحاد السوفيتي لا يعاقل أى من الطامحين إلى الهيمنة في السابق وإنما مسلح بمبدأ متعصب ، وعلى النقيض تماما من مبادئنا ، ويسعى الاتحاد السوفيتي إلى فرض سلطته المطلقة على بقية العالم .

ويدعو المخطط السوفيتي إلى الهيمنة الكاملة ، وتدمير آلة الحكومة وبنية المجتمع بالقوة في بلدان العالم الأخرى غير السوفيتية وإقامة أجهزة وبنى خاضعة ويسيطر عليها الكرملين .

وإلى ذلك الهدف .. تتجه جهود الاتحاد السوفيتي الآن نحو الهيمنة على الأرض الأوروبية والولايات المتحدة باعتبارها مراكز القوة الرئيسية في العالم غير السوفيتي ، والاتحاد السوفيتي هو العدو الرئيسي الذي يجب تحطيم تكامله وحيويته وإخضاعه بوسيلة أو بأخرى إذا ان الكرملين على وشك إنجاز مخططة الاساسي .

وللتصدي وهزيمة الحركة الثورية على نطاق العالم كله ..

زاد مكتب الخدمات الاستراتيجية ومكتب تنسيق السياسات عدد العاملين به إلى ١٤٠٠ ضابط . وفي ظل عاصفة النشاط المحموم . كان من الصعب على العاملين في ميونيخ الحكم أيهما ميرفي أم روستزك .. واسم الجديد .. هارى الوردى ، الأكثر فاعلية والأكثر عملاً بجدية والأكثر تعصباً ولكن كان الميزان يميل عادة لصالح ميرفي .

وكان ميرفي قد وضع نفسه في منافسة مع ميشيل بارك . رئيس وحدة تنسيق السياسات المحبوب والخطير أيضا في ألمانيا والذي وقع في شرك عملية البانيا ..

وقد خدم بارك في المخابرات الأمريكية خلف الخطوط أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن ميرفي كذلك له تلك الحنكة التي لدى بارك .

ولكن سعى إلى التنافس مع تلك الأسطورة .

وكان ميرفي يرى أنه لافرق بين الألمان والروس ، فهما أعداء يجب هزيمتهما .

وفكر ميرفي في أن تياراً من الهواء الساخن يمكن أن يطيح بالروس ..

وفي أبريل سنة ١٩٥١ .. عندما طرد الجنرال ماك آرثر من الخدمة كقائد للقوات

المتحالفة في كوريا والمقاتلة في آسيا التي وصلت إلى وضع حرج وقاسى .

فان أحدا لن يسأل ميرفي عن تقديراته بإرسال مزيد من العملاء وأرسل فريق الـ «

سى - أى - إيه » الثانى علي وجه السرعة إلى ليتوانيا .

وأنشئ القسم اللاتفى على يد بيلك تحت مسئولية أمريكى من أصل لاتفى وهو

بول هارتمان وكان مسئولاً عن المجيء بفريق المجندين المدربين من السويد بقيادة

فريد لانجس ويجعلهم في حالة « استعداد للمهمة » ، وكانت هناك عمليات إضافية في

كل منطقة من الاتحاد السوفيتى وكان ميرفي مستعداً لاستخدام العملاء الروس البيض

دون اعتبار لعلاقتهم بالنازية .

وكان يرى أن تلك بداية مواجهة عالمية جديدة .. وكسب الحرب يتطلب المخاطرة .

وبعد خمس سنوات فقط من الحرب العالمية الأخيرة (الثانية) لم يكن من العادى

أن تتوقع رجالاً يموتون لأجل أى قضية ، وتتطلب التربية الجديدة لضباط المخابرات

أن ينافسوا ويتفوقوا على شجاعة وبسالة مكتب الخدمات الاستراتيجية .

وعمل الضباط السابق بالمخابرات ليل نهار وخططوا ووضعوا البرنامج وأصدروا

الأوامر حتى يقيموا شبكة عملاء داخل إمبراطورية ستالين .

عملوا أربعة وعشرين ساعة في كل أيام الأسبوع .. وضحوا بالأجازات والنوم ..

ويقود هذا الفريق ميرفي ويشجعه روسترك وبحثت مجموعة العمليات الروسية عن

الوسائل للحصول على المعلومات .. وكانت مشاعرهم بدائية وكثيفة .. مما سيجعل

الكثير منهم يعانى بعد ذلك من مشكلات ذهنية .

وكان الموضوع الوحيد الذى يشغلهم هو التأكيد للبتاجون أن لهم عيوناً خلف

الستار الحديدى .

ولم يشك أحد في أنه من الممكن إنجاز المطلوب .. ولقد كانت المعادلة بسيطة ..

أموال + جهد = النجاح ..

وقال ميرفي ساخراً .. إلى روسترك : « إنه مجتمع فلاحى .. إنهم مجرد فلاحين ونساء في عربات تجرها الخيول » ولامشكلة لدينا .. ولم يوقف أحد ليسأل إذن ما الذى نخشاه ؟

وكان ميرفي يتفوق في دور « الموجه » ، والناصح .

وكان فرانك ليندس نائب رئيس مكتب تنسيق السياسات . والذى انشغل فيما بعد في عدد لا يحصى من العمليات في أوروبا الشرقية ، بما في ذلك ألمانيا .. ولأسباب مهنية وطموحات شخصية يريان أن النجاح يعتمد على إرسال العملاء عبر روسيا ، وكانت بواعثهما وطنية وكان محركهما « المهارة في اللعب » .

ولا يمكن لاي شخص أن يتخيل أن جهاز أمن مجتمع سيكون أكثر فعالية من جهاز المخابرات الألمانية والذي كان يقدم المعونة والمساعدة في شخص رينهارد جهلين والتي قبلها الأمريكان شاكرين ..

وكان الإنزال في ليتوانيا .. أعد ليكون في ١٩ أبريل وفي وسط الفترة الانتقالية ، واختفت السرية في غمار الاحتفال مع تمنيات الحظ الطيب للفريق الثاني .

ورغم أن قائد هذا الفريق .. جولى نوس بيوتانس خشى من العاقبة ، وانفجر في الدموع في مرات عديدة قبل الرحيل .. وأسقط ومعه جوناس كوكاسكاس .. مشغلاً اللاسلكى . ونزل الرجلان في منطقة محدودة في الغابات ودفنا المعدات واتصلا بمجموعة من الانصار .. واجتهد بيوتانس للعثور على لوكاشا بينما سحب واحد من الانصار كوكاسكاس إلى سيرفاس ، حيث خبأه في مخبأ بالغابة .. وعندما انتهت التحيات العاطفية ، فصل سيرفاس الظروف القاسية التي عاشها في السنوات الأخيرة . وكل شخص هنا يرتعد من الروس . ولهم عيون في كل مكان والحياة في توتر دائم .

وكان لوكاشا الذى لم يقابلوه منذ وصولهم ، كان في مأمن ويعمل في منطقة أخرى .

ونقل كوكاسكاس ومرشده إلى مستودع للفحم داخل سفينة بينما ظل سيرفاس وثلاثة أصدقاء ينتظرون انتهاء القادم الجديد من دفن معداته .

وفي أثناء عودتهم في اليوم التالي ، حذرهم فلاح بأن هناك إطلاق كثيف للرصاص وانفجارات في الغابة .. وهرب الأربعة وعادوا بعد أسبوعين ليكتشفوا أن مستودع الفحم

قد دمر وأن المرشد مات وكوكاسكاس القى القبض عليه ، وكان سيرفاس على يقين أنهم وقعوا ضحية خيانة زوجة الفلاح ..

وتدفقت سلسلة النتائج بسرعة ، وفور اغتيال كوكاسكاس .. خضع للتهديد بالتعذيب ووافق على التعاون .

وفي الغابة .. لم يكن بياتنس يدرى عن اعتقال زميله وحاول الاتصال مع لوكاشا وكان يعتمد في ذلك على الأنصار الذين خانوه وغدروا به أيضاً .

وبعد أسبوعين أجاط رجال الـ « كى - جى - بى » بمخبا بياتنس في الغابة .
ولكى يهرب من الأسر ابتلع بياتنس قرص سيانيد .

وبينما يستخدم رجال الـ « كى - جى - بى » كوكاسكاس صنيعة لهم .. رتب لقاء مع لوكاشا .. وشك القائد « الأنصارى » ولكنه يجهل مصير بياتنس وزميله ، وجاء في الموعد المحدد وبعد أن أمر حراسه بإطلاق الرصاص إذا كان الاجتماع شركاً ومصيدة .

ولم يكتشف قبره المجهول .. ولم يعلم أحد بتضحياته على نحو واضح ..

وفي نهاية إبريل .. كان سيرفاس وحيداً وجهاز اللاسلكى الذى بحوزته مخبأ في غرفة الفحم داخل « السفينة » المحطمة ، بفعل تفجيرات الـ « كى - جى - بى » ، ولكنه استطاع الوصول إلى جهاز بياتنس بعد اكتشافه في منطقة الإنزال . وفي أول محاولة لبث الرسائل إلى ميونيخ أدرك أن الجهاز تالف ولا يقبل الإصلاح .

وقال لجماعة الأنصار : « لقد انقطعنا عن الاتصال » وسأكتب رسالة شفرية على عنوان سرى ، وأحيطهم علماً وأحذرهم من مشاكلنا .

وفي ميونيخ وفي الأول من مايو .. عرف ميرفى وفيافدا أن المهمة قد فشلت . ووصلت المزيد من الرسائل الشفرية من ليتوانيا ولكن محتواها كان لغواً وطنياً فارغاً ، كما نعتها بذلك فيافدا وثبت أن المرسل تحت السيطرة .. ولم يكن معروفاً إلى سيرفاس أن الـ « كى - جى - بى » قد استخرجت جهاز اللاسلكى من المخبأ .. في غرفة الفحم ، وقامت بالانفجارات في الغابة لتغطى على فعلتها . واستخدمت كوكاسكاس لبث الرسائل الشفرية إلى ميونيخ ، وكان قصدهم .. تشجيع الأمريكان على إرسال مزيد من العملاء وانفجرت شكوك فيافدا على شكل وابل من الشتائم موجه إلى ميرفى شخصياً وقال : « إنه خطير جداً .. لا بد من إعادة التفكير في كل العملية » ورد ميرفى : « إنك عاطفى جداً .. وعليك العودة إلى الولايات المتحدة » .

وفي ذلك الاسبوع .. ترنح فرع البلطيق وسط الاتهامات والشعور بالذنب ، ووصلت الانباء من لندن بأن اثنين من كبار موظفي الخارجية البريطانية وهما دونالد ماكلين ، جى بيرجس قد اختفيا وبعد سنوات من التحقيق الدءوب برهنت المباحث الفيدرالية لوزارة الخارجية أن ماكلين كان جاسوساً سوفيتياً .

وفي نهاية الشهر طلبت المخابرات المركزية استدعاء فيلبى ضابط الاتصال بالمخابرات البريطانية في واشنطن إلى بلاده .

وكان فيلبى هو المخول سراً بتقديم البرهان ضد ماكلين وقد شك في أنه سيفرر بزميله وقرر الهرب ، ووضع لميرفي وروستزك أن سبب الكوارث السوفيتية واضحة وبينه من تلقاء نفسها . وأضاف فيافدا « أن هناك مثلاً ليتوانيا ينطبق على هذا الموقف يقول : أشعر أنني ضربت مثل ذبابة » لقد غدر بنا البريطانيون .

وشارك القليل في برودوى الأمريكانى في شكوكهم في فيلبى .. ورفض مينزيس ورجاله الادعاءات بأن زميلهم المحترم « خائن » ومن بين الاقلية التى قبلت سنة ١٩٥١ الدليل الأمريكى .. نائب مينزيس وهو قائد الجو جيمس ايستون والذى أرسل إلى فيلبى خطابا .. تسلمه باليد .. يحذره فيه من الاستدعاء الوشيك له إلى لندن . وأصبح ايستون مطروداً لأنه تجراً واعتقد بسوء أحد عناصر المؤسسة الموثوق بهم .. وعاملوه على أنه من الخارجين على المؤسسة .. وأخرجوا ايستون من المناقشات المطولة حول معالجة أمر فيلبى .

وانتمى كار وماكين إلى الأغلبية الساحقة التى اعتقدت في البدء ببراءة فيلبى ، وعرف فيلبى من موقعه كضابط اتصال المخابرات البريطانية في واشنطن تفاصيل عن عمليات الإنزال في أوكرانيا والتى ظلت المخابرات الأمريكية عن عمد لاتعلم عن عمليات المخابرات البريطانية في البلطيق . ولذا تسرب القليل بشأن تلك العمليات من مكتب فيلبى .

وشعر كار وماكين بالامتنان إزاء الأمن المحكم الذى احاط بمجموعة العملاء الذين هبطوا إلى لاتفيا .. ولم يتمكن ذلك الجاسوس المرعب من تعريض العملية للخطر . ووصل الرجال الأربعة بدون إعلان .. مع تحذير باتباع أقصى درجات اليقظة والحذر قبل وبعد الاتصال بمجموعة « ماكسس » .

الفصل السادس

الخداع الكامل

كان كار مدركاً أن هواجسه تجاه الأمن أهاجت ماكين .. لكن تلك المشاعر المكدره شيء هامشى .. حيث ينصب الاهتمام على أمن الأمة .. وجاءت إحالة بيلى داندريل للتقاعد حديثاً مترافقة مع افتراضات واسعة بأن الروس البيض الذين استخدمهم كانوا مخترقين بالكامل من قبل السوفيت .

وكان كار فخوراً بموقفه المتميز في الجهاز .. وكان مقتنعاً بأن مثل ذلك الأمر لن يقال له . ولحسن الحظ .. فإن الأمن في عمليات البلطيق ، لم يعتمد بالكامل على ماكين .. والذي يشعر كار .. أنه قريب جداً من المنفيين .

وكان هناك .. جون لويس زيوس « جون الكبير » ، وجون كروفتون « جون الصغير » في المدرسة بشارع أولد تشارش الذين يمكنهم التقاط أى شكوك عن المجندين . وفي حالة فشل مثل هذا الفحص ، هناك المدربون المتخصصين الذين ينتبهون لأي إشارة ، وفي المقام الأخير .. هناك السفراء الثلاثة المنفيين ، بمقدورهم أن يتصلوا بأبناء وطنهم .

ورغم أن مهمة بيرجس ماكلين . تُذكر بشيء كرهه وحتى على أفضل الأحوال أنها عمل خياني .. إلا أن كار يعلم أنهم أجنب وحياتهم في خطر ويعرفون المخاطر .. وكان ذلك الخط الأخير بالنسبة لكار .

وبعد كل شيء .. كان البريطانيون ومواطنو البلطيق يشتركان في هدف مشترك وهو تحطيم الشيوعية ، وأن المخابرات البريطانية تعطي العملاء فرصة نادرة ومتميزة لمساعدة بلدانهم حتى تحقق استقلالها على المدى الطويل . ، إذا حازت تلك المهمة الأخيرة على الرضاء ، فإن المخابرات البريطانية ستزيد من دعمها نوعاً ما .

تلك كانت هي الأخطار العملية والصادقة لضابط مخلص ، لكنها لمن تكن ذات عمق فكري . وحقاً .. يمكن لأي شخص أن يعرض على كار رأياً بأن ضعف المخابرات

البريطانية كان بسبب فقدان .. الرؤوس المفكرة .. الاجابة على الفور .. ان المؤسسة افضل حالاً بغياب هؤلاء .

ولان كار هو الذى نفذ اول عملية اختراق كبيرة للاتحاد السوفيتى لما يقرب من ثلاث سنوات . ولانه ايضا مقتنع بأن طفولته القصيرة فى روسيا والخبرة الطويلة فى اسكندنافيا والتي تحجب رؤية قادم جديد يساهم فى فن الجاسوسية .

وعموما فان العديد من ضباط المخابرات البريطانية ، يشاركون كار فى ازدياد أولئك الذين يبحثون عن تحليلات عميقة والتي اسميت فى السنوات التالية (المراهيا المتوحشة) ويتطلب عش الخداع الذى أتقنته الـ « كى - جى - بى » قبل ذلك الفهم النقدى .

وفى عام ١٩٢١ : وعندما أنشئت مؤسسة الـ « كى - جى - بى » : وجه لينين اهتمام فيليكس ديرجنسكى بقوله : « أخبرهم بما يريدون سماعه » .

وبوجه عام فإن المخابرات الغربية وقعت فريسة الخداع لأن ياكوشيف تسلم معلومات تؤكد الرغبات والتصورات المسبقة للمخابرات البريطانية .

وكانت لندن تحتاج قليلا من الإقناع بأن الحركة المعادية للشيوعية موجودة ، وأنها تبحث بالطبع عن علاقات وروابط مع الغرب وبعد مرور خمسة وعشرين عاما : تأكد كار تماما من وجود حركات سرية معادية لروسيا فى دول البلطيق .

ومما يدعو للسخرية : أن يسمح ضابط مخابرات « للثقة » فى أن تؤثر فى حياته المهنية .

إن صفات ومميزات كار قاصرة بحيث لا يمكنه من ممارسة الخداع النموذجى وحينما كانت تبرز على السطح أى إشارة شك .. كانت تختنق جزئيا بالمصلحة الشخصية لماكبن والعملاء المنفيين فى لندن وروسيا وتنطفىء تماما باعتقاده الذى يصل حد الهاجس فى السرية . وينكر أن الآخرين ينفذون إلى عملياته ويستبعد أى تقييم موضوعى واستطاع خداع لوكاسيفكس أن ينتعش فقط لأنه تطور فى أفضل الظروف التى اعتقد كار أنها تحول دون وقوع الخطر .

وكان عميل لوكاسيفكس ، من بين الأربعة الذين هبطوا فى لاتفيا وهو جانيس ايرجلس وكان اسمه الحركى لدى المخابرات البريطانية « أوجست » وقد قضى هذا الشخص أربعة أعوام يقاتل الأنصار فى الغابات عندما وفق سنة ١٩٤٩ على أن لديه

الخبرة الكافية ليدعى شخصياً أنه من الانصار .

وبعد أن أقام لوكاسيفكس النموذج المطلوب ، بحث عن مشرف للعملية معاد للشيوعية ويمكن أن يثق بأحكامه المنفيين .

وكان المرشح لتلك المهمة ، قس كاثوليكي هو أنثونيس سبرنجوفيتش وهو متعاطف مع الانصار ، عرف لوكاسيفكس أنه يبحث وسائل لإقامة اتصال مع الفاتيكان .

وقدم إرجلز سراً إلى القس ، تظاهر أنه كاثوليكي متحمس ، وعرض عليه أن يخدم قضية الكنيسة .. واقتنع سبرنجوفيتش بإخلاصه . ووثق بعمل الـ « كى - جى - بى » وكان معه خطاب مفرد في المديح من مطران لاتفيا الذى هرب إلى المانيا الغربية .

وفي سنة ١٩٥٠ اسقط إرجلز على ساحل جوتلاند وبعد أن أقنع بنجاح بيرتل بوند من المخابرات السويدية .. بضرورة منحه اللجوء السياسى . سمح له بالسفر إلى المانيا . وبعد نقله إلى معسكر للعمل في ألمانيا خضع للملاحظة من قبل ضابط « القسم الفنى » باعتباره مجنناً ملائماً . واستعد وجهاز للقتال من أجل حرية لاتفيا .

ولما كان موهباً .. اضطر إرجلز في البداية أن يتورط في أعمال المقاومة كارهاً . ثم اقتنع به الانجليز أخيراً ونقلوه إلى شارع اولد تشارش .

وبعد عامين .. من صبر ومهارة لوكاسيفكس .. كان عليه أن يحصل على الثمن . فبفضل ذلك أمكن وضع ضابط الـ « كى - جى - بى » ذى الخبرة في قلب المخابرات البريطانية في لندن .

. وتلقى المعلومات الأساسية ، لتنفيذ عملية خداع ناجحة .

وازداد طموحه . وقرر أن يوسع من شبكته أكثر .

وقد علم ماكين ، عن طريق بيركس أن هناك مجموعة أخرى من الانصار تحت اسم حركى « روبرتس » وكان معروفاً أنها لاتزال موجودة ، ورغم أن لتلك المجموعة روابط مع الانصار الآخرين المختبئين في غابات فيدزيم . إلا أن قادة مجموعة روبرتس ، كانوا لاتفيين محترفين ، وعاشوا في ريجا بشكل شرعى تماماً .

وذات مرة .. زرعت المعلومات ، ولم يكن ذلك قبل أن ينمو طموح ماكين بفترة طويلة ، وقد رأى ان تستفيد المخابرات البريطانية من مجموعة « روبرتس » في عملية جديدة . وينظم تلك العملية .. إرجلز والذى أثبت بعد ثلاثة شهور من التدريب موهبته

الطبيعية كضابط مخابرات .

وشرح ساليرجاس .. مجند المخابرات البريطانية ، وضابط التدريب لإيرجلز أن مهمته هي بناء شبكة مخابرات « من عملاء شيوعيين » أى .. مقيمين بشكل شرعى فى الاتحاد السوفيتى ، من سيبيريا وحتى ليننجراد .

وعلى إيرجلز أن يجد جامعى .. المعلومات .. فى كل مدينة سوفيتية كبرى ويحدد الأماكن الملائمة لإسقاط بالمظلات . وأن يستأجر الصيادين المستعدين لملاقاة السفن البريطانية على الشاطئ .

والحظر الوحيد عليه .. ألا يظهر بمظهر القومى الصارم . ولا يدرك أحد من الذين يتصل بهم أنه يعمل لحساب المخابرات البريطانية . ولأن من يتصل بهم هم مواطنون سوفيت ولديهم الغطاء القانونى كمواطنين . فإن إيرجلز يمكن أن يحشدهم لخدمة طموحاتهم .

وهكذا فإن جبل العش الذى نسجه لوكاسيفكس بدأ يطبق فى مكانه .

وبعد عام من وصول ارجلز إلى لندن ، تلقى لوكاسيفكس رسالة عبر الوكيل المقيم فى البعثة التجارية السوفيتية فى لندن تفيد أن ارجلز على وشك الرحيل بعد فترة قصيرة ووصلت الرسالة قبل أسابيع من طيران الفريق إلى هامبورج ..

أنزل كلاوس العملاء الأربعة عند مدخل نهر فينتا بالقرب من فينتلز ، وقبل ركوب ظهر القارب المطاطى انقسم الأربعة إلى مجموعتين وذهبت كل اثنتين فى طريق منفصل ورغم أن الإيقاع بأكثر من ثلاثة عملاء بريطانيين فى الفخ كان مفاجأة للوكاسيفكس إلا أن صعوبات تحقيق الخداع زادت .

وكان الهدف « عملية لارسن - س » هو السيطرة على أنشطة رجال المخابرات البريطانية داخل عش محكم ومسيطر عليه .

فبوضوح لا يمكن السماح لثلاثة عملاء محترفين بالتجول دون رقابة داخل روسيا وأن تكون اتصالاتهم كل بالآخر مكشوفة فى روسيا .

وصحب جانيس بيرزنس ، إيرجلز .. وجانيس هو مشغل جهاز اللاسلكى واسمه الحركى « تومس » وانطلقا إلى ريجا التى تقع على مسافة مائة ميل .. حسب تعليمات ساليرجاس .

وحتى بالنسبة لأولئك الذين يحملون صلاحية بالمرور فإن السفر عبر الأراضي المسطحة التي تحيط بها الغابات عملية محفوفة بالمخاطر والمخاوف .

وقد أربح التوتر الدولي وجود ستالين المخيف الجميع .. وحتى أشجع المواطنين الذين يتوقفون بانتظام عند نقاط التفتيش المتتالية وغير المتوقعة . ولم يخف ضباط المخابرات البريطانية عن مجنديهم كفاءة ووحشية نظرائهم السوفيت . أنهم ينزعون الاظافر ويحرقون السجائر في الاجسام ، ويفقاون العيون .

وعُد سأليرجاس كل ذلك أمام أولئك الذين وهبوا حياتهم من أجل معركة الحرية . وكانت حبوب السيانييد التي زودوا بها عشية الرحيل في هامبورج .. هي الخلاص ..

ظهر ارجلز وبيرزنس من داخل غابة ، واتخذا طريقهما إلى محطة السكك الحديدية واستوقهم رجلان مسلحان من رجال الأمن .

وشحب وجه بيرزنس لأن أوراقهما التي تفحص بدت غير مقنعة . وعندما ساروا صوب القرية .. انشغل إرجس في حديث مع رجال الميليشيا وفجأة توقف الأربعة ومد إرجلز يده بما يزيد على ألف روبل .. وأشار إلى بيرزنس قائلاً اجري وفي ثلاثين ثانية انطلق وابل من الرصاص من المسدس . ولكن طاشت الرصاصات .

وبعد ساعة من ذلك ، سقط الهاربان من الإنهاك في الغابة .

وعندما وصلا ريجا كان جسد بيرزنس لا يزال يرتعد من الخوف .

واقسم ألا يفادر الشقة والتي حافظ عليها ارجلز آمنه ..

وسيتمتع على إرجلز في جمع الاستخبارات لنقلها إلى لندن ..

وكانا مزودين جيداً بجهاز لاسلكي ، وخرائط واسلحة ومايزيد على ١٩٠ ألف روبل . .

أما العميلان الآخران ، فكانا في مهمة مختلفة : الأول هو لودس ابانز وهو لاتقى باسم حركي « بيتر » وكان عليه الاتصال بجماعة ماكسس وعليه إخبار لندن عما إذا كان بيركس وجالدنز أحراراً أم تحت السيطرة .

والآخر هو جوستاف من استونيا . وعليه عبور الحدود وقيم اتصالاً مع الحركة السرية « تالين TALLINN » .

ومن أجل حماية أمن العملية ، أصر ماكين الا تعرف جماعة ماكسس موعد ولا

مكان إنزال العملاء .

وبناء على نصيحة جاليتس .. قائد من الأنصار .. حذر بيركس لندن أن العملاء الجدد لن ينعموا بالحرية لوقت طويل اذا شكت جماعات الأنصار بأنهم من عملاء الـ « كى - جى - بى » وخاصة على يد جماعات الانصار التى تطوف المنطقة .

وقرر ساليرجاس أن تلك نصيحة معقولة وسأل بيركس أن يدلّه على عنوان منزل آمن يقيم فيه العميلان اقامة مؤقتة .

ووجد جاليتس مكانا ملائماً .. منزلاً لايبعد عن الساحل .

وهكذا كانت محاذير المخابرات البريطانية قصيرة العمر .

وصار أيانس مباشرة فى العش وطلب من مضيفه إعلام جماعة ماكسس بوصوله الآمن . وكان جوستاف موضع ريبة أيضا لأنه لم يترك أيانس يسافر إلى استونيا واختفى الآمن نهائيا بعد أربعة أيام فقط .. حيث التقى العميلان بجماعة ماكسس .

وصاح أباتس بكل سرور عندما شاهد بيركس والذى لايزال معروفا عند الانصار باسم حركى « أربس » وكانا صديقين فى القوات الجوية فى لاتفيا ، ثم ضابطين فى جهاز المخابرات الألمانية وقال أباتس إلى بيركس .. تعليماتى هى التعرف على كل جماعات الأنصار فى ريجا وفى الغابات .

وتوقع لوكاسيفكس أن تطلب لندن إعادة التحقق من نشاطات الأنصار . وفى الأسابيع السابقة .. أرسل ضباط الـ « كى - جى - بى » إلى غابات فيدزيم للعمل كما لو كانوا أعضاء فى جماعة « روبرتس » من الأنصار .

وكان يجب تقديم أباتس إلى المجموعة ..

وابتسم الميجور وهو يمازح رئيسه الجنرال فيفرس .. قائلاً أصبحت لعبة هائلة .. ولم يتوقع لوكاسيفكس أن تعليمات بحوزة أباتس وفى الانقضاض التالى لكلارس .. عليه أن يعود إلى هامبورج ومعه بيركس أو جالدنز وقائد جماعة ماكسس « جاليتس » حسب رواية القادم الجديد .

ولم تحن فرصة العودة إلى بريطانيا إلا بعد عامين تقريباً ، فلقد استغرقت الغابات كلا العميلين - وبيركس كان مريضا . وجالدنز لأنه أحس بأن العملية كانت فاشلة .

وقال جالدنز فى ذات مرة وهو يتشاجر مع بيركس : « علينا أن نساغر أكثر »

ونقتل قليل من الروس أيضا .

وكان لوكاسيفكس مقتنعاً .. أنه وتحت أية ظروف لايسمح لجالدنز شخصياً أن يعبر عن عدم رضاه في لندن .

ونصح ضابط الـ « كى - جى - بى » جاليتس أن يقول له : « من المهم جداً أن يذهب ، وأضاف « لقد أوشك الوقت بالنسبة لرجل يتباهى بنشاطه في زمن الحرب ضمن زمرة مجرمة أن يقدم إلى العدالة .

أما بيركس ، من جهة أخرى .. فإن أمره يعتمد على إرساله تقريراً إلى لندن ، عندما يشفى من مرضه . وفي المناقشات المتكررة مع جاليتس وعد بيركس بأنه سيبحث ساليرجاس بزيادة مساعدة المخابرات البريطانية .

ونقل كابورس مقترحات لوكاسيفكس .. بأن بيركس هو الوحيد الذى يجب أن يعود إلى برودوى وفي نفس الوقت هناك حاجة بالنسبة للوافدين الجدد بيتر وجوستاف لمعالجة أمرهم واحتوائهم .

وقال أبانس إلى جاليتس : ساعيش في كنف « ماكسس » ، ثم جماعة روبرتس وأخيراً اسافر إلى ريجا قبل إرسال تقريرى إلى لندن .

واقترح بيركس بعد مرور عدة أيام أنه « عميل حر » وقرر أبانس أن يلتقى مع جماعة روبرتس . وترك جوستاف المعسكر معه وأمر أبانس ألا يصحبه أى فرد من جماعة الأنصار « ماكسس » وأراد أن يكون مستقلاً وإعطاء جوستاف الفرصة للسفر إلى استونيا دون رقابة .

ولم يكن لدى لوكاسيفكس أى اعتراض . فإن ذلك يخدم أغراضه حيث يترك انطباعاً لدى أبانس أن جماعات الأنصار ليست متصلة بعضها ببعض ، ووصل أبانس إلى غايته دون صعوبة تذكر . وكما كان معداً من قبل انفصل عن الاستونى في الطريق

وتظل الملابس الدقيقة المتعلقة بمصير جوستاف غامضة لأنها ربما تكون غامضة أيضاً في ملفات الـ « كى - جى - بى » . ومن المتفق عليه والشائع .. أنه في ٢٥ أبريل سنة ١٩٥١ توجه الإستونى شمالاً نحو الحدود . وما هى إلا ساعات قليلة فيما بعد حتى غطى جسده الفيضان السريع لنهر أوجافا . وسيظهر في أيام قليلة منذ وصول أبانس وجوستاف .

لم يستطع لوكاسيفكس أن يتحقق عما إذا كانت الـ « كى - جى - بى » فى استونيا كانت قادرة على السيطرة على العميل البريطانى .. ويعد ذلك مؤشراً لفقدان التعاون المؤقت بين الدولتين الجارتين وفشل المركز فى موسكو تنسيق عملية الخداع . ولذا أمر لوكاسيفكس بإلقاء القبض على العميل « الاستونى » بعد انفصاله عن أبانس . وفسدت تلك المهمة البسيطة وابتلع جوستاف قرص السيانييد ، ورغم زعم لوكاسيفكس أن توقيف جوستاف من قبل حراس الحدود كان عملاً خطيراً .

وكان على بيركس أن يعرر رسالته إلى برودوى والذى يفترض فيها أن الـ « كى - جى - بى » قد بدأت استجواباً وتحقيقاً وتنتظر النتائج . وهكذا استبدت عملية الـ « كى - جى - بى » على نحو مؤلم ويثقلها التردد . وتركت الجثة مع النهر حتى تشكل جزءاً من قصة التغطية والتي كان مأمولاً أن تثير قدراً قليلاً من الحذر عندما تنقل إلى لندن .

وسمع بيركس أخبار موت جوستاف من رجل أرسلته جماعة روبرتس وغادر بيركس وجاليتس المكان على الفور وعثروا على فلاح شاهد عيان للمأساة والتي وصف لبيركس كيف أوقفه رعاة الماشية الذين يشكون فى أى غريب يسافر عبر منطقة الحدود .

وشرح « الفلاح » أن جوستاف لم يمثل لرعاة الماشية عندما صاحوا فيه . ولم يكن الرجل الإستونى يتحدث اللغة اللاتفية ، وتجمع حرس الحدود ، وبينما هم يحاولون إلقاء القبض عليه .. ابتلع قرصاً وألقى برأسه فى النهر .. وأخذ يتلوي عندما بدأ قرص السيانييد يؤتى مفعوله .

وشاهد عيان آخر ، زخرف تلك الرواية بوصف كيفية إطلاق النار على الشخص الهارب ، وعندما شاهد بيركس الجثة ، وجد جرحاً حقيقياً . ونقل كابرس رسالة بيركس الشفوية عن تلك الحادثة .. وفسر صمت برودوى على نحو إيجابى .

ولم يبد أبانس أية مشاعر ، عندما أخبر عن موت جوستاف رغم أن أنصاره لاحظوا أنه أصبح عصبياً بشكل ملحوظ ..

ثم فهم لوكاسيفكس بعد ذلك أن المخابرات البريطانية اختارت أبانس لفحص الشبكة . وكان شكاً بالطبيعة ويحمل كراهية عميقة للشيوعية ، وكان أحد أعضاء مجموعة روبرتس وهو البرتس دايلوس « فورست » قد أرسل تحذيره عن مشاعر القادم الجديد إلى مقر قيادة الـ « كى - جى - بى » وقال أبانس وهو يزمجر ..

« عندما ننتهى من الروس » ساطق الرصاص على كل شيوعى أجده فى الصباح ثم أتناول الغداء مع كثير من الفودكا ثم أوصل إطلاق الرصاص بعد الظهر وسوف تكون شهيتى فى حالة جيدة فى العشاء . وحتى يؤكد تعهده بذلك كان أبانس يلعب دائما بمسدسه ، ودائماً ما ينهض ويسحبه من جيبه على طريقة « رعاة البقر » ويقول باو ، باو.

وحذر دابلوس فى تقرير إلى القيادة أن أبسط ذلة أثناء العملية فى وجود أبانس ستكلف عميل الـ « كى - جى - بى » حياته .. لأنه واثق من نفسه ويصر على أن يكون فى القمة .

وعم عدم الاستقرار بسبب حماقات أبانس .

وأثناء أيامه الأولى مع جماعة « روبرتس » كشف عميل المخابرات البريطانية كم عدد مواطنى البلطيق الذين تلقوا التدريب فى شارع أولد تشارش ، بل كشف عن هوياتهم وأسمائهم الحركية (الشفوية) .

وأفادت تلك المفاخر التى تباهى بها أن المخابرات البريطانية كانت تخطط لعملية كبرى . واحتار لوكاسفيكس لغياب الأمن .

وبالتأكيد فإن البريطانيين ليسوا هواه . أو أن الحفاظ على أبانس حيا وراضيا أمر حيوى لاكتشاف الإجابة وضمان ونجاح للـ « كى - جى - بى » .

وفى بداية مايو أرسل أبانس رسالة شفوية إلى لندن : « كل شىء تمام .. وفى معسكر ماكسس .. انتظر وصول كلوس فى نهاية الشهر » وكان على بيركس أن يعود إلى بريطانيا بصحبة جاليتس . كما طلبت برودوى ذلك .

وتم الحصول على قارب من صياد أسماك ، وبعد تلقى إشارة من لندن بالموعد وجدفوا فى الموعد بالقارب لملاقاة القارب (س - ٢٠٨) وفشل قارب الحراسة فى الوصول وكان ذلك التأخير غير مفهوم بالنسبة لبيركس ومثير للأعصاب . وقبل الفجر بساعة وبناء على اقتراح جاليتس .. عادوا إلى الشاطيء .

وفى الواقع ، أن بيركس أبحر حتى أصبح على بعد خمسة أميال من الرجلين ومعه ثلاثة عملاء على متن قاربه . ولكن أخذته الدهشة .. حيث لاحظ قارب حراسة سوفيتى (القارب س ٢٠٨) فى المرة السابقة .. وانتظر للإيقاع به فى الزيارة الثانية وغير مدرك

أن المخابرات السوفيتية كانت متلهفة أن يصل القارب بأمان ، ولاحظ كلاوس وهو يقف في كابينة القيادة في القارب (س ٢٠٨) أن سفينة سوفيتية عندما بدأ قاربه في الاقتراب من المياه الإقليمية متجهاً إلى الشاطئ .

واصدر أمراً حازماً .. أن تزداد قوة المحرك إلى ٥٠ عقدة حتى يتفوق على المطاردين . وقبل أن يلتقط المصورون الروس فيلماً للقارب الهارب .

وفي مستهل عودة كلاوس إلى هامبورج كانت تلك الحادثة أسباباً لازمة دولية ..

حيث اشتكى فاسيليف مولوتوف شخصياً بناء على توجيهات وزارة الدفاع ، إلى بيغن من الغزو غير المقبول .. للمياه الإقليمية السوفيتية بواسطة سفينة تجسس ووقع بيغن في حيرة و حرج . وتعلق موظفو الخارجية البريطانية المحنكون ، في القسم الشمالي بتقارير البحرية الملكية عن تركيز ضخم وغامض للسفن الحربية السوفيتية في البلطيق قرب فينتسلبس ، وان تبدد غموض ذلك فيما بعد ..

ولم يتابع احتجاج مولوتوف . وأبلغ الجنرال كرجلوف غاضباً وزارة الدفاع أن حمايتهم الجادة للوطن قد تداخلت مع عملية في غاية السرية .

وفي هامبورج ، وانتظاراً لليالي الخريف الطويلة ، بدأ كلاوس يعد للعودة إلى البلطيق .

وبنهاية سبتمبر ، طار نفس العملاء الثلاثة من لندن إلى ألمانيا ، وهم : مولييسلاف بيانيس « مشغل اللاسلكي » ، حينئذ سنة ١٩٥١ بينما هو يعمل في مخبز بلندن . وهو عضو سابق بالفيلق اللاتفى وقد وصل إلى لندن في ظل مشروع « ويست وود هو » ، وشرح فيما بعد للأنصار .. أنه كان غريباً في بريطانيا وكنت أود العودة إلى وطنى .

واشترط في عقده مع المخابرات البريطانية أن تدفع له راتب خمسة جنيهات استرليني أسبوعياً ، على حساب في بنك سويسرى .

ورفيقاه الآخران هما : ليو أودوفا « أنتس » ، ومارك بيداك « أوتو » وكلاهما من استونيا ، وهما حسب خطة المخابرات البريطانية .. سيلقيان المساعدة في استونيا من قبل جماعة ماكسس . وكلاهما عضو سابق في الفيلق الإستونى .

وكان أودوف منذ الحرب أصبح متديناً بشدة ويحمل دائماً نسخة من العهد الجديد . ومهمة الرجلين هي تنفيذ مهمة جوستاف الأصلية وإقامة اتصال مع الحركات السرية في استونيا ..

وتحسباً لمشكلات في الإنزال ، أرسلت برودوى تياراً من الرسائل إلى ماكسس تنصح بالإجراءات الخاصة بوصول (س ٢٠٨) بما في ذلك استخدام منارة تعمل بالبطارية . ورسائل بشفرة موريس ، وإشارات ضوئية على شكل حرف (K) .

واختير موقع الإنزال في ليلة ٢٨ / ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٥١ في خليج يقع على بعد ستة كيلومترات عن فنار أوجافا في بقعة عمياء بالنسبة لشبكة الرادار السوفيتية .

وبعد أن حصل العملاء الثلاثة على التسلية للمرة الأخيرة في النوادي الليلية . توجهوا إلى سفينة فلاوس واستعدوا لرحلة الستمائة ميل وتحتوى الحقايب التسعة الضخمة التي يحملونها .. على أربعة أجهزة لاسلكى وكتب شفيرة واحبار سرية وثلاثة مدافع نصف آلية وست مسدسات وألفى طلقة ذخيرة و ١٥٠ ألف روبل ، وقد اقنعت برودوى هؤلاء أن إقامة شبكات « المخابرات في البلطيق » يخدم بإخلاص في قضيتهم .

وفي تلك المرة ، أحس كلاوس بالثقة ، عندما لمس حافة الشاطئ في الليلة القمرية لأنه خدع سفن الحراسة السوفيتية . وعلى بعد نصف ميل من الشاطئ ومضت الإشارات الضوئية على شكل حرف (K) .. وأنزل قارب مطاطى يسمى « ليدى جان روسيل » إلى الماء . وعلى الشاطئ أخذ بيركس يلوح بإشارات الوداع إلى كيبورس قائلاً .. سأفعل ما بوسعى لأكون ضمن مجموعتك عندما أعود مرة أخرى ، ما الذى أرسله لك من لندن ؟

وأجاب كيبورس .. مزيداً من النقود والبنادق والرعاية الطبية ، وأوما بيركس ودس في يد كيبورس رزمة وثائق سوفيتية على بياض .

وقال له : يمكنك أن تستخدمها في إضفاء الشرعية على نفسك ..

وتنهذ بيركس .. وخاض في المياه الداكنة متوجهاً إلى القارب المطاطى وشوهد جاليتس .. في ذات اللحظة .. وهو ينحن ويأخذ حفنة من الرمال ووضعها في جيبه .. وتعجب كيبورس من ذلك لأن ضباط الـ « كى - جى - بى » لا يؤمنون بالعواطف أو الإحساس ..

وفور أن صعد بيركس وجاليتس على سطح المركب ، قدم كلاوس لكل منهما زجاجة براندى وسيجاراً فخماً ، وضحك قائلاً : إنها هدية من العم سام . وساعد الفريق المتلهف لوصول الثلاثة عملاء في حمل الحقايب .. ثم اختفوا بعدئذ بين الأشجار ، وعند الفجر وفي معسكر جماعة .. ماكسس .. أخرج بياتنس مظروفاً كبيراً من جيبه يحتوى

على خطاب من ساليرجاس وقراه بياتنس بصوت عال أمام الأنصار المحتشدين .
والخطاب يفيض بالأمنيات القومية والوطنية وانتهى بعبارة « لن ننسأك أنت
ومقاتلوك » .

وحقق كيبورس الذى أصبح « أبانس .. مُشغل اللاسلكى »

إن مستقبل نجاح لوكاسيفكس يعتمد فى تلك العملية على كيفية مايحزره جاليتس
فى لندن من نجاح أيضا ..

واعتبر ساليرجاس وريبان .. أن الوصول الأمن لقائد جماعة « ماكسس » وعودة
بيركس عملاً بالغ الأهمية .. وكانا ينتظران عودة (س ٢٠٨) عندما رسى فى كيل .
ولقى الضيوف ترحيباً حاراً بلا حدود . وكان مقرراً أن يطيرا بعد ذلك مباشرة من
جوترسلوه إلى « فيرفولد » ولكن الأهم كنوع من الحذر .. تغيير الملابس .. وترك ملابس
وأردية الغابات فى هامبورج .

وبدأ ساليرجاس يشرح لجاليتس كيفية حماية نفسه إذا تعرض للاعتقال من
المفتشين ، عند العودة .

وفى الطريق إلى بريطانيا ، بدأ جاليتس يحكى إلى ساليرجاس عن نجاحات الأنصار
ومشاكلهم . « هناك العديد من الجماعات فى المنطقة » وأكد على سامعه المتلهف « بأن
سبعة منها على الأقل قوية » ولكنهم بحاجة إلى مزيد من الأسلحة والمال والوثائق ..

وأوما ساليرجاس بالموافقة . قائلاً « لاتنزعج » سنساعدكم وسترسل إلى مدرسة
خاصة حيث يمكنك التدريب لتكون كادراً يوسع شبكة المخابرات .. واعتقد ضابط الـ
« كى - جى - بى » ان مهمته أقل صعوبة مما تخيل لوكاسيفكس .

وفى لندن ، انفصلت المجموعة .. وكان بيركس يحتاج لعلاج طبي عاجل بينما
جاليتس ذهب إلى مكتب فى منطقة فيكتوريا للاستجواب المكثف من قبل ساليرجاس .
وكان المناخ منفرجاً .. حيث وضعت الحرب الكورية أوزارها على نحو غير متوقع .
وخفت حدة التهديد لأوروبا .. إلا أن التوتر ظل قائماً ..

وفى الأيام التالية .. أدرك جاليتس بالتدريج أن ساليرجاس ، المدعو « جايربيل »
كان خطافاً ألقى به العم ماكبن ..

وبدا المواطن اللاتفى متحيراً من أن الأنصار لم يستخدموا الأسلحة التى زودتهم

بها بريطانيا للاشتباك مع الروس في مناوشات ، ولكن في حرب شاملة .. والتي تخيل أنها الأمل الوحيد لاستقلال لاتفيا .

وعلى النقيض من ذلك .. كان ماكبن الذى التقاه جاليتس في اجتماعات منفصلة ، بدا مستبعدا لفكرة إراقة الدماء وطلب من الأنصار القيام بعمليات استخبارية يمكن أن تستخدم من الغرب لإضعاف السيطرة السوفيتية .

وكان الانقسام المكشوف داخل الإدارات لاتخفى دلالاته ولكنه خبا في عقل عميل الـ « كى - جى - بى » ، لأن الضغوط التى تعرض لها تكثفت في أثناء الاستجوابات اليومية .

وبعد أربعة أسابيع ، وبالتقريب ، من وصول رجل الـ « كى - جى - بى » انهارت أعصابه ، وأرسل ساليرجاس إلى جماعة ماكسس يخبرهم أن قائدهم يعانى من انهيار ويعالج في إحدى المستشفيات ، وأجلت عودته .

وشك لوكاسيفكس في أن انكشاف جاليتس والعملية . ولكن من العملي . الاستمرار كالمعتاد .

وفي ذات الوقت .. كان بيداك ، وأوروفا يشقان طريقهما الأمن إلى استونيا . وكانت أوامر بيدال هى الاتصال بصديق ريبان القديم سيرسل .. مكان قائداً من الأنصار .

وكان توجيه ريبان « أنه عند أول لقاء به لابد من سؤاله عن المساندة التى ينبغى تقديمها . لأن سيرسل بكل ذكريات الجبهة الشرقية سيرهن لك أنك قابلت الرجل المناسب .. ولكن لمزيد من التاكيد هذه قائمة بالأسئلة الشخصية وبعض الإجابات التى لابد أنه يعرفها جيداً ..

وأطاع بيداك . وفي منزل خارج العاصمة الاستونية ثالثى التقى مع سيريل الذى اتى بعد تأخير طفيف ..

ووجد بيداك الساعة التى يرتديها في يده تخضع للتفتيش ولم يحتج .

وفي الإجابة على أسئلة بيداك ، أجاب سيريل الإجابات الصحيحة وإن بدا لبعض الوقت غير متأكد تماما من تلك الإجابات . ورغم أن بيداك أصبح أكثر يقينا في اليوم التالى .. وتبددت أى شكوك لدى بيداك .. وبعد أيام قليلة .. أرسل بالشفرة إلى لندن « كل شىء على مايرام » ولأن الرسالة الشفرية لم تحتو على الحروف التى تشير إلى أن بيداك لايقع تحت السيطرة السوفيتية .. فقد أخبر ريبان .. ماكبن .. ضرورة إرسال المزيد من العملاء بطريقة أكثر أمناً .

ولم يكن معروفًا لبيدك .. أن سيريل الحقيقي كان معتقلاً من الـ « كى - جى - بي » وهددوه بالتعذيب . وأنه اعترف سابقاً .. لبديله .. فانت .. بكل جانب من حياته مع ريبان .

ولذلك قرر ماكبن وعلى الفور ، أن طريق لاتفيا هو الأكثر أماناً لزراع العملاء (وأرسل آخرون فيما بعد على متن قارب سريع من فنلندا) ويجب تدبير بعض العمليات عبر الحدود ، نظراً لاتساع ونمو عش الـ « كى - جى - بي » فى استونيا ..

وخلال الصيف .. عمل أبانس ، كيبورس وأربعة آخرون على أنهم مجموعة « روبرتس » ولكن الانصار وجدوا ذلك الجهد مضنياً . وشرح كيبورس إلى لوكاسيفكس بأن الحياة على مقربة وثيقة مع عميل المخابرات البريطانية .. ووسط الناموس والرطوبة املت إحساساً دائماً بالخوف من الخيانة والغدر وخاصة عندما ينامون . وأضاف « ويطلب أبانس الآن أن يشن الانصار هجوماً على ضباط الـ « كى - جى - بي » ، وقال كيبورس : « فإن ذلك سيكون عملاً خطيراً » وكان حل لوكاسيفكس هو الهجوم على معسكرات الانصار .

وأجبرت الغارة المفاجأة جماعة روبرتس على خرق الامان بحثاً عن غطاء . وفاقمت من مخاوف أبانس ووجوده الحذر .. ووجه فوهة مسدسه تجاه أى صوت ضعيف . وحكم على حيلة لوكاسيفكس أن تواجه بعمل مضاد ..

وحينما بدأت الثلوج تهطل وافق ميجور الـ « كى - جى - بي » على أن مشقة الحياة فى الغابات لشتاء ثان أمر زائد عن الحد .

ونشطت شبكة المتعاطفين المعادين لروسيا فى ريجا . وتم تجنيد أطباء ومهندسين ومدرسين وكتاب بما يمكن من تسكين عملاء المخابرات البريطانية . وتقرر أن يعيش أبانس مع اليمار رميس ، صحفى فى الثلاثين من العمر والذى جنده لوكاسيفكس لرعاية العميل البريطانى ..

ولم يكن تجنيد رميس أمراً مثيراً ولكن جدير بالاهتمام ففى أثناء الاحتلال الألمانى شاركت أسرته المنتمية للطبقة الوسطى فى التسامح إزاء النازى ، والعداء للشيوخيين والتحق ببناء على رغبته بالجيش الألمانى .. وهاجر هو والألمان المتقهقرون إلى ألمانيا ، ثم عاد إلى ريجا فيما بعد ، ليستأنف دراسته وبدلاً من أن تعتقله الـ « كى - جى - بي »

وترسله إلى سيبيريا . أطلق سراحه وسمح له بالعودة إلى وطنه وكان ذلك أمراً غامضاً .
وفي عام ١٩٤٧ كان لوكاسيفكس يبحث عن مواطنين لا يثيرون شكوك المخابرات
البريطانية . وكان ريمس موضع اهتمام خاص .

وقبل الحرب .. كان ريمس .. وبمساعدة أسرته ، على صلة خاصة مع المجتمع
البريطاني المقيم في بلاده ، وكشاب صغير ، ظلت ميوله السياسية بريئة تماما ، وأي
تحقيق تجريبه المخابرات البريطانية لن يعثر له على نشاط يميني أو يساري .. بل
يكشف عن أساس مؤيد للغرب ، ذلك جعل من ريمس مرشحاً مثالياً لعملية الخداع التي
تقوم بها الـ « كى - جى - بى » .

وعند تلقى ريمس في نهاية سنة ١٩٤٧ خطاباً ليرسله إلى المكتب العسكري في ريجا
للكشف عن صلاحيته المستمرة للمشروع ، رغم أن ذلك كان مجرد إجراء روتيني

وفي مقابلة غير رسمية ، لاحظ ريمس وجود ضابط قليل الكلام بجوار المحقق ،
وكان الاجتماع قصيراً وسئل أن يظل بالخارج . وبعد خمسة عشر دقيقة اقترب منه
الضابط الصامت وبدأ معه حديثاً عن الأحداث في بلاده من الحرب . واشتركا معا في
لقاءات ودية تالية ، وكان الحديث انتزاعاً « بطريقة سرية » لمواقف ريمس بأسلوب ودي
ولطيف . وعندما كشف الضابط المجهول عن هويته وكان هو الميجور « لوكاسيفكس
من الـ « كى - جى - بى » أدرك ريمس كيف مهد الضابط الأرضية بمهارة على المستوى
النفسي قبل أن يقدم عرضه « نريد منك بعض سنوات عمرك في خدمة الوطن » ولن
تكون لديك أية مشاكل بعد ذلك .. ولك شكرنا فقط » وكان هذا عرضاً لا يمكن رفضه .

وخلال العامين التاليين .. عهد إلى ريمس بمهمة أن يبدوا أمام الدبلوماسيين
الغربيين كمعادى ساخط للشيوعية . أملا في أن ينخدعوا ويدخلوا إلى المصيدة .

وفي سنة ١٩٥٠ ، عندما كان لوكاسيفكس يبحث عن منازل آمنة « للأنصار » ،
استدعى ريمس إلى موسكو ليكون واحداً ضمن مجموعة ماكسس وأن يوفر حاجة
لودس أبانس لمنزل آمن في شارع زالا في ريجا .

ولا تحتاج إلى شيء غير أن تجعله راضياً وعتيقاً قدر الإمكان .. وبدأت لريمس
مهمة غير معقدة حتى كان لقاؤهما الأول على وجبة طعام .. حتى أدرك أن ضيفه كان
ممثلاً ومؤلفاً وكان « لصا مرتجلاً لا يمكن التكهن بما يفعل على الإطلاق » .

وكان أبانس قلقاً تجاه بناء شبكة وعصبياً تجاه مخاطر مواجهة الـ « كى - جى -
بى » وكان الحل دائماً عنده هو حمل مسدس محشو بالرصاص في جيبه من ماركة

والتر .. وكان يخرجهم على الفور عندما كان يدخل أو يغادر الشقة التي يقطن بها في الطابق الرابع . ويضع بجانب نافذة حجرة النوم .. لفة من الحبال .. للهروب السريع .

وعندما سافر أبانس مع ريمس بالسيارة .. كان يضع بندقية نصف آلية تحت ملابسه .. وحتى تناول الطعام في الشقة أصبح شيئاً خطيراً . وكان غالباً ما يصبو مسدسه تجاه ريمس وهو يردد مزعوراً من الخوف « لانريد استخدام الرصاص ضد الشيوعيين ، إنما سنشنتقهم فرداً فرداً » .

وكان المنفى العائد تجاه حمام الدم الذي يحلم به .. تصيب ريمس بقشعريرة ، لأنه يدرك أنه سيكون من أوائل الضحايا ..

وسأل ريمس .. بالتأكيد ان البريطانيين أكثر تحضراً من أن يتورطوا في قتل الناس ؟

وأجاب أبانس .. ليس هناك من شيء تفعله مهم .

وأوما ريمس .. سنكون في مأمن ..

وواصل أبانس القول « عندما نصل السلطة » في صوت أجش ومشهود في أثناء عشاء مع الشراب ، سوف أحصل على نقود كثيرة وعلى موقع في الحكومة . وأثناء الشراب يكون أبانس طريفاً للغاية .. بينما تصيب ريمس عرقاً بارداً عندما بدأ ضيفه الحديث عن ذكريات الحرب وتفاخر بدوره في إعدام جماعات إرجياس وقال قتلناهم جميعاً ، شيوعيين ويهوداً ونساءً وأطفالاً .

وبعد ذلك .. فحص لوكاسيفكس الارشيف لمعرفة عما إذا كان أبانس حقاً قاتلاً محترفاً ولم يعثر على دليل بذلك . ومن المحتمل أن يكون كلامه مجرد تفاخر فارغ ولكنه كشف عن تحالف غير معروف بين القوميين واللاتفيين والحكومة البريطانية .

وبينما كان أبانس في رعاية ريمس .. بتمويل من المخابرات البريطانية .. كان يخرج إلى المدينة على نحو منتظم لجمع المعلومات ويبحث عن المجندين . وكان يعطى كابوريس - عبر « ريمس » رسائل لنقلها إلى لندن ولم يكن مشغل اللاسلكى ، التابع للـ « كى - جى - بى » في الغابة ، كما تخيل أبانس وإنما عاد إلى أسرته في ريجا . وكان يتوجه يوميا للعمل في شارع لينين وكانت سيارته الليموزين مزودة بنوافذ سوداء خشية أن يقع عليه بصر أبانس عندما يعبر شوارع المدينة الصغيرة .

وفي بداية مارس سنة ١٩٥٢ ، تلقى لوكاسيفكس معلومات كافية من مصادر أخرى في لندن تؤكد أن مرض جاليتس حقيقى . وأن الشهور المنصرفة لم تكن هناك تحركات ولم يصل عملاء جدد وحاول أن يحفظ مشغلى اللاسلكى فى جماعة روبرتس وماكس فى حالة عمل .. وزودهم باستخبارات حقيقية .

واختلط تقديره ، عندما طلبت برودوى من أبانس قائمة بكل سفن الأسطول البحرى فى ميناء فينتلبيس ، وحمل ريمس الرسالة الشفريية من كيپورس إلى أبانس .. وبعد فك الشفرة ، طلب عميل المخابرات البريطانية من ريمس الحصول على المعلومات . وأبلغ لوكاسيفكس المركز فى موسكو عن مطلب لندن ، وطلب إذننا بإرسال المعلومات . ولدهشته . أن موسكو أجابته .. أن وزارة الدفاع عارضت إعطاء لندن المعلومات الحقيقية وأصرت أن تحصل لندن فقط على عدد سفن يقل عن الموجود فى الميناء .

واحتج لوكاسيفكس بأن سفن الشحن الفرنسية والسويدية التى تزور ميناء فينتلبيس .. والتقارير التى سيقدمونها بعد عودتهم ستدحض معلومات الأنصار ويبدو أن البيروقراطية لم تهزم أمام لوكاسيفكس .

وجهاز ريمس المعلومات المعلومات « الكاذبة » التى طلبها أبانس والتى شفرها وسلمها لريمس لترسل إلى كيپورس لنقلها إلى لندن .

وبعد بضعة أسابيع فيما بعد .. أرسلت لندن إشارة أفادت « أنها لاحظت فجوة فى المعلومات وتحت على مزيد من العناية بالتفاصيل » .

وشملت الرسالة على مطلب آخر : وهو أن عميلاً على وشك السفر إلى جوركى ومطلوب تقرير عن غواصة جديدة ، كشفت عنها مصادر أخرى ، على وشك الإبحار من باكو وعبر الفولجا ، متجهة إلى البحر الأبيض ، ولأن وزارة الدفاع فى موسكو لن تسمح بالإفراج عن الاستخبارات المطلوبة .. قرر لوكاسيفكس اتخاذ إجراءات صارمة ضرورية .

يجب أن يعود جاليتس .. فبدونه .. ستقل قوة دفع عملية الخداع ، ومخاطر الانكشاف تتزايد .

وقرر لوكاسيفكس .. زيادة المخاطر .. فلا بد أن تقتنع برودوى أن الانصار في خطر وهناك حاجة لمزيد من العملاء ، وأرسلت رسالتين في أوائل ابريل سنة ١٩٥٢ لتتذر بالخطر في لندن .

وكانت أول رسالة .. جاليتس مات من المرض .. وكان مينوس (اوجادنز) طلب من بيركس إرسال حبوب مخدرة لزائدته الدودية التى تسبب له ألماً .. وفسر ساليرجاس « إشعار الموت » بأنه يعنى أن تلك الحبوب كانت مطلوبة على وجه السرعة أكثر مما ادرك .. وكان الموت سوء حظ ولكن الحقيقة كانت أسوأ .

وكان جالدنز قد قضى الشتاء في منزل متعاطف مع الانصار وزوجته وجدت شقاق بين الرجلين عندما تقدم جالدنز بشكل واضح من السيدة . وكان عليه أن يبحث عن مأوى آخر .

واتفق أن يسافر أولاً إلى ريجا . وكان نفس قارب الصيد الذى حمله إلى الغابات منذ ثلاثة سنوات مضت هو ذاته الذى حمله عائداً إلى المدينة . وتوقف في الطريق .. للتزود بالوقود . وحينئذ ظهرت « سفينة حراسة مسلحة » وسئلت المجموعة عن وثائق الهوية واضطر السائق إلى أن يشير إلى جالدنز وقال « إنه مسافر مجاناً » ولم يره من قبل ، واعترف جالدنز أن زوراقه فقدت .

وبينما صوب أحد رجال الحراسة المسدس صوب جالدنز ، بدأ الآخر يفتش في ملابسه وعثر على مسدس وخرائط . وقال بدهشة ظاهرة : « لقد أمسكنا بجاسوس » واستجوب جالدنز ولقى حتفه وأنكر عن عمد أية معرفة « بعش لوكاسيفكس » تحسباً لإمكانية الهرب وبعد الإعدام وصلت الرسالة المختصرة إلى لندن تخبرها بموت جالدنز . وبعد أسابيع قليلة .. وصلت رسالة بالحبر السرى على عنوان سرى في أوروبا الغربية وتحتوى على تفاصيل « دفنه بكل التقدير » وتجهيز مقبرته بالقرب من ثلاثة أشجار بلوط .

وكان جانيس بيرزنس (تومى) ضحية خطة لوكاسيفكس لإنذار لندن . ووضع لوكاسيفكس قصتين ، وتقرر سجلات الـ « كى - جى - بى » أنه كان دائم الخوف من الرقابة والرصد والأسر وأخيراً فقد أعصابه وألقى بنفسه من النافذة بشقة بالدور الخامس في ريجا .

والتقرير التالى الذى أرسل إلى لندن قرر : أن بيرزنس ومساعد له ألقا الـ « كى - جى - بى » القبض عليهما في ريجا في الطريق لإرسال رسالة لاسلكية وسحب كلاهما

بندقية ومات المساعد على الفور ، بينما جرح بيرزنس وبدلاً من أن يقع في الأسر حياً ..
أطلق على رأسه الرصاص ببطولة ..

وتنتهى الرسالة بالأسف .. وتقول : إن جهاز اللاسلكى وجدول مواعيد الرسائل
الشفرية .. عثرت عليه ال « كى - جى - بى » ، لكن ظلت الشفرة سليمة .
وأثمرت الأنباء السيئة النتائج المأمولة ..

وافترضت جماعة ماكس أن يعود جاليتس ومعه ثلاثة عملاء في ابريل .

وكانت الأيام التى سبقت نقل جاليتس إلى ألمانيا محمومة ولكن كانت بها لحظات
هزلية فريدة .. حيث أنفق ساليرجاس ساعات طويلة مجادلاً قائد الأنصار عن فرصة
التمرد الشامل المسلح لتحرير لاتفيا . وتوقفت المناقشات بسبب مرض رجل .. الأنصار
.. وإن كان ساليرجاس يعتقد أنهم لابد أن يوافقوا على استراتيجية عدوانية تتجاهل
تماماً تعليمات ماكبن وبلغت تلك المناقشات الذروة قبل رحيل جاليتس .

ومرت بوجه ساليرجاس لحظة عبوس غير عادية . عندما نهض وصافح جاليتس .
وأخرج ورقة من ملف ، وشرح ضابط المخابرات البريطانية .. أهمية الرسميات التى
يجب أن تمتثل لها . وأحب أن توقع على تلك الوثيقة ، وأخذ جاليتس الورقة ووقع « أنا
أرفيتز جاليتس » وقرأ باللغة اللاتفية .. أعرف أننى أتحمل مسئولية تجاه لاتفيا
وشعبها والرب وأقسم أننى لن أقول شيئاً عن عملى ولا عن تلك الأهداف .

« وأفهم أننى إذا قلت مثل هذا فإننى أستحق الموت واعتبر نفسى فقط فى حل من
هذا القسم عندما تعطينى الحكومة اللاتفية إذناً بذلك .

وعندما انتهى جاليتس من القراءة ، قال ساليرجاس بنبرة حزن « عليك أن تقسم
أمام الله والحكومة أنك ستقاتل من أجل تحرير لاتفيا » .

وكان عميل الـ « كى - جى - بى » مؤهلاً بلقائه لكى يتفهم ملابسات الموقف
وبدأت أعصاب جاليتس تنسل مرة أخرى . وصاح وهو يشير إلى الحقائق المملوءة
بالمستلزمات والأغراض « لأريد كل تلك الحقائق » وإن الغابات مليئة بالمفتشين ولم
يهتم ساليرجاس وسافرا معاً إلى هامبورج وفى عشية الصعود إلى القارب (س ٢٠٨)
طلب الكولونيل ريبان من جاليتس التحلى بالشجاعة فى نضاله المستقبل . ضد ستالين
اللعين . ولا يمكن لأحد أن يلعن اسم ستالين العظيم ..

ونظر اللاتفى إلى ريبان وأوشك أن يلقى به من النافذة ..

ولايزال ساليرجاس فاشلاً في الوصول إلى الاستنتاج الصحيح .
وفي ليلة ٢٠ ابريل سنة ١٩٥٢ ناور كلاوس مرة أخرى تجاه وميض الضوء
الأحمر في البقعة المخصصة للإنزال القريبة من فنار أوجافا بالقرب من فينتوبوليس .

وكان على متن الزورق .. جاليتس وعملاء ثلاثة جدد هم :

- انستاس بيرلتس « ميك .. ليتوانى » .

- وجانيس بياسنتكس « هوجو » من استونيا .

- والذي تدرب على أعمال التزوير وتشغيل اللاسلكى .

- والبرت كوسك - ليتوانى باسم « جورج » .

وعندما اقترب الزورق من الشاطىء .. ونادى المجدف وهو زيجماس كوديركا ..
المجموعة الموجودة على الشاطىء .. وزيجماس ليتوانى جنده المخابرات البريطانية منذ
عام مضى في لندن .

وقال .. إننا قادمون من عند جارييل .. ورد بياتنس المسئول عن الاستقبال كما
نصحه ساليرجاس « لوسفير في انتظاركم » .

وبعدما قفز الأربعة من الزورق .. صعد شخص واحد على متن الزورق وهو
لودس آبانس العائد إلى بريطانيا .. «المنهار عصبياً» .

وكان لوكاسيفكس قد قرر التوصية بعودته ، ليس كعمل إنسانى ولكن بعد عودة
جاليتس المنهار عصبياً فان ساليرجاس والانجليز يريدون التأكد من أن الشبكة لاتزال
عاملة .

ويمكن لآبانس أن يؤدي هذا الدور .. لأنه في خلال الشهور الأخيرة كان متلهفاً على
إنشاء شبكة اتصالات عبر ريجا وعدد من هؤلاء كانوا متعاطفين حقيقيين وأبرياء .

وتنفيذاً لتعليمات ساليرجاس ، في الشهر السابق على رحيله .. نقل آبانس كل
شئ تعلمه في شارع أولد تشارش إلى كيبورس . بما في ذلك كل الشفرات التى بحوزته

وبعدما صعد آبانس على سطح الزورق .. كان هناك شخص ليتوانى آخر يبلغ من
العمر خمسين عاما .. لم يعرف عنه لوكاسيفكس شيئاً واسمه « إدموندز » ولم يحذر

المركز في موسكو من وصوله من فيلنيس .. ويعامل كعضو من الانصار وصعد إلى القارب متوجهاً إلى لندن .

وانتهى تبادل المنهارين عصبياً . واعفى جاليتس من العمل بين ..الانصار .

وبعد استجوابه حكموا عليه بأنه .. كارثة .. وفي حقبة ستالين فإن زملاء كانوا قليلي التعاطف إزاء بعضهم البعض .

أما أبانس وبعد استجوابه في لندن ظل في خدمة المخابرات البريطانية في سنة ١٩٥٥ ويعيش الآن في شمالى لندن ولم يفقد حتى الآن قدراته الذهنية .

ولا يزال ساليرجاس وماكين وكار يعتقدون أن العمليات في البلطيق تسير على نحو طيب نسبياً . وأقنعت الرسائل القادمة من روبرتس البريطانيين أن المخابرات تبني شبكة جاسوسية عبر الاتحاد السوفيتى واصلت ماكسس عملها على نحو مرضٍ أيضاً .

وكانت الشبكة الليتوانية مشكلة بعدما انقلب ديكسنس . ولكن جرت إقامة اتصالات جديدة وادموندز ممثل زعيم الانصار قدم إلى لندن لينافس استراتيجية جديدة وأخيراً أقيمت اتصالات ثابتة مع شبكات المعارضة الاستونية السرية .

واكد .. العميل الاستونى البرت كوسك وصوله الامن إلى تالين في رسالة قصيرة أرسلها إلى ريبان نقلت عبر واحد ممن اتصل بهم . والذي اعتقد أنهم كانوا أعضاء في شبكة قائد الانصار الاستونى « سيريل » .

وفوجئت الـ « كى - جى - بى » في استونيا .. بالوصول المفاجيء لكوسيك .. حيث كان مقرراً من قبل المركز في موسكو أن يظل لبعض الوقت مع جماعة ماكسس في لاتفيا .

ولكن تغير ذلك الترتيب ، عندما لاحظ الانصار أن الاستونى يتصبب عرقاً ويختفى بانتظام بين الغابة . وبعد أسبوع واحد اعترف كوسيك أنه أصيب بمرض الزهري وربما يكون أثناء الليلة الكبيرة في ريب هام .. وتغلبت المصلحة الذاتية على الواجب المهني ، وانحنى لوكاسفيكس أمام مطالب ضباطه بأن يرسل العميل فوراً إلى استونيا قبل انتشار المرض .

وأرسل إلى لندن إشارة بحالة كوسيك السيئة .. وكانت إجابة ريبان واضحة « لاتتصل بأطباء واستخدم أقراص البنسلين واختبئ في الريف بينما عثروا له على منزل آمن في المدينة » .

ومن بين الخمسة وثلاثين كيلو امتعته التى حملها عميل المخابرات البريطانية كومة .. جوازات سفر سوفيتية على بياض وبطاقات هوية . وتصاريح عمل وختامة

مطاطية . والتي تختم الوثائق بطريقة شرعية .

وحصل العميل على بعض الوثائق من قسم الخدمات الفنية بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ « سى - آى - إيه » . والتي أنشئت مصنعاً متخصصاً في مركز قيادة الوكالة في واشنطن .

وكان خبراء الـ « كى - جى - بى » متأثرين جداً إزاء التقدم في إتقان عمليات التزوير من قبل نظائهم .

وعندما وصلت الأنباء في الغرب سنة ١٩٤٩ عن أن السوفيت بدأوا إنتاج جوازات سفر جديدة .. وعرفت المخابرات المركزية والمخابرات البريطانية بكل أسف أن السوفيت يستخدمون الجوازات التي عثروا عليها بحوزة اللاجئين .

ولم يعد .. بعد ذلك بمقدور عملائهم الاعتذار بأن أوراقهم فقدت أو سطا عليها الألمان أثناء الحرب .

ولذلك .. بدأت الوكالتان في تزوير جوازات السفر .. وأنتجوا جوازات سفر على درجة من الإتقان افضل من الأصل .

وكان الشرط الأساسى لذلك هو تجنب الأخطاء التي وقعت فيها المخابرات الألمانية أثناء الحرب .

ولكن خان المزورون الأختام .. وكان السوفيت يستخدمون أختاماً معدنية قاصرة الجودة وتصداً بسهولة وتلوث أوراق جواز السفر .

بينما استخدم الألمان أختاماً من الصلب النقى لاتصداً .

وكان ذلك واحداً من الأشياء الدقيقة التي عمل المصنع المتخصص في المخابرات الأمريكية على تجنبها .

وفي واشنطن جند قسم الخدمات الفنية مائة متخصص لتحليل جواز السفر السوفيتى وإنتاج نسخة طبق الأصل .

وكانت المشكلات هائلة .. حيث كان مطلوباً من الخبراء تجاهل التطورات والتحسينات في القرن الماضى ، ويستخدمون تكنولوجيا إنتاج الورق الرديء .. وكانت الخطوات التالية هي العثور على ماكينة قديمة وعندما فشل البحث ، بنت الـ « سى - آى - إيه » معملًا لإعادة إنتاج الورق السوفيتى المصنوع من أوراق الزيتون الأخضر .

وتحول الورق من اللون القرمي إلى الأزرق في عملية واحدة .. وأضيفت علامة مائية متميزة . وكانت الخطوة التالية البحث عن مطبعة تعود إلى قرن مضى .

وانتهى البحث المصنئ إلى ماكينة مناسبة في مركز لأحد البنوك في فيينا . وجند الكيمائيون لإنتاج الأحبار السوفيتية المختلطة والمتميزة المستخدمة في خمسة عشر جمهورية ، والتي يرسل إليها العملاء .

واستأجرت الوكالة المنفيين الذين تعلموا في تلك المناطق أنماط الخطوط التي يستخدمها أبناء وطنهم والذين يعملون الآن في الوزارت السوفيتية ..

وكان من بين العملاء زيجماس كارديوكا الليتواني وهو الذي ركب الزورق في رحلة كلاوس الأخيرة واختير للسفر في رحلة كلاوس في خريف سنة ١٩٥٢ ، وسيعمل كمشغل لاسلكي ؛ لأن آدموندز الليتواني أيضاً والذي اجتمع مع آبانس على وشك العودة وإنشاء شبكة المخابرات البريطانية .

وظل آدموندز لغزاً خلال إقامته في لندن ، ورفض بقوة أن يكشف عن هويته إلى زايمنتس متحججاً بالأمن وخوفه من الـ « كى - جى - بى » في لندن . وكان يصر على أنه مُرسل من الأنصار الليتوانيين وقبل زايمنتس التفسير ، رغم ان زايمنتس قيل له من أحد المنفيين : إن آدموندز يبدو قريب الشبه جداً من مأمور السجن في كاناس . ولم يعلق أحد على قائد الأنصار الذي يزور لندن ويشترى باروكة ليستر صلغته .

وكان من المناسب لزايمنتس أن يتجاهل التحذيرات وفضل ماكبن أيضاً ألا يأخذ حذره . وفي أثناء تلك الشهور التي أقام فيها آدموندز في لندن حصل كوردكا على تأكيدات بان عملية المخابرات البريطانية آمنة بالكامل .

وكان كوردكا يعمل باسم حركى في المخابرات البريطانية باسم « كونارد » واسمه في جواز السفر المزور هو « زيجماس زوربا » والتأكدات التي تلقاها كانت من زايمنتس وجون لويدزوس وجون كروفتون في شارع أولد تشارش .

وقد قال له « جون الكبير » لويدزوس .. في أكثر من مرة « فلننظر إلى حركة العملاء التي لاتهدأ في لاتفيا » . ورغم أن ضابطى الاتصال في المخابرات البريطانية لايعلمان شيئاً عن العمليات الأخرى في روسيا ولكنهما أحسا ان « حركة زرع العملاء في البلطيق كانت جوهرة التاج في المنطقة الشمالية » .

وكان مجهولاً للرجلين .. ان هناك إشارات تحذير في برودوى ، أثارها البرهان

المتزايد عن فشل العمليات في البانيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وأوكرانيا .

وهناك دلائل تتراكم تدريجياً ضد فيلبى .. ولامدعاة للدهشة في ذلك .. فمنذ أن فترت الهمة في اصطياد حيوان الخلد .. ولم يكن هناك أى تفكير في مواصلة بحث دؤوب عن بن عرس . إن شذا العمليات الخاصة لا يدركه الجميع وإنما الأكثر حساسية . وكان أولئك من المخلوقات النادرة في المبنى العتيد . والأغلبية مثل كار يشبهون المتخصصين المتخفين الذين وصفهم وليم كولبى « مدير المخابرات الأمريكية » في المستقبل .. وكتب عنهم فيما بعد « اجتماعياً ومهنياً .. اجتمعوا معاً أكثر من مرة واحدة وكونوا أخوة مشتركة ويأكلون في مطاعمهم المفضلة معاً .

وهم منقسمون حتى على أنفسهم .. وتنساق عائلاتهم وراءهم ولذا لم تكن دفاعاتهم دائماً قوية وبهذه الطريقة انقصوا بأنفسهم عن العالم العادى وكونوا لأنفسهم رؤية بديلة للعالم . وحياتهم المزدوجة أصبحت هى القيمة الواضحة ينظرون من أعلى على بقية المواطنين . ومن ذلك نشأ بعد ذلك ماسمى ونعت باسم عقيدة « الولع » الاستخبارات وهى رؤية غريزية ومشوهة ونخبوية للاستخبارات، تفترض أن تكون المخابرات فوق كل العمليات الجارية في المجتمع .

ويخدم المرء مخلصاً وطنه ثم يحال للتقاعد من مهمته ، بعيداً عن أى تقييم موضوعى لعملياته . كان ذلك قدر مترييس وخليفته جون سانكلير . أما كار فقد ظل غافلاً عن البلاء .

وفي سنة ١٩٥٢ فقدت المخابرات البريطانية مدير العمليات والذي كان عليه أن يبتدىء بأى تحقيق أو استقصاء مع نفسه ، وغدت المخابرات البريطانية خداعها للنفس بالرغبة في الاعتقاد بنجاحها الخاص ..

وفي واشنطن .. كانت الـ « سى - إى - إيه » تعاني من مشكلات مشابهة لكن المدير الجديد للوكالة الجنرال والتر بيدل سميث قام بمراجعة شاملة ويأمل من خلالها أن يجتث السرطان الذى أصيبت به المخابرات البريطانية .

الفصل السابع

ورطة فى موسكو

هو ينظر بلا مبالاة إلى موقف انتظار سيارات الوكالة فى مطلع عام ١٩٥١ أدرك « الخنفس » سميت ان ميراثه كمدير جديد لكـ « سى - أى - إيه » قد أصبح فعلا ضحية لتاريخها القصير . أما أولئك من أمثال روزيتزكى من مكتب العمليات الخاصة « أو - أس - أو » فقد كانوا موظفين حكوميين قادوا البلاموس والدوج التقليدية .

على العكس من ذلك فإن نماذج من النظرين الجامعيين الذين يعملون فى مكتب التنسيق السياسى « أو - بى - سى » قد تم توظيفهم لاداء مهام مؤقتة وجاءوا من البنوك والمكاتب القانونية والشركات الكبيرة بواسطة فرانك ويزنر وقدموا نماذج رياضية مبهرة تدعو إلى التباهى .

لم يحاول أى شخص إخفاء حقيقة الانقسامات الاجتماعية المحزنة داخل الوكالة والتي انعكست فى صورة منافسات مهنية شرسة . وفى خلال العام الماضى تمكنت كلتا المجموعتين من مضاعفة الأعضاء العاملين والموارد والطموحات إلا أن النفور المتبادل بينهما قد حال دون وجود حماس مشترك لتحطيم الشيوعية .

وإلى حد ما يجرى تنفيذ العمليات لتدعيم السمعة السياسية للوكالة أكثر من الالتزام بتنفيذ استراتيجية استخبارية .

فى عام ١٩٥١ قام سيمث بتعيين آلان دالاس للعمل على التوصل إلى اتفاق لتنفيذ عملية إدماج برضاء الجانبين من أجل القضاء على الازدواجية وفرض سيطرة أكثر إحكاماً ومع ذلك لم تحقق الجهود البيروقراطية التى بذلها الرجل نجاحاً سريعاً .. وقد أدى تعيين دالاس إلى تشجيع « أو - بى - سى » و « أو - إس - أو » على زيادة أنشطة التجسس الجادة ولكن أيضا الانغماس فى مهرجانات مظهرية .

لقد قام ويزنر الذى وصفه فيلبى بدون لطف بأنه معتد بنفسه يميل إلى السمعة -

بتجنيد أى شخص وكل الاشخاص الذين أوصى بهم « شخص ما » فى الشبكة .

إن نفس الوكالة التى كانت تنفق مبالغ كبيرة من الأموال لمساندة مواطنى أوكرانيا وروسيا البيضاء وجورجيا وألبانيا ودول البلطيق وبولندا تقوم بإطلاق بالونات تحمل سلالاً من منشورات الدعاية الإخبارية عبر الستار الحديدى وإرسال دعوات مطبوعة على ورق مصقول إلى حفلات استقبال وهمية فى سفارات الاتحاد السوفيتى فى عواصم دول غرب أوروبا وإسقاط قنابل دخان على حشود الشباب فى برلين الشرقية .

وفيما بين الجانبين المتطرفين كانت الإدارة الأمريكية متمسكة بالحرب النفسية من أجل كسب قلوب وعقول الشخصيات الهامة من خلال تمويل محطات الراديو ودور النشر والصحف والمؤسسات .

فى أوائل الخمسينات كانت الحرب مستعرة بين الأيديولوجيات على الأصدقاء الفكرية أكثر من الأصدقاء العسكرية كانت هيئة الحرب النفسية برئاسة الجنرال روبرت مكلور تعتبر عاملاً مساعداً فى الصراع .

بالنسبة لسميث كان يرى بعد كل ذلك أن كلا من الدعاية السوداء ومهمات الحقائق السوداء قد أصبحت خارج السيطرة .

استدعى سميث صديقه لوكيان تروسكوت من التقاعد لإعادة تقييم العمليات السرية للوكالة فى روسيا والدول التى تدور فى فلكها . وكان سكوت رجلاً داهية يمتلك حس الجندى المقاتل الذى قاد الجيش الخامس حتى عام ١٩٤٥ وبدا واثقاً من مهمته الجديدة عندما أعلن عن عزمه التوجه إلى ألمانيا للاطلاع على مايجرى هناك .

وصل تروسكوت إلى ألمانيا فى ابريل ١٩٥١ يرافقه اثنان من المساعدين الشباب هما بيتر جيسوب وتوم بولجار ، واللذين يحملان رأياً متحاملاً سلفاً إزاء نماذج « أو - إس - أو » و « أو - بى - سى » الذين يمكن خداعهم بسهولة وكان من أهدافهم المبكرة « مايكل بورك » الذى كان يتابع المغامرة الألبانية بعد الانسحاب البريطانى رغم وجود دلائل على أنها حلت وكذلك وولبول ديفيز الذى قدم ملايين الدولارات لمساندة جماعة سرية أيرلانديه تسمى « دبليو - أى - ان » .

أدى شك تروسكوت الواضح إلى إثارة حنق أولئك الذين هم على شاكله بورك الذى تصادف أنه كان يعيش حياة رغدة مع زوجته على حساب الـ « أو - بى - سى » وقد كان هذا الشعور بالحنق متبادلاً .

وصلت مواجهة سكوت الذروة مع هؤلاء المتارحين القانعين إلى القمة عندما قذف بورل بكأس خمر على وجهه وهي الحادثة التي أوصى بها الجنرال بشدة إلى ماري روزتيزك وديفيد ميرفي .

قام تروسكوت وبولجار بتفقد معسكرات التدريب التابعة لـ « أو - إس - أو » التي مازالت تتوسع في كافبرن في مطلع عام ١٩٥٢ حيث يتم اطلاعهم على المنازل المصادرة في الغابات وعلى طول ضفاف البحيرات الواقعة جنوبي بافاريا حيث يتلقى عشرات العملاء تدريبات على القيام بمهام سرية .. وقد جاء رد الفعل على حماس روزتيزك وميرفي وثنائهم على طموحات الوحدات وفرص النجاح فاتراً .

وقد أعلن تروسكوت في هذه الأثناء أن هؤلاء العملاء لن يستمروا ؛ لانهم معروفون في اوساط اللاجئيين ومن المؤكد ان يتم اختراق هذه المجموعات من اللاجئيين .

وتساءل بولجار وماذا سيفعل هؤلاء عندما يصلوا إلى هناك ؟ إذا كانت ٢٧٠ فرقة المانية قد أخفقت في الإطاحة بستالين فإنه لايفهم ماذا يريد هؤلاء اللاجئيين أن يحققوا .

إلا أن ميرفي الذي بدا مقتنعاً بوجود حركات مقاومة على طول الحدود برد هذه الشكوك قائلاً : « حتى اذا لم يرسلوا إلينا استخبارات جيدة فإننا سنسبب كثيراً من المتاعب للروس عن طريقهم » .

وتابع روزتيزك قائلاً : إن أولئك الموجودين في الكرملين لايد أن يشعروا بالرعب تماماً ، وقد جاء في مذكراته فيما بعد كيف عاش ساعات طويلة من التوتر والقلق الحاد في وقت كانت فيه حياة عملاء الوكالة في خطر وهم يحاربون شبح مخطط لغزو العالم . وعق بولجار على هذا الكلام ساخراً : إن الشيء الوحيد الذي تثبته هو قانون الجاذبية .

وقال تروسكوت - إن أرواح الناس تتعرض للخطر عندما يتفرجون على آخرين يضعون اقدمهم في الماء إلا أنهم لايجدون شيئاً وما نحن نفس الحال لانحصل على أى استخبارات .

ومن بين المغامرات التي سيبحتها تروسكوت فيما بعد ويعتبرها دليلاً على الإهمال قيام « إس - أو - إس » بإرسال مجموعتين من الليتوانيين للنزول على شواطئ بولندا .. فقد قام ضابط اتصال وكالة « سى - أى - إيه » ميك انيكيف بالاتفاق حول التفاصيل مع مجموعة رينهارد جيهلين التي اصبحت فيما بعد وكالة المخابرات

الخارجية الالمانية وكان واثقاً من سلامة الإجراءات الأمنية بصورة مطلقة . وفيما بعد انتهت عملية الهبوط بكارثة رهيبه حيث هاجم الحراس هؤلاء العملاء فجأة ولقوا جميعاً حتفهم . وفي رأى تروسكوت أن هذه الأحداث لابد وأن تكون قد نبهت العاملين في « أو - إس - أو » على الأقل لاحتمالات اختراق « كى - جى - بى » لصفوفهم .

ولكن عندما لقوا فيما بعد ذلك جنرالات ذوى أربعة نجوم بعد ذلك من واشنطن خلال صيف عام ١٩٥١ لإعداد تقرير حول استعدادات « أو - إس - أو » للحرب السرية والتي تمت مناقشتها في اجتماعات خاصة لرؤساء أركان « لجنة ادحوك حول الأنشطة السرية » لم يبد أى واحد منهم شكوكاً حول هذه العمليات . على العكس طالب كل واحد منهم بتنفيذ مهام أكبر وأكثر طموحاً . فقد كانت واشنطن في حاجة إلى معلومات استخبارية من داخل روسيا وفي النهاية ترغب في إزاحة ستالين .

كان من رأى لجنة الاستخبارات المشتركة أن أكثر الأهداف قابلية لإشعال الثورة ضد ستالين هي دول البلطيق .

كما ترى أن أحسن مصدر لتجنيد عملاء لتنفيذ هذه الأهداف هو المجموعات القومية الموحدة التي ترغب تطوعاً في الانضمام إلى الكتائب العسكرية المناهضة للشيوعية وتتوقع الحصول على مساندة أمريكية لنيل الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي .

وبعد ان تلقت وزارة الدفاع الامريكية - البنجاجون - مبلغ ١٠٠ مليون دولار بموجب - اتفاقية الأمن المتبادل - لتمويل العمليات العسكرية تم إقامة معسكر دائم للتجنيد يضم مجموعات من العملاء المحتملين وكان هؤلاء هم الذين تم التاكيد للجنرال ايزنهاور خلال جولة تفتيشية أنهم على درجة من الأهمية الحيوية من أى حرب قادمة انطلاقاً من أن دول البلطيق ترتبط بعلاقات صداقة مع الغرب .

في مثل هذا المناخ كان من اليسير على ميرفى وروزتيزك ألا يكثرنا باعتراضات تروسكوت وكانا على قناعة بأن شرحهم الواضح للعمليات المتوقعة يقود إلى النجاح .

لذا رأيا أن من الأفضل تجاهل فظاظة تروسكوت خاصة اعتراضاته حول الخسائر وكان من بين أولئك الذين وصلوا حالاً للتدريب في كافبورن ثلاثة من مواطني لاتفيا حيث تم تجنيدهم عن طريق لاوناكس في السويد وكان ميرفى يعتزم إرسالهم في مهمة بأسرع مايمكن .

وكما هو الحال في جميع المهام المتوقعة تم إرسال الأوراق التي تحمل تفاصيل المهمة إلى واشنطن للموافقة . وبعد أن درس جورج بليك الرئيس الجديد لقسم البلطيق في المقر الرئيسي لوكالة بدقة أوراق المهمة قام بتمريرها في أروقة الوكالة لتوقيعها من المختصين وكان آخر شخص يوقع على هذه الأوراق بالموافقة هو ريتشارد هليمز مدير العمليات .

ورغم ادعاء هليمز بأنه كان دائماً في ريبة من هؤلاء رعاة البقر ومن جدوى هذه العمليات باعتبارها تشبه - لسعة البرغوث - فإن بليك لم يجد أى معارضة تذكر من الثورة الأمريكية .

وقع هليمز بالموافقة على مهمة أبناء لاتفيا تماماً كما سبق وأن وافق على عملية إنزال الليتوانيين من قبل .

في البداية قام لاوناكس ولونيدس برومبج - وهو زميل لاتفي جاء أيضاً من السويد - بتدريب اللاتفيين الثلاثة إضافة إلى اثنين من الأمريكيين يحملان اسمين حركيين هما ايرنست وبول . ولكن في مارس ١٩٥٢ تولى مسئولية التدريب شخص أمريكي من أبوين لاتفيين هو بول هرغان مستخدماً اسماً حركياً هو - الكولونيل كول - وكان هارتمان يعمل من قبل في وحدات مكافحة المخابرات المعادية في أوروبا مسئولاً عن تفتيش المعسكرات الخاصة باللاجئين ثم أصبح مسئولاً عن عملية لاتفيا رغم قلة خبرته في العمليات الاستخبارية .

وعلى أية حال فقد كان يملك دافعاً قوياً وفخوراً بمعلوماته الأمنية التي استقاها خلال سنوات عمله في معسكرات (دى.بي) فقد كان يردد أمام زملائه « أننى أعرف كل شئ عن « ترست » ولكن لا أصدق أحد سواء البريطانيين أو المهاجرين . وكان كل همه إيجاد أشخاص يعملون لصالح الـ « سى - اى - إيه » في الاتحاد السوفيتى دون الانتباه كثيراً إلى التفاصيل .

وبعد أن مر اللاتفيون الثلاثة على جهاز الكشف عن الكذب طلب هارتمان من لاوناكس وبرومبج مغادرة المعسكر حتى يتولى المرحلة من تدريبهم ومن الأفضل أمنياً ألا يعرف أحد غيره بمكان الهبوط المقترح .. وأصدر هارتمان تعليماته إلى العملاء الثلاثة بضرورة الاهتمام بالحصول على معلومات طازجة وعدم التركيز على البارائيزان والمعادين للشيوعية إنما الاتجاه إلى خلق شرعية لوجودهم ويعيشوا حياة عادية . وكان

من الواضح أن الغرور قد أقنع هارتمان بأنه لا يمكن أن يقع ضحية للخداع .

في يوم ٢٠ أغسطس تم إنزال الثلاثة الفريد سن ريكستينس (ايمانيس) ونيكولاي بالوديس (بوريس) وأدفينس أوسولينس (هربرت) بالمظلات بعد أن حصلوا على تأكيدات بأنه سيتم في نهاية المهمة إما إجلاؤهم بالقوارب أو يتوجهوا اعتماداً على أنفسهم إلى سفارة الولايات المتحدة في وارسو أو هلسنكي باستخدام الوثائق المزورة والدولارات والذهب الموجود معهم في الأحزمة .

وكما هو الحال مع جميع العملاء الأمريكيين تلقى الثلاثة وعوداً بالحصول على مبلغ ١٥ ألف دولار مكافأة بعد عودتهم سالمين أما إذا مالقوا حتفهم فإن هذه الأموال ستدفع إلى أقرب الناس إليهم وقد ساهمت هذه الوعود في إثارة حماس العملاء وتحفيزهم .

إلا أن الرياح قد تأتي بما لا تشتهي السفن فقد تعرضت خطة هارتمان الدقيقة للفشل خلال دقائق من سقوط العملاء الثلاثة في غابة كورلاند القريبة من حدود ليتوانيا فقد سقط بالوريس على مسافة بعيدة من ريكتينس وأوسولينس وبذلا جهوداً مضنية للعثور عليه إلا أنهما فشلا في ذلك .

وبعد أن دفنا مظلتيهما والمعدات الثقيلة التي في حوزتهم سار العميلان في اتجاه مزرعة يقطن فيها عم لريكستينس وبعد شروق الشمس اكتشف الرجلان وجود دورية تابعة للجيش على الطريق مما دفع ريكستينس إلى الهرب وسط أشجار الغابة مذعوراً والركض يتبعه زميله إلى الهرب في اتجاه المزرعة وبعد أيام قليلة تمكنت عناصر من كيه . جى . بى كشف مخابهما بمساعدة أحد المخبرين فقام ريكستينس بابتلاع أقراص السيانيد واستسلم أوسولينس .

في ريجا بدا الجنرال فيفرز وكأنه على وشك أن يكرر نفس الخداع الذي نفذه في عملية لارسين اسن ضد الولايات المتحدة إلا أنه شعر ان انتصاره غير مكتمل نتيجة وجود العميل الثالث بالوديس حراً قادراً على جمع المعلومات وإرسالها إلى ميونيخ .

كان فيفيرز يعرف بداهة ان الـ «سى - اى - إيه» والـ «إس - اى - إس» يجريان اتصالات منتظمة لمقارنة المعلومات الاستخبارية القادمة من الاتحاد السوفيتي .

ومن المؤكد أن تقارير بالوريس ستتضارب بالضرورة مع التقارير المزيفة التي

تعدّها كيه. جى. بى وترسلها إلى « إس - اى - إس » عن طريق مجموعات البارتيزان .

حتى وصول العملاء الأمريكيين كان فيفيرز على يقين أن غياب الاسئلة الواردة من لندن حول التنقاضات في التقارير الاستخبارية التي تم إرسالها بالفعل هو دليل واضح على ان إس - اى - إس « قد فشلت في إقامة عملاء حقيقيين مستقلين في الاتحاد السوفيتى . أما الآن فإن رسالة واحدة دقيقة من بالوريس خاصة للافادة عن عدم وجود بارتيزان في الغابة ستكون أكبر خطر على استمرار خداعه لك « اس - اى - اس » .

وبعد أن قام الميجور بوند وليس باستجواب اوسولينس فشل في الحصول على اى مساعدة منه لمعرفة مكان زميله إلا أنه في وقت لاحق كان اوسولينس هو مفتاح القبض على بالوديس بعد أن عرض بوندوليس على اوسولينس في الزنزانة الاختيار مابين الإعدام أو التعاون فاختر الطريق الثانى .

وفيما بعد ادعى السوفيت ان اوسولينس كان عميلاً - للكيه. جى. بى - تمكن من اختراق (أو - إس - أو) واسمه الحركى ابيلون تم زرعه في أو. إس. أو إلا انه لا يوجد دليل يؤكد ذلك بصورة مطلقة .

حتى قبل أن يتخذ اوسولينس قراره بالتعاون ارتاب هارتمان في القبض على المجموعة نظراً لأنه لم يتلق أى إشارة بالراديو تفيد وصول أفراد المجموعة سالمين .

وأدت هذه الواقعة إلى وجود أزمة في فرع البلقان في كالة المخابرات المركزية الأمريكية بعد أن بدت إجراءات الامن المطبقة بدون جدوى . وتأكيداً على ذلك بدأت الصحف ومحطات الإذاعة السوفيتية في نشر وإذاعة سلسلة من البيانات تصف أدق أسرار معسكرات كيمبتون وطانوبورن التي تستخدم في تدريب أبناء روسيا البيضاء وأوكرانيا ودول البلطيق وذكرت بالاسم عدداً من ضباط السى. اى. ايه .

وخلص هارتمان وميرفى إلى أن هذه المعلومات تم الحصول عليها من عملاء بعد وقوعهم في أيدي المخابرات السوفيتية إلا أن لاونجس وآخرين من العاملين في الوكالة عبروا عن اقتناعهم بقيام كيه. جى. بى باختراق المعسكرات مؤكداً أنهم يعرفون حتى نوع طعام الإفطار الذى نأكله .

بعد أربعة أسابيع من مغادرة أفراد المجموعة الثلاثة قام هارتمان بشطب أسمائهم ولم يكن من الضروري أن يخضع هارتمان نفسه لاستجواب أو تحقيق أو حتى يعاني من رد فعل عاطفى نتيجة خسارته المحتملة لهؤلاء العملاء وقال موجهاً كلامه إلى

لاوناجت : « إن ذلك جزء من مهمتنا » .

خلال مراجعة العملية تكهن روز تيزك أنه قد يكون هناك اختراق آخر عن طريق اللاتفيين الذين يجرى تدريبهم أو من أعضاء كتيبة العمال اللاتفية . وفعلاً كان فرع كيه . جى . بى فى لاتفيا قد تمكن من زرع عملاء فى الكتيبة ولكن فور القبض على اوسولنيس توقفت تقاريرهم .

فى حقيقة الأمر ليس كما اعتقدت فيفيروز أنه تم الكشف عن عملائه بل إن ما حدث هو إنه لمنع المزيد من الاختراق تم نقل التدريبات على العمليات المستقبلية إلى واشنطن بعيداً عن تناول الكيه . جى . بى .

وفى الوقت الذى رتب هارتمان لإجراءات الانتقال حصل بوندوليس من اوسولنيس على خطاب مكتوب بخط اليد لإرساله إلى عنوان سرى فى ألمانيا الغربية . تضمن الخطاب المكتوب بحبر سرى تقريراً من اوسولنيس يذكر فيه أنه فى أمان إلا أنه فقد الاتصال مع زميليه الآخرين وتساءل عما إذا كان — الكولونيل كول — يعرف مكان وجودهما .

ودفع الشغف للحصول على المعلومات بوندوليس إلى إرسال رسالة ثانية ثم بعد ذلك استخدم جهاز الإرسال الخاص بريكستينس « الميت » على أنه جهاز اوسولنيس .. وقام ضابط كيه . جى . بى بشرح كيف أن جهاز الراديو قد تم إصلاحه للتو وتساءل عما إذا كان هناك أى معلومات عن « بوريس » (بالوديس) وقد تم تكرار إرسال الرسالة الأصلية عدة مرات كما هو مخطط دون أن يكون هناك أى رد .

وقد ظل هارتمان مرتاباً بشدة حتى بداية شهر نوفمبر عندما أخبره اوسولنيس كتابة أن جميع أمواله قد نفذت . وقد احتوى نفس الخطاب بعض المعلومات الاستخبارية وقد وافق هارتمان على أن استقبال الرسالة لا بد أن يكون معروفاً فى ألمانيا الغربية . وقد تزامن هذا الاتصال الأول مع القبض على بالوديس .

خلال الشهور التى كان بوندوليس يخشى من خطر فضح عملية خداع الـ سى - اى - اس لم يمارس بالوديس دور العميل ولكن كان يعيش بدلاً من ذلك حياة ذات

أسلوب مرفه . بعد هبوطه في الغابة قام بدفن معداته وسافر مباشرة إلى عشيقه قديمة له حيث أنفق معها المبالغ الكبيرة من الأموال والذهب الذي حصل عليه من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

وقد انتهت هذه الحياة الرغدة على نحو مفاجيء خلال حملة تفتيش روتينية في إحدى محطات السكك الحديدية حيث تبين أن أوراقه المزورة غير كافية .

ومع تأكيد فيفيرز — بعد استجواب بالوديس — أنه لم يرسل أى معلومات استخبارية دقيقة إلى واشنطن وقرر ضرورة استخدام اوسولنيس كمغناطيس لجذب عملاء أمريكيين آخرين من خلال إرسال تقارير منتظمة. ولم يتم التأكد من مصير بالوديس ادى وصول أول خطاب من اوسولنيس ورسالة الراديو في نهاية عام ١٩٥٢ إلى اطمئنان هارتمان أن مخاوفه الأولية كانت جزئياً بدون اساس .

وفي غضون ذلك كان لاوناجس وزميله ضابط التدريب اللاتفى « ليونيدس برومبجج » ، يعيشان عيشة رغده في بلايتسبرج بولاية مرييلاند القريبة من واشنطن يستمتعان بما وصفه قدم بالقطار المغناطيسى .

قدم هارتمان إلى الرجلين اثنين من أبناء لاتفيا لتدريبهم على مهمة قادمة وكان الأهم فيهما هو ليونيدس زارنيس البالغ من العمر ٢٥ عاماً والمولود في لاتفيا وتمكن من الهرب مع والديه إلى الغرب عام ١٩٤٤ وبعد ذلك بأربع سنوات هاجر إلى الولايات المتحدة ودرس الهندسة في جامعة لوزيانا.

وعند التخرج كتب زارنيس مقالاً تضمن هجوماً لاذعاً استنكر فيه الاحتلال الشيوعى لوطنه وفي وقت لاحق بعث بالمقال الذى تضمن الهجوم إلى البيت الأبيض وحث الرئيس الأمريكى إلى اتخاذ إجراء ما . وبعد ذلك تم تمرير الخطاب إلى وكالة المخابرات المركزية ليستقر أخيراً في أيدي هارتمان الذى استدعى بدوره الشاب الذى كان يعمل في ذلك الوقت في شركة « بيل للتليفونات » لمقابله .

لقد جاء اللقاء بين الشاب المثالى المتحمس وضابط المخابرات الطموح بعد أوقات متزامنه مع بدء وصول رسائل اوسولنيس إلى واشنطن . وقد تم اقناع زارنيس بسهولة لقبول فرصة الكفاح من أجل حرية بلاده وسال لعابه للحصول على المبلغ

الكبير الذى وعد به . بعد إعلان قبوله تم نقله مع مجند آخر إلى مزرعة في ولاية فرجينيا حيث خضع لتدريبات مكثفة بواسطة تسعة معلمين كان من بينهم برومبج ولاونجس .

وهكذا ما بين ليلة وضحاها بدأ مازق هارتمان المتمثل في عدم وجود عملاء في روسيا أو مجندين لإرسالهم يجد طريقه إلى الحل . وقد حرص على زيارة المزرعة مرتين في الأسبوع بشغف للوقوف على مدى تطور عمليات التدريب حيث أكد له لاونجس أن كل شىء يسير كما هو مخطط له ولكنه لم يكشف عن الكثير من اتصالاته مع اوسولينس .

خلال تلك الفترة تعرضت رغبة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لتنفيذ العمليات السرية إلى انقلاب مزدوج من جانب السياسيين . فقد تم انتخاب دوايت ايزنهاور رئيساً للولايات المتحدة بعد حملة انتخابية تميزت بوعد جون فوستر دالاس بأن تقدم الإدارة الجمهورية بإنهاء السياسة السلبية التافهة المعمرة المعروفة باسم سياسة احتواء الشيوعية والتي ترك بشراً لا حصر لهم أمام الطفيان والإرهاب الملحد وفي المقابل مكنت هذه السياسة الحكام الشيوعيين من تحويل الشعوب الأسيرة إلى سلاح لتدمير الولايات المتحدة .

أما أخوه الآن نائب مدير الوكالة للتخطيط فقد دعا إلى شن حملة صليبية روحية من أجل تحرير الشعوب الأسيرة في شرق أوربا . ووضع السناتور جوزيف ماكارثى هذه التعهدات في ابلغ صياغة عاطفية عندما قال – ستالين هو ستالين – وأكد هذا السياسى الجامع أن ستالين يدبر مؤامرة شيوعية عالمية وقد تقبل الناخبون هذه الآراء رغم ان تأييدهم لمزيد من العمليات قد ترافق مع الكشف عن العديد من العمليات المحرجة .

في شهر ديسمبر أذاع راديو وارسو سلسلة من البرامج حول مجموعة المقاومة دبليو - اى - ان التى حصلت على مساندة كبيرة من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مكان تقييم ويزلزلها في او. بى. سى بأنها تجتذب حوالى ٥٠٠ من الناشطين إلى جانب ١٠٠ أف متعاطف . وكان قد تم تهريب صور عن دبابات محترقة ومبانى للشرطة وقد نهبت من السلاح لتكون دليلاً على نجاح العمل السرى ضد الشيوعية .

دون شك وثقت « سى - اى - ايه » و « إس - اى - إس » في مصداقية حركة

« دبليو - اى - ان » حتى برهن راديو بولندا على ان هذه الشبكة كانت منذ البداية عملية خداع حبكتها كيه. جى. بى. وفى نفس الوقت ظل العاملون فى تشغيل أجهزة الإرسال الذين أوفدتهم المخابرات الأمريكية والـ « اس. اى. اس » صامتين .

وفى غضون ذلك انتهت المحاكمة الداخلية التى جرت فى (ام. اى فايف) لكيم فيلبى نهاية غير حاسمة دون اعتراف أو احتمال للمحاكمة رغم ان جى. ايدجار هوفر مدير مباحث التحقيقات الفيدرالية - اف. بى. اى - كان مقتنعاً أنه مذنباً وأخذ يكيل اللوم ضد البريطانيين لأنهم تسببوا فى فشل وإجهاض العديد من العمليات الأمريكية .

أما فى داخل المخابرات المركزية الأمريكية فقد لعب جيمس جيسس انجليتون دوراً مفيداً فى إقناع - الخنفس - سميث والآن دالاس ان « دبليو - اى - ان » كانت خدعة مثالية مماثلة « للترست » . واكتشف ان الخداع كان التكتيك التقليدى للمخابرات الروسية منذ العهد القيصرى .

ولكن التناقض يبدو فقط واضحاً من استعادة الأحداث . ففى كل لحظة تبدو فيها معظم عمليات المخابرات المركزية الأمريكية والـ سى. اى . اس السرية فى روسيا والدول التابعة لها بمثابة كارثة كان السياسيون يطالبون بالمزيد . وكانت هناك أصوات قليلة فى المخابرات هى التى أبدت عدم موافقتها .

رغم الأوهام والخداع والاختراق منذ كان هناك عدد قليل هم الذين يبدون ريبه قبل تخطيط عمليات التجسس فى حكمة الاستمرار فى تنفيذ هذه العمليات وكان شك القادمين من الخارج مثل تروسكوت لا يؤخذ فى الاعتبار .

ورغم ذلك وبعد تكرار مشاجرات عنيفة وافق ويزر رئيس او. بى. سى على مطالب الان دالاس بأن يراجع عملياته . وكان أول المستهدفين من عملية التقييم فرانك ليندساي نائب ويزر الذى تعرض لانتقادات ووصف بأنه « يركب نمراً ويرفع رجليه بثبات فى الهواء » .

كان ليندساي وهو ضابط شجاع ومخلص يظهر حذراً كبيراً عندما كانت تقدم إليه مهام لنيل موافقته عليها . وكان يجيز أى مهمة فيها أى بصيص من الأمل فى النجاح . وهو الأمر الذى برره بعد ذلك بقوله « إننا كنا نعتقد أن نخوض حرباً ويجب ان ننتهى كل شىء فى سرع وقت » كما شرح كيف كان يضطر للخضوع امام ضغوط امتعاملين مع او. بى سى وقد قبل بدون تفكير الجملة العاطفية التى قيلت فى « ان -

سى - إس ٦٨ « التى وصفت روسيا « بأنها تسعى إلى فرض سلطتها المطلقة على باقى العالم » .

لقد مرت معظم عمليات « أو. بى. سى » فى البانيا وبولندا وروسيا على مكتب ليندساي بالتوازي مع الأمور المتعلقة بالحرب النفسية .

كان ليندساي يعمل على أمل النجاح فى إثارة انتفاضات وهبات قومية - فإذا فشلت - يمكن فى هذه الحالة العمل مباشرة لزعزعة النظام السوفييتى عن طريق إغراق البلاد - بهويات بدون معالم وبطاقات تموين .

أدت المراجعات الأولى عام ١٩٥٢ إلى تغيير طفيف إلا أنه مع نهاية ذلك العام تكشفت الكوارث وأصبح ليندساي رئيساً للجنة ميرد التى ستتولى مراجعة كل عملية بعد زيارة مراكز الدراسات والأبحاث الأمريكية لدراسة الوسائل البديلة لجميع المعلومات الاستخبارية .

بعد عودته أصبح آلان دالاس مديراً للمخابرات المركزية الأمريكية واستقر سى. دى جاكسون أسخن مقاتلى الحرب الباردة فى البيت الأبيض. جاء تقرير ليندساي عن تحقيقاته بمثابة نعى له حيث قال : « لقد فشلت عملياتنا ولا يوجد بدائل » وهنا رد عليه دالاس بحدة : فرانك لا تقل هذا . وقد برر دالاس بعد ذلك القيام بجميع العمليات ساخراً بقوله : « لقد أعطتنا خبرة جيدة للحرب القادمة » وانتهى الأمر باستقالة ليندساي وبقاء الآخرين فى الوكالة وهم على قناعة أنه إذا جاء متطوعون فى الحال فإن خدماتهم ستكون مطلوبة .

وفى تلك الفترة جرت مراجعات مماثلة ولكن أكثر تميزاً فى برودواى . وكان هارى كار بطبيعة الحال مشاركاً فيها بكثافة ونتيجة فشل العديد من عمليات إنزال المجموعات الأوكرانية من مجموعة بانديرا تمت الموافقة على إقامة مركز مشترك مع المخابرات المركزية الأمريكية فى « اى. جى فارين » فى فرانكفورت للاستفادة من أبناء روسيا البيضاء الذين زعموا أن هناك شبكة نشطة معادية للسوفيت مازالت تعمل داخل الاتحاد السوفييتى .

وفىما كان تدريب عشرة على الأقل من أعضاء « ان . تى . إس » فى كاوفبرن تم الاتفاق على تدريب آخرين فى المنطقة البريطانية ومع ذلك لم يكن كار مشاركاً بطريقة مباشرة .

وذلك حسب رواية ضابط الاتصال البريطاني ميكي ليكوسكى ، والياس ميكي بيترز ، الذى انضم إلى جورج بيليك لإدارة ماسيكون فيما بعد أعلى عملية فى العالم إلى اس . اى . اس فى ألمانيا . من ناحية أخرى ظل كار يحكم قبضته على عمليات البلطيق التى كان يعتقد أنها ناجحة جداً .

خلال شهر صيف عام ١٩٥٢ استجابت مجموعة الروبرتس وماكسيس إلى السيل المتدفق من طلبات لندن للحصول على المعلومات الاستخبارية ، وكان يتم تداول هذه المعلومات وتصنيفها على أنها « سرية جداً » ويتم إبلاغها على أنها معلومات « موثوق بها » إلى ١٠ دواننج ستريت ووزارة الخارجية البريطانية .

ونتيجة لذلك كان يتم تعميم السياسات البريطانية بصفة جزئية على أساس المعلومات المغلوطة القادمة من موسكو وعندما كانت طلبات لندن تزيد كان الرد سريعاً جداً ، [لسنا جواسيس بل مقاتلين من أجل الحرية يريدون الإطاحة بالشيوخيين لجمع المعلومات] .

وقد اثار هذا الرفض قليلاً من القلق فى لندن لأنه فى نهاية سبتمبر وانتظاراً لطول فترة الليل ارسل سيلاراجس إشارة بأن اثنين من الليتوانيين واثنين من اللاتفين سيتم إنزالهم فى ليتوانيا فى خريف ١٩٥٢ .

وصل قارب كلوس كما هو مقرر بدون مشاكل ، وكان الليتوانيان هما زيجماس كوديركا (كونراد) و « ادموندس » الغامض وقد نظم ماكن حفلة قبل مغادرتهما مباشرة ل « ادمونس » فى شقته فى هامبستيد ورغم ان اس . اى . اس لم يكن لديها أى معلومات موثوقة حول هذا العميل ومع ذلك كان زيماناس وفى المقابل ماكن كانا مقتنعين بمصداقيته .

لم يكن كوديركا يعلم أن اول اثنين من الليتوانيين بعث بهما إلى اس . اى . اس إلى ليتوانيا قد ألقى القبض عليهما أو أن ديكنيس فى دائرة الاشتباه ، لذا كان يعتقد ان العمليات فى غاية الامان والخطر ضئيل جداً تاركاً وراءه عشيقته - دورثى كولير - وبعد أن رأى فى السنوات القادمة أياماً مروعة كان يردد بينه وبين نفسه « ان كلا من زيماناس وجون ليودزيوس قد أكد لى أن هناك أماناً وقد وثقت فيها وصدقتها » .

وأطلق على الرجلين اللاتفيين اسمين حركيين هما « ليدوماس » الذى سربته كى - جى - بى وقضى ستة أشهر فى بريطانيا وكورت أحد العاملين على أجهزة الإرسال وبعد وصولهم توجه الأربعة إلى إحدى الغابات فى حين تم تخزين إحدى عشر حقيبة ثقيلة مملوءة بالأسلحة وأجهزة الراديو والأدوية فى أحد المخازن .

أخذ كلوس معه ركباً واحد فى رحلة العودة . بناء على طلب سيلاراجس حضور أحد الأعضاء البارزين فى مجموعة ماكسيس اختار لوكاسيفكس جانيس كليماكانس الذى كان قد ألقى فى إحدى الغابات مع بيركس .. وكان كليماكانس ابناً لفلاح لقى مصرعه رمياً بالرصاص بعد الحرب بواسطة اللصوص أو البارتيزان . لذا لم يفكر مطلقاً فى الانضمام إلى الحزب الشيوعى . هذا الرجل المعروف بوسامته ومهارته كان يعمل مسئولاً بارزاً فى الإدارة التعليمية فى ريجا وقد استغل لوكاسيفكس قوته الواضحة فى الإقناع للحصول على موافقته باختراق معسكر البارتيزان على أنه قومى يريد مقابلة بيركس ، وعلى ذلك أصبح كليماكانس خيطاً فى مؤامرة لوكاسيفكس المحكمة بدقة ليستخدمه عند الحاجة فى المستقبل .

وبعد عامين وعلى متن قارب كلوس كان كليماكانس يقترب من كيل فى حقيبته وعاء به ورنيش أحذية . استبدت الحيرة بلوكاسيفكس بالطلب الخاص من لندن الذى تلقاه من جبرائيل وقد عجز المستشارون العلميون لكى - جى - بى فى معرفة أى وأسرار قد يكشف عنها المعجون ولكن الدوافع التى يكشفونها فى وقت لاحق قد كشفت كثيراً عن خصومهم ، فقد كان أحد ضباط الـ اس . أى . اس يمتلك مصنعا لورنيش الأحذية وأراد ان يتعرف على المنتج المنافس .

وشعر كل من ماكبن وسيلاراجس بالارتياح بعد وصول كليمانس فقد كانت الإدارة تعاني من ضغوط وحضور كليماكانس سيعطى مركز الاتصال الخاص فرص لكى يثبت لكار والمنطقة الشمالية أن فرعهم نظيف من الاختراق السوفيتى .

وقد كانت دهشة كليمانس - كما أبلغ لوكاسيفكس بعد وصوله بعدة أسابيع أنه لم يكن هناك أحد على الإطلاق يشك فيه « لقد حصلت على وثائق هوية باسم ليون بلومبيرج وأرسلونى إلى أولد تشرش ستريت لقضاء ثلاثة أشهر فى التدريب .

في واقع الأمر أن كل عميل جديد في العادة يكون موضع اشتباه بطريقة تلقائية ولكن ثبت ان أفضل طريقة لتهدئة مشاعر عدم الثقة الطبيعية لدى القادمين الجدد هي المباداه بالمشاعر الودية وفي الغالب اذا ما وقعت أخطاء فادحة بطريقة غير متعمدة فإنها سرعان ما تظهر .

ولكن حتى حلول أعياد الميلاد عام ١٩٥٢ لم تكن هناك أى اشارة للشك في كليمانس وكان سيلار جلس على قناعة تامة ان كليمانس بارتيزان حقيقى . وفي مطلع عام ١٩٥٣ وبموافقة من ماكبن قام بتقديم كليمانس إلى سفير لاتفيا تشارلز زارنيس . أدى اندلاع الحرب الكورية إلى لفت انتباه زارنيس مثل كثير من الاوروبيين الشرقيين في لندن على الطلب المتزايد من جانب المسئولين العسكريين والأمنيين البريطانيين الذين يريدون معلومات أو مجندين لتنفيذ عمليات خاصة . وقد أدت هذه الطلبات إلى جانب التعهدات الواضحة من السياسيين الأمريكيين بهزيمة ستالين إلى دعم اقتناع زارنيس بأن صراعاً كونياً على وشك الحدوث .

قام ماكبن خلال زيارته المتعدة لدار المفاوضات لاداء مباريات البريدج في المساء بدعم اعتقاد زارنيس بأن تشكيل الوية من أبناء دول البلطيق في ألمانيا وإنشاء شبكة مخابرات لاتفية شروط ضرورية لتحقيق حرية وطنه . وكان زارنيس يكتب في مذكراته اليومية بعد زيارة من ماكبن او سيلارجاس عن أمله في أن حركة المقاومة ستوجه ضربة لتحقيق الحرية .

ثبت فيما بعد أن الحرب الكورية كانت فرصة ضائعة إلا أن آمالا جديدة معاملة انتعشت عندما توفي ستالين في مارس ١٩٥٣ . وفي هذه المناسبة اخذ عديدون داخل البيت الأبيض يحرضون الرئيس الأمريكى على استغلال حالة عدم الاستقرار المتوقعة في موسكو وتوجيه ضربة وكان ماكبن وزارنيس يتبادلان الأوهام خلال ذلك بتشجيع من كليمانس وفي تلك اللحظة كانت كى - جى - بى قد حققت التوازن الكامل من أجل تنفيذ المناورات الأمل عن طريق عملاتها في كلا الجانبين وقدرتهم على توجيه الاسئلة الصحيحة لاستنتاج الإجابات الصحيحة .

وقد تظاهر كليمانس أمام الرجلين اللاتفيين الموجودين في لندن انه مقتنع أن حرباً وشيكة واقعة لامحال ، وكدليل على اقتناعهما أشار سيلارجس وزارنيس إلى محادثتهما مع ماكبن ، ومن جانبه أقنع كليمانس كلا من ماكبن وسيلارجس

وزارنيس أن البارتيزان تمتلك قدرات يمكن الاعتماد عليها في حالات الطوارئ .

وتظاهر كليمانس وكانه عميل محرض وبدا مقتنعا بضرورة وجود اتفاق بين المتطوعين من لاتفيا والبعثة الموجودة في لندن لإضفاء الصفة الرسمية على علاقاتهم .

وفي إبريل ١٩٥٢ تم توقيع الاتفاق بين زارنيس وسيلارجس وكليمانس « وقع باسم ليون بلومبرج » وتضمن إقامة إطار للاتفيا بعد الحرب العالمية الثالثة وتناولت الاتفاقية في وثيقة ضخمة بالتفصيل السياسات المستقبلية للحكومة القومية واتفاقاً حول من البارتيزان سيتولى منصباً وزارياً في حكومة يرأسها زارنيس .

وقد نجح كليمانس في إصراره على أن يتم تعيين كيبورس أحد العاملين على جهاز الإرسال وزيراً للبريد على أن يتم تعيين البرتس دوبولس « فورست » موظفاً كبيراً في سلك الخدمة المدنية .

كان كليمانس يتوقع أن يعود في شهر مايو الآن كلوس أبدي اعتراضاً نظراً لأن الليل في تلك الفترة كان قصيراً جداً لايسمح بوجود فترة أمان للوصول ومغادرة المياه الإقليمية السوفيتية وهنا فرض على كليمانس أن يبقى في بريطانيا حتى حلول الخريف .

لم يبد لوكاسيفكس الذي تلقى تقاريراً منتظمة من لندن عن طريق البعثة التجارية السوفيتية في لندن قلقاً بالغاً بل على العكس كان وجود عميل موثوق به ومستقر داخل منظمة اس - أي - اس يعد بمزايا هائلة .

وفي ظل هذا كان الضحية الوحيدة هو ليونيدس زارنيس أحدث عملاء المخابرات المركزية الذي تم إنزاله جواً في أراضى لاتفيا يوم ١٤ مايو ، وتم سحب زارنيس ثانياً مجند لهارتمان في اللحظة الأخيرة .

الواقع ان ولاء ليونيدس زارنيس للبعثة لم يهتز أبداً حتى عندما أصر هارتمان على اولويته هي إرسال معلومات عسكرية حول تنظيمات الجيش الأحمر وإحداث قاذفات القوات الجوية وأي تفاصيل تتعلق بالبرنامج النووي السوفيتي .

لم يستطع هارتمان أن يوفر إقامة آمنة للعميل أو تفاصيل دقيقة عن لاتفيا التي غادرها زارنيس شاباً مراهقاً ولايعرف الكثير عنها .

وكان هارتمان اتخذ إجراءات بسيطة لحماية عملية من احتمالات أن يواجه عملية

خداع تدبرها كى - جى - بى باستخدام اوسولنيس .

لقد كانت عمليات إسقاط زارنيس بالمظلة التى استغرقت ٣٠ ثانية هى عملية سقوط فى المجهول باستثناء واحد هو تزويد هارتمان عملية البريء بحقيبة تحتوى على ٢٥ ألف روبل لتوصيلها إلى اوسولنيس .

لم يتم أبداً إجراء أى تحقيق بعد المهمة حول لماذا خرق هارتمان قاعدة أساسية فى عمل المخابرات لإجراء احتياطات تتعلق بمكان المهمة وعندما حل وقت لإجراء مثل هذا التحقيق كان هارتمان يعمل خبيراً فى إدارة مكافحة التجسس المضاد مع جيمس انجليتون ويشاطر رئيسه هاجس وجود عملاء متسللين من كى - جى - بى اخترقوا صفوف المخابرات الامريكية .

فى عام ١٩٥٢ بدا هارتمان متاكداً من حكمه لانه فى الوقت الذى ألقى فيه التهم الساخرة على بريطانيا بسبب الافتقار إلى الاحتياطات الآمنة كما بدا فى فضيحة بورجيس - ماكلان قام بإرسال إشارة إلى اوسلينس يبلغه فيها أن الاموال التى طلبها ستصله فى ميعاد ومكان محددين وأبلغه أيضاً بكلمة السر التى سيتم استخدامها . وحتى قبل أن يطير زارنيس لعبور الأطلنطى كان بوندوليس يعرف أنه اذا ما انتظر بعض الوقت فإن أحدث عميل للمخابرات المركزية الامريكية سيقع فى الشرك .

بعد أسبوع واحد وقع المحتوم فقد شعر زارنيس بانزعاج من الوحدة والخطر وصعوبة المهمة اندفع إلى مقابلة اوسولنيس فى وسط مدينة ريجا وبعد تبادل كلمة السر تم اقتياده إلى احدى الشقق حيث تم تقييد يديه فوراً حتى لا يتمكن من ابتلاع حبوب السيانيد وكان عليه أن يواجه مصيره وبعد انتهاء اعترافاته تم إرساله إلى سيبيريا ليلقى حتفه هناك بعد أن قرر رجال فيفيرز ذلك .

فماذا كان الموقف فى ألمانيا ؟ وفى ظل انقطاع رسائل زارنيس بعد رسالته الاولى التى أفاد فيها بوصولهِ سالماً وصلت رسالة من اوسولنيس يسأل فيها عن مكان الاتصال به ويبدى سخطه من الخطر الذى يواجهه نتيجة ظهوره المتكرر فى المكان المتفق عليه سابقاً .

استبدت الحيرة والقلق بهارتمان وأصاب الاكتئاب بروميرج الضابط الذى قام بتدريب زارنيس حيث كان اختفاء ذلك الاخير أمراً غير مفهوم ومع حلول نهاية شهر يونيو ومع إلحاح اوسولنيس على الاموال يقبل هارتمان فكرة أن زارنيس قد فقد وأعد

ترتيباته لإرسال خطاب يحتوى على الأموال المطلوبة مع احد رجال الاعمال المسافرين إلى روسيا بطريقة مشروعة لإرسال الأموال بالبريد من هناك إلى ريجا .

بعد أن تلقى اوسولنيس الأموال أرسل إشارة يعبر فيها عن استيائه الشديد بسبب ضالة المبلغ المرسل وخطورة الطريقة التى أرسل بها . لقد كانت استراتيجية فيفيرز تقوم على ضرورة استمرار الاتصالات بين اوسولنيس وهارتمان حتى يتمكن من التعرف على أى عملاء جدد قادمين من طرف المخابرات الأمريكية وهنا كان يتعين أن يظهر اوسولنيس بمظهر بائس ولكن يواجهه بشجاعة .

ووسط تكرار طلباته من أجل الحصول على أموال جديدة أرسل اوسولنيس - ذلك العميل الأسير - بناء على تعليمات من كى - جى - بى نداءً إلى برومبيرج الذى كان قد نقل إلى السويد جاء فيه « لقد أخبرت كول » مراراً وتكراراً بالورطة المزرية التى أعيشها ولكنه لم يفعل شيئاً إنك وحدك القادر على فهم الموقف لذلك أطلب مساعدتك فوراً وإلا ذهب جهدى كله هباءً « منثوراً » تأثر برومبيرج بهذه الرسالة كما كانت تهدف كى - جى - بى وتم إرسال ٢٥ الف دولار أخرى مع احد المتعاونين حتى يتمكن اوسولنيس من الهرب وفى ذات الوقت شعر برومبيرج بالذنب نتيجة إرساله زارنيس ليلقى حتفه .

واتخذ قراراً بأن يذهب هو بنفسه إلى لاتفيا للوقوف على مصير الشبكة هناك واشترط قبل ذلك عزل هارتمان بعيداً عن أى نشاط يتعلق بهذه العملية على أن يحل محله جون اوستين الذى يدخن بشراهة والذى وافق على عدم التدخل فى عملية التدريب التى يقوم بها برومبيرج كما اشترط أيضاً إبلاغ أسرة زارنيس بخبر وفاته .

وفى مطلع عام ١٩٥٤ استقبل والد زارنيس الذى يعمل طبيباً فى النرويج زائراً غير متوقع ادعى انه من الشركة التى يعمل بها ابنه - بيل تليفون - وقد أخبره هذا الزائر أن ابنه لقى حتفه فى حادث تحطم طائرة فوق فينتام ولم يتم العثور على رفاته .

وتظاهر مندوب الشركة المزعوم بالحزن وهو يسلم والد زارنيس مبلغ ١٥ الف دولار قيمة التأمين المستحقة له لدى الشركة . ولم يحدث بعد ذلك أبداً أن عرفت أسرة زارنيس بتفاصيل القضية وقوبلت كل الأسئلة التى واجهها فى واشنطن بالتجاهل لتام ، وفى تلك الفترة تم إنزال برومبيرج داخل الاراضى الروسية .

وتم تسليم الـ ٢٥ الف دولار الجديدة إلى اوسولنيس عن طريق أحد المتعاونين مساعدة اس - أى - اس والتى كان رجالها فى غاية السعادة بسبب نجاحهم مقابل

فشل الامريكيين ، وكان الرجل الذى حمل المبلغ هو كليمكانس لدى عودته إلى لاتفيا في خريف عام ١٩٥٢ جاء وداع كليمكانس في لندن بعد عام دافئاً كشهادة ثقة رجال اس - آى - اس في شبكتى البارتيزان .

عاد كليمكانس هذه المرة محملاً بالاسلحة والادوية وأجهزة الراديو والخرائط وحوالى مليون روبل وكان المبلغ كافياً لكى يتباهى لوكاسيفكس بعد ذلك بأن اس - آى - اس قامت بتمويل عمليات الخداع التى نفذتها كى - جى - بى .

كان على نفس قارب كلوس انستياس دوكايتيس (البيناس) وهى من ليتوانيا وهنيو كار كمان (البرت) من استونيا وكان قد تم تدريبهما كفنيين للعمل على جهاز الإرسال وتمت مساعدتهما للوصول إلى المكان المحدد لوصولهما .

رغم ان الاحتفالات بأعياد الميلاد في روسيا الشيوعية لم تتم بعد إلا ان فيفيرز ولوكاسيفكس وبوندوليس كانوا في غاية السعادة مع اقتراب نهاية عام ١٩٥٢ وكان نجاحهم يعود في جزء كبير منه إلى دقة تطبيق القواعد الواردة في الكتاب الذى ألفه فيليكس دزيرزنسكى .

سرعان ما تلاشت هذه السعادة بعد إعلان قصر عن تنفيذ حكم الإعدام عشية الاحتفال بأعياد الميلاد في لافرنيتى بيريا رئيس جهاز كى - جى - اس بسبب ارتكابه سلسلة من الجرائم والتجسس لحساب قوة أجنبية .

ولم يكن من الممكن الحيلولة دون تأثر تنظيم الشرطة في ريجا بالاضطرابات التى وقعت في موسكو وهامم الضباط الذين نفذوا أحكام الإعدام في زملاء لهم بتهمة الانحراف عن خط بيريا يواجهون العقاب بصورة مفاجئة وأصبح القاطنون في شارع لينين أكثر قلقاً إزاء الأمن داخل المبنى من أمن الجمهورية .

وكانت النتيجة التى ترتبت على ذلك ببطء وصعوبة في الاتصالات مع المركز في موسكو وفي تلك اللحظة بالضبط التى أكد فيها البارتيزان عن طريق كليمكانس للندن انهم سيرسلون مزيداً من المعلومات الاستخبارية في مقابل إرسال مزيد من العملاء والمعدات والأموال .

وصل الطلب المتوقع من برودواى بالحصول على مزيد من المعلومات الاستخبارية في الثانى من فبراير عام ١٩٥٤ في إشارة طويلة على غير المعتاد وقد شرحت لندن

لمجموعة روبرتس طبيعة المعلومات التفصيلية المطلوبة حول مصانع محددة وترسانات بناء السفن ومحطات الكهرباء والموانئ وطلبت لندن بصورة أكثر إلحاحاً عينة من مياه نهر توبول في الأورال حيث كان من المعتقد أنه تم تشغيل مفاعل نووى حديثاً في المنطقة وكانت إس - أى - سى تريد أن تدرس قدرات المفاعل .

أرسل جبرائيل « سيلارجس » إشارة طلب فيها إيفاد جانيس أرجلز الذى قضى فترة من الوقت مع إس - أى - إس في لندن إلى المنطقة لوضع رسم كروكى وإذا كان من الضرورى خلط لتر من مياه النهر بالكحول لتفادى أى شبهات وعليه أن يدفن الزجاجاة بعد ذلك في مكان محدد بالقرب من ريجا على أن يتم نقلها في وقت لاحق .

في شهر مارس أبرق إرجليس إلى لندن انه قام بتنفيذ المهمة بنجاح وفي المقابل طلبت برودواى من مجموعة ماكسيس استعادة الزجاجاة وتسليمها إلى كلوس الذى كان على وشك أن يقوم بإنزال مزيد من العملاء خلال عدة أسابيع .

ومع اقتراب موعد وصول القارب انتشرت أنباء بين مجموعة ماكسيس أن العميل جانيس بيلسيتينيكس (هوجو) الذى كان يقضى الشتاء مع ريميس في شقته في ريجا يعاني من انهيار على عكس اوبانس كان هوجو يلوز بالصمت والانطواء حتى وصل إلى درجة من الفزع تحول دون مغادرته الشقة وقد جاء رد فعل جبرائيل بإيجاز شديد قائلاً : (نحن نعرف انه عبء كبير) . وقال يمكن ان نعتبر ان هوجو قد هلك من أجل قضية وطنه الام .

ربما بسبب موت ستالين حديثاً وانفراج الأمور في الاتحاد السوفيتى بصورة طفيفة أو ربما خوفاً أن تؤدي هذه الأمور إلى تعزيز مكانة الأنصار رفض لوكاسيفكس تنفيذ حكم الإعدام الذى طرحه سيلارجيس . وبناء على ذلك تم شحن الزجاجاة الثمينة مع بيليتينيكس إلى ٢٠٨ اس عند الوصول في نهاية شهر مارس .

بعد مضي أقل من ثلاثة أسابيع انهالت دفعة من الاسئلة على ارجليس من لندن هل هناك حيوانات ترعى في الحقول القريبة ؟ ماهى أقرب قرية ؟ وكانت كل إجابة يرسلها تثير سيلاً من الاسئلة الأخرى وبلغت هذه العملية الذروة بطلب موجز من برودواى بضرورة إرسال مندوب من مجموعة روبرتس إلى لندن فوراً .

وهنا انقلب ارتباك لوكاسيفكس إلى قلق باغ عندما استفز رده بعدم امكانية تدبير أحد من مجموعة روبرتس طلباً جديداً بإرسال أحد الأنصار مشفوعاً برسالة تهديد

« إذا لم يأت واحد من البارتيزان واحد اعضاء روبرتس إلى لندن فإن جميع الاتصالات ستقطع » ، وكان من الواضح ان هناك ازمة ما .

ارتاب لوكاسيفكس فيما اذا كان بيليتنيكس قد اكتشف الحقيقة حول الخديعة وبعد مراجعة العمليات برمتها كان الاعتقاد الغالب لدى كى - جى - بي انه ربما تكون وفاة « تومس » « بيرزنييس » هي التي ادت إلى الازمة .

ربما كان هذا العميل مرتاباً وعبر عن قلقه بإرسال خطاب سرى قبل قتله . وربما الاكثر احتمالاً ان برودواى لاحظت كما لاحظ هو نفسه ان مزيداً من عملاء اس - اى - اس الذين ارسلوا إلى مجموعة ماكسيس وقعوا في الاسر او قتلوا اكثر من الذين انضموا إلى مجموعة روبرتس .

وعلى لوكاسيفكس الموقف بان برودواى قد اقتنعت ان الاحتكاك يؤكد الثقة في حين ان الامان يعادل الاختراق ، وكان الغالب الرغبة في عدم إرسال سبيتر رينهولدز الضابط البارز في مجموعة روبرتس إلى لندن لانه يعرف الكثير خوفاً من نجاح المحققين في اس - اى - اس في معرفة الحقيقة منه

وكان البديل هو إرسال ضابط ماهر ولكن جاهل يمكنه امتصاص شك البريطانيين حول روبرتس دون ان يكشف عن الكثير .

ووقع الاختيار على عميل كى - جى - بي مارجيرز فيتوانيس وهو فنان يبلغ من العمر ٢٥ عاماً وهو أيضاً طبيب مارس العمل السرى خلال فترة الاحتلال الالماني .

وفي عام ١٩٤٧ حقق فيتولينس انقلاباً كبيراً عندما قدم نفسه على انه عميل بريطاني ذهب إلى الغابات وأجرى اتصالات مع مجموعة حقيقية من الانصار - البارتيزان - حيث أبلغ كل مجموعة ان ضابطاً بريطانيا بارزاً سيعقد مؤتمراً صحفياً في ريجا لشرح آخر تكتيكات تحرير لاتفيا ، ومع البريطاني يكون رئيس حكومة لاتفيا في المنفى الذي تم تهريبه إلى داخل البلاد مؤخراً .

وبعد ان قام بتهدئة الشكوك الاولى لدى قادة الانصار - البارتيزان - قام أيضاً بتهدئة مخاوفهم حول سلامتهم قائلاً لا تقلقوا فإن البريطانيين منظمون جداً وأستطيع ان احصل لكل واحد منكم على بطاقة هوية صالحة وكل ما احتاجه هو صورة لكل مندوب وقد اقتنع حوالي ١٥ من قادة الانصار تماماً بما قاله الرجل وعاد بالهويات التي بدت حقيقية .

واخبر كل واحد منهم بمفرده أن الاجتماع سيعقد يوم ١٣ ابريل في ريجا .
في يوم ١٤ ابريل بعد أن قام قادة الانصار بإبلاغ (الضابط البريطاني) بتفاصيل
نشاط كل مجموعة على مدى أربع وعشرين ساعة تم إلقاء القبض على الجميع ولم يرههم
أحد بعد ذلك .

بعد ذلك بسبع سنوات قرر لوكاسيفكس ان فيتولينيس هو الرجل الوحيد الذي
يستطيع السفر إلى لندن لإنقاذ عملية لارسن اس وخلال شهر من التعليم من جانب
لوكاسيفكس وبوندونيس لم يتم ذكر أى شىء له عن المياه الإشعاعية أو عن الازمة .

وتم إحاطته علماً فقط بانشطة البارتيزان في الغابات والإجراءات التي يتبعونها في
إرسال المعلومات الاستخبارية إلى لندن وقال له : « إن مهمتك هنا أن تطمئنهم على أن
المجموعة بخير » وكان لوكاسيفكس يردد له يومياً « إنك تعرف فقط ثلاثة من أفراد
مجموعتك ولم تكونوا على اتصال ابداً بفنى الراديو المرسلين من لندن » .

وتواجد من إجراءات الحذر والريبة التي تنتاب لندن لأول مرة عند وصول ٢٠٨
اس في سبتمبر ١٩٥٤ . لم يسلم كلوست عملاء او موارد جديدة . ولم يدر أى حديث
عندما تسلق فيتولنيس « ذى لادى جان روسل » .

الفصل الثامن

المصيدة تتمزق

كان فيتولونيس يقف خلف كلوس عندما اقتربت ٢٠٨ اس من حافة الرصيف في « كيل » يوم ٢٩ سبتمبر عام ١٩٥٤ .

في وضع النهار استطاع الرجل أن يرى مجموعة صغيرة من خمسة رجال يقفون على أرضية الرصيف .

رغم دقة دروس لوكاسيفكس إلا أنه لم يدرب أو يعد ضابط كى - جى - بى على مواجهة النظرات الحادة والمصافحة الخالية من الإخلاص التي كانت في انتظاره وهو يخطو فوق الأسمنت المبلل .

كان سيلارجس هو البادئ بالحديث وهو يحاول إخفاء توجسه عند تقديم أفراد المجموعة « اليكس » الذي هو بيركيس وبوبس وهو لاتفى آخر وفريد عميل اس - أى - اس المقيم في هامبورج ثم سكوت الذي كان يبدو بوضوح أنه هو المسئول الكبير .

ثم تبادل كلمات قليلة بين أفراد المجموعة قبل أن يغادروا الرصيف لركوب سيارتين تتوجهان إلى ٨ جولف ستراسى .

وفور دخول المجموعة إلى إحدى الفيلات المملوكة للـ اس - أى - اس تلقى فيتولونيس أمراً بخلع ملابسه لأخذ حمام وترك الملابس في غرفة مجاورة وفيما كان مغموراً في الماء راوده الشك في أنهم يفتشون ملابسه وتصور أن هناك مرايا سرية عاكسة لمراقبته . وقد حدث فعلاً أن قام الخبراء العاملون تحت قيادة سكوت بتفتيش الملابس للتأكد من أن مرتدى هذه الملابس عاش في الغابات الرطبة .

وتوقعا لمثل هذا الأمر قضى فيتولونيس الأسبوعين السابقين قبل رحيله في مخبأ حتى تحمل ملابسه رائحة الغابات ومع ذلك عثر ضباط اس - أى - اس على علبة كبريت جافة مما أثار فضولهم .

وإزاء صعوبة المغادرة قال سكوت بعد ثلاثة أيام هانحن قابعون هنا في هامبورج لان الضباب الكثيف يحول دون إقلاعنا .

وإزاء هذا الوضع قضى فيتولنيس حوالى أسبوعين ومضيفيه أيامهم في المطاعم والبارات وكان ثلاثة أشخاص يتناولون الطعام معاً وهم فيتولنيس وسكوت وفريد وتم استبعاد سيلارجس وبيركيس .

وفي الغالب كانت المحادثات بين الثلاثة تحمل طابع الاستجواب إلا أن سكوت لاحظ خطورة سيادة مناخ الاتهامات وأخذ يبتسم للحيلولة دون تراكم الجليد .

وعندما تقرر شد الرحال إلى لندن لم يكن السحاب قد زال تماماً واستطاعوا في النهاية بعد أربع محاولات من الهبوط في فيرفورد .

بعد الوصول تم اقتياد « البارتيان » إلى مقر إقامته المؤقت في لندن وهو عبارة عن شقة صغيرة مريحة تقع في ٢ سلوان ستريت في مقابل حمل هارفي نيكولاس الفاخر في كيفتبردج .

بعد انتهاء فترة التوتر في هامبورج فوجيء فيتولنيس بمفاجأة سعيدة بعد يوم من وصوله وتتمثل في دعوته إلى حفلة في هامبستيد ترافقه نورا داشوود مساعدة ماكبن وكان هذا الأخير يحتفل في قصر باكنجهام بحصوله على وسام او - بي - أى وكانت الحفلة في منزل ماكبن تقام بمناسبة تقاعده .

كان المشاركون في الحفل الذين يدركون الظروف حريصين على عدم الإشارة إلى ان تقاعد الرجل كان سابقاً لأوانه فقد كان فرعه يعانى من أزمة مستمرة منذ الربيع وهاهو ماكبن يسقط كأول ضحية للأزمة .

وقد تم تقديم سكوت إلى فيتولنيس على أنه خليفة ماكبن . وكان الضحية الأكثر خطورة هارى كار الذى وافق على الانتقال إلى العمل في كوبنهاجن كضابط مقيم في عام ١٩٥٥ . ورغم جهود الإدارة في إخفاء عملية تنزيل رتبته وإعطائه فرصة قبل التقاعد للحصول على بدلات العمل الكبيرة للقيام في الخارج إلا أن الأجيال الأقل سناً فهموا أن هناك شيئاً ما خطأ حدث خلال حقبة هارى كما أن الإشاعات ترددت كذلك خلال حفلة ماكبن .

كانت الشقة الصغيرة في ابيردار جاردنز مكتظة بزملاء من برودواى والمهاجرين في مراحل مختلفة من الثمالة متجاهلين في غمرة السعادة عذاب العقد الماضى .

لقد كانوا من الجيل الذى لى طلبات القادة العسكريين للحصول على معلومات استخبارية من وراء خطوط العدو .

وكان يبدو أن الإسراف فى احتساء الوسكى والفودكا بمثابة احتفال بالتزام المضيف بالنضال .

كان فيتولنيس يشرب مع مجموعة تعتقد أن الحرب مازالت مستعرة دون أن يكون هناك سلام أبداً .

وفى الوقت الذى كان الجيل الجديد فى برودواى لتناول الشاى وبعد ذلك يتم تخصيص وقت كاف يرافق فيتولنيس الساحرة نورا داشوود فى نزهة حول كنيفتسبرج ، كان المحامى الصغير الأصلع يكرر أسئلته ببطء على فيتولنيس وتدور حول أسرته وعمله وأصدقائه .

ونظراً لأن المحقق لايعرف اللغة اللاتفية أو الروسية فقد كان يوجه الأسئلة باللغة الألمانية وكان عدم تمكنه من الحصول على أى اشارة متناقضة بمثابة شهادة لاختيار لوكاسيفكس لهذا الجاسوس . فقد تحدث فيتولنيس بالحقيقة كلها مع بعض الحذف وبلغت الأمور ذروتها فى اليوم التاسع عندما قرر تغيير المسار بطريقة درامية .

فيتولنيس - لقد تخرجت من الجامعة الماركسية بدرجة فى الفنون .

المحقق - إذن أنت ماركسى ؟

فيتولنيس - نعم أنا ماركسى قالها وهو يصرخ بصوت مرتفع متصنعاً الغضب . وأرفض أى استجواب جديد .

وهنا تدخل سكوت قائلاً : نحن نعرف أنك ماركسى .

ورد فيتولنيس لقد مللت من أسئلتك إذا لم تكن تثق فى أعينى إلى بلادى مرة اخرى .

سرعان ماساد الغرفة صمت مطبق تبادل خلاله الانجليزيان النظرات ثم غادرا الغرفة

يدين ماكبن لعدم قبوله أو فهمه لتغير الظروف منذ عام ١٩٤٥ وكانت وجهة نظر أولئك الموجودين فى هامبستيد هذه الليلة أن الكفاح ضد البلشفية لم يتوقف أبداً وأن الحرب ضد النازيين كانت قطيعة بائسة أو حتى فرصة ضائعة .

إن وجود فيتولنيس في الحفل هو رمز للفشل في فهم طبيعة الأزمة الخائفة في ريدير ستريت وبرودواي والتي ثارت بعد رفض ماكبن بانفعال الأمر المؤقت بالتوقف عن إرسال عملاء ، وكان يجادل كار بأن تفاهة غضبه واحدة لا تكفى لكى يرفض المرء الكدمة كلها ولقد بلغ الغضب والعداء ذروته مع رحيل ماكبن رغم أن أحداً من المشاركين في الاحتفال يمكن أن يفهم الظروف كاملة حتى ماكبن نفسه .

وفي اليوم التالى انتهى الجو غير الرسمى وتم اقتياد فيتولنيس إلى مبنى ضخم بدون اسم في فيكتوريا ستريت للقاء سكوت وأحد المحامين المجهولين والذي قدم بجفاف إلى فيتولنيس على أنه المستجوب ومع ذلك لم يخيم على الجو شعور عدائى أو محوم إنما كان هناك أربع ساعات من الاستجواب يومياً يتخللها استراحة .

بعد وقت قصير عاد سكوت إلى الغرفة ليعلم أن الرجل ليس عميلاً من عملاء كى - جى - بى ثم غادر ثانية ورغم ذلك مازالت الشكوك تراوده ، وكان سكوت والمحقق على اقتناع بأن فيتولنيس موضع شك إلا أنهم قرروا أنه يمكن تحقيق المزيد من المكاسب عن طريق بدء عملية خداع بدلا من هدم العلاقة .

ولم يخبر ضابطا اس - أى - اس سيلارجس بمخططهما وتم السماح له ان يطمئن بلدياته أنه اجتاز الاختبار .

وفور مغادرة المحقق للغرفة ظهر سيلارجس وهو يحمل زجاجة ويسكي وهو يصيح - هيا نحتفل - ولكن فيتولنيس تساءل : لماذا كانوا في شك منى ؟ وهنا رد سيلارجاس إنها المياه في إشارة إلى العينة التى تم تعبئتها من الاوراك . وهنا تساءل فيتولنيس مياه ؟ وهنا جاء سلارجاس بنسخة أولية من من طلب اس - أى - اس الذى تسلمه ايرجليس قائلأ إذا كان - اوجست - إشارة إلى ايرجليس خائف جداً من الذهاب إلى الأورال فإنه يمكنه غمر الزجاجة في نهر داوجافا في وسط ريجا واذا كان يريد أن يمارس حماقة معنا فإنه يستطيع أن يتبول في الزجاجة ولكن بدلا من ذلك أرسل إلينا عينة من المياه مشبعة بالإشعاع لدرجة أن أى شخص يعيش في المنطقة المجاورة لهذه المياه لابد أن يموت فوراً والذين يستطيعون مزج هذه المياه هم رجال كى - جى - بى فقط .

استبدت الحيرة بفيتولنيس حيث كان لوكاسيفكس دون أن يعرف هو وجد من الصعب تلبية طلب اس - أى - اس نظراً لأن معلوماتهم حول وجود مفاعل يقع على نهر توبال في الأورال كانت معلومات خاطئة حيث لا يوجد مفاعل يعمل في البحر .

وإزاء ذلك طلب لوكاسيفكس من المركز في موسكو إعداد عينة من المياه ولن يجرى تحقيق داخلي للتعرف على الفاعل وأخذ العالم المختار على عاتقه مهمة إحاطة الملثقى علماً بالإنجازات العظيمة التي أحرزها التقدم العلمى في روسيا . لم يكن لوكاسيفكس يتصور أن يصل غباء موسكو إلى حد تعريض العملية برمتها للخطر بالمبالغة في تصوير قوة المفاعل لدرجة لاتصدق وعشية تنفيذ حكم الإعدام في بيريا انهار ترتيب موسكو تماماً .

وبينما كان يعب الويسكى فيم فيتولنيس موقف سيلاراجاس وقد رأى المهاجر عدم وجود ميزة شخصية في إعلان أن فيتولنيس أو مجموعة روبرتس ليسوا موضع ثقة ، كان اللاتفيون في المنفى يريدون من البارتيزان – الأنصار – ان يدعموا آمالهم السياسية ويحافظوا على وضعيتهم في لندن ووجودهم المستمر . فقط هو الذى أدى إلى استمرار تمويل الحكومة البريطانية للبعثة . ووجد فيتولنيس ميزة تكتيكية في تأكيد شكوك سيلاراجاس والتي عبر عنها أيضاً سكوت في أن هناك احتمالاً باختراق مجموعة روبرتس وأن إيرجليس غير موثوق به وفي ذات الوقت أكد أن مجموعة ماكسيس مازالت سليمة .

بعد أن انتهى فيتولنيس من شرح وجهة نظره لاحظ ترحيب سيلاراجاس بوجهة النظر هذه نظراً لأن أى نتيجة أخرى ستؤدى إلى تحقيقات جديدة بشأن مجموعة ماكسيس وربما نهاية عمليات اس - أى - اس في لاتفيا وليتوانيا واستونيا .

وهنا لن يغفر زارنيس والزعماء المهاجرون لسيلاراجاس إذا بادر بأى إجراء يؤدى إلى توقف عمل المخابرات البريطانية في البلطيق ليس فقط لأن ذلك سيسد الطريق أمام مصير دولهم ولكنه سيؤدى بصورة كبيرة إلى التقليل من أهميتهم في نظر وزارتي الخارجية البريطانية والأمريكية وكان من مصلحة سيلاراجاس الشخصية أن يدرك هذه الحقيقة .

وافق سكوت على دورة تدريبية لفيتولنيس قبل أن يعود إلى لاتفيا ولكن بدلاً من أن يذهب إلى المدرسة في تشيلسيا فإن المدربين سيأتون إلى سلوانى ستريت ، ولم يكن بسبب عزله عن باقى العملاء سراً فقد قال له سكوت أنت موضع ثقة ولكن كى - جى - بى اخترقت صفوف البارتيزان ، وقد وضح أن فيتولنيس هو الذى وقع ضحية الوهم فقد كان سكوت متأكداً من وجود ثغرات في عمليات البلطيق إلا أنه يحتاج بعض الوقت حتى يتحقق من هذه الشكوك دون إفساد أى ترتيبات سابقة .

كان بيركس واوبانس وعملاء آخرون عائدون قد خضعوا لإعادة استجواب وأعربوا عن اعتقادهم أن مجموعة ماكسيس محل ثقة وقد بدا أن هذا الرأي قد تأكد خلال العام الذي قضاه كليمكانس في لندن مؤخراً ، وذلك من واقع خبرة إس - إس - إس مع احتمال أن يكون قد تم اختراق روبرتس .

ورأى رجال إس - إس - إس ضرورة تعليم فيتولنيس لبعض المهارات واستمرار ظهوره بعد أن لاحظوا استمتاعه بجو الحرية والمرح الذي يسود لندن ، والاستضافة الرقيقة من جانب سكوت ونورا داشوود .

في واقع الامر بدا فيتولنيس راضياً عن حياته وسط الرأسماليين كما هو متوقع من مقاتل من أفراد البارتيزان المناهضين للشيوعية .

في الوقت الذي استمرت فيه التحريات بدأت عملية تدريب فيتولنيس على تعلم مبادئ تشغيل جهاز الإرسال وتزوير جوازات السفر إلى جانب مباريات في إسقاط الرسائل الميته في منتزه هايد بارك مع ضابط صفار وكيفية العمل تحت ضغط المراقبة في منتزه ريجنتس ، والشىء الذي لم يعرفه ضباط إس - إس - إس أن تلميذهم استخدم نفس المهارات في تحرير تقرير متقدم إلى لوكاسيفكس في ريجا يحتوى كل ما يتم التخطيط له .

كان هناك تصور مشترك يجمع بين فيتولنيس وسيلاراجاس حيث اعتقد الرجلان شكوك مبعثها فقط المياه المشعة إلا أن الحقيقة تؤكد أن هذه الشكوك قامت على أسس أكثر رسوخاً من هذا .

في وقت سابق من هذا العام أبلغ بول هارتمان خبير المخابرات المركزية في شتون لاتفيا جورج بيليك رئيس قسم البلطيق في واشنطن عن وجود مشاكل تواجه لينويدس برومبج الذى تم إنزاله في لاتفيا يوم ٦ مايو ، وكان برومبج قد أصر على أن يقوم بنفسه بعملية التحرى عن مصير ليونيدس زارنيس وسيلتقى مع اديفينس اوسوانيس شخصياً والذي لم يكن معروفاً للمخابرات المركزية الأمريكية أنه يتعاون مع كى - جى - بى في ريجا .

جاءت عملية إنزال برومبج كما أكد في إشارته القصيرة بالراديو بعد عملية ناجحة تماماً ولم يلاحظها أحد وبعد أن دفن بعض معداته استقل القطار إلى ريجا وقد أثار وجوده المفاجئ دهشة أصدقائه القدامى إلا أنهم قبلوا تفسيره بأنه عائد من الترحيل

في سيبيريا ووفروا له مكانا ينام فيه .

وفي يوم ١٢ مايو وبعد السماح لبرومبرج ببعض الوقت للتأقلم مع الجو أرسلت وكالة المخابرات المركزية الامريكية رسالة بالبريد العادى إلى اوسولنيس تطلب منه مقابلة أحد رجالها في المقبرة « فوريسست » وكان هذا أول خيط يقود كى - جى - بى إلى معرفة وصول العميل الجديد .

أصدر بوندوليس تعليماته إلى اوسولنيس بأن يجرى اتصالاً مباشراً فوراً مع برومبرج ثم يتفقا على موعد آخر وجاء اللقاء ميلودراميا حيث كان اوسولنيس يسير في مؤخرة موكب لتشييع جنازة حاملاً باقة من الزهور لم يكن متوقعاً أن يرى الضابط الذى دربه في السابق إلا أنه فوجيء ببرومبرج واقفاً أمامه ، فعلاً تم الاتفاق على لقاء آخر ثم افترق الرجلان .

كان بوندوليس حاسماً إزاء مصير برومبرج حيث أن المطلوب هو عدم السماح لعمل المخابرات الامريكية بإرسال أى تقارير استخبارية يمكن مقارنتها مع التقارير المرسله إلى اس - أى - اس كان لابد من القبض عليه في اليوم التالى وقد أشرف فيفيرز شخصياً على العملية للحيلولة دون ابتلاع برومبرج لأقراص السيانيد .

في أول استجواب جذر بوندوليس العميل برومبرج من النتائج المترتبة على عدم تعاونه إلا أن برومبرج اعترف بالمكان الذى أخفى فيه المعدات وهدف مهمته من بناء الشبكة التى فشل تلاميذه في تنفيذها بنجاح كما أعلن عن نوايا وكالة المخابرات المركزية الامريكية في المستقبل .

وفيما بين الاستجابات قام اوسولنيس بتهدئة خاطر برومبرج وشرح له المازق الذى وقع فيه واقترح عليه أن يقبل التعاون مع كى - جى - بى بعد كل هذا لا يوجد أى دليل على أن روسيا تعد العدة للهجوم على الغرب والحياه تبدو في لاتفيا أفضل مما كان متوقعاً وتدرجياً بدأ بوندوليس في الاقتناع أن برومبرج رغم ماهو معروف عنه من عداة شديد للشيوعية ربما يكون قد اقتنع بالتعاون مع كى - جى - بى .

لم تراود وكالة المخابرات الامريكية أى شكوك بعد حول صمت جهاز الإرسال الخاص ببرومبرج نظراً لأن اوسولنيس قد أرسل رسالة خطية يؤكد فيها ان اللقاء بينهما تم في سلام وأن جهاز إرسال برومبرج قد تعرض للتلف ويمكن إصلاحه .

لم تكن موافقة برومبرج في النهاية على التعاون تثير أى شك أو مفاجأة ، وجاء

السيناتور الذى اعده بوندوليس لإرسال إشارات إلى واشنطن ليقتراح أن الرجلين يستعدان لمغادرة ريجا وضرورة إرسال عميل جديد بدلاً منهما .

حمل برومبج من بين معداته عدداً من جوازات السفر البيضاء وطوابع شرطة لتزوير تأشيرة دخول ميناء مورانسك للهروب على ظهر سفينة شحن يطلبها مالزم الأمر قبل موعد الهروب وكانت هذه هى الخطة المتفق عليها مع هارتمان .

العقبة القادمة أمام بوندوليس هى كيفية الحيلولة دون ان تتضمن أول رسالة رمزية لبرومبج أى إشارة إلى أنه وقع بين يدي كى - جى - بى .

من المعروف أن كل شخص يستلم جهاز إرسال بالراديو له أسلوب فى طبع مفتاح مورس يكون معروفا لدى المستقبل تماماً مثل خط اليد .

وهناك أحد الفنيين فى ألمانيا الغربية مكلف بالتقاط ونسخ رسالة برومبج وهو فنى متمرس بأسلوب برومبج الشخصى فى الإرسال ، كما اتفق هذا الفنى على وجود انحراف طفيف فى الأسلوب فى إرسال خطابات معينة لإبلاغ عن وقوعه فى قبضة كى - جى - بى ، لم يكن بوندوليس يدرك هذه الوسائل فقد حذر برومبج قبل أول رسالة من اللجوء إلى الخداع .

وصلت رسالة برومبج الأولى إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى شهر يوليو وتضمنت تقريراً استخبارياً موجزاً أعده خبراء ومحللون فى شارع لينين كما تضمن أنباء عن اعتزام برومبج واوسولنيس مغادرة روسيا .

ماذا عن الموقف فى واشنطن؟ اعتقد هارتمان والمسئولون الآخرون فى الوكالة أن برومبج مازال حراً طليقاً رغم الفجوة بين الرسائل .

مع حلول عام ١٩٥٣ وبعد أن أصبح تعاون برومبج مع كى - جى - بى شيئاً عادياً بدأ بوندوليس بإهمال فى تخفيف حدة الرقابة على برومبج ، الذى استغل الموقف وقام بإجراء تغيير أو انحراف طفيف فى شريط إشارة موريس ليكشف أنه وقع فى قبضة كى - جى - بى إلا أن أحدا لم يلاحظ مغزى هذا التغيير سواء فى واشنطن أو ألمانيا الغربية .

ومع ذلك أدى التحليل الدقيق لتقاريره الاستخبارية إلى إثارة نوع من سوء الفهم . فقد كانت رسائله الخالية من أى معلومات عسكرية أو إشارة إلى أن الاتحاد السوفيتى يقوم بالتعبئة للحرب تشبه المسكنات .

وعلى الرغم من أن هذه النوعية من المعلومات كانت تحوز قبول اس - آى - اس خلال خمس سنوات إلا ان سى - آى - آى كانت تريد المزيد . ومع ذلك أرسل هارتمان تقريراً إلى برومبج يتضمن الاستعدادات لإجلاء العميلين عن طريق ميناء مورمانسك . من خلال الوقت ذاته كان فرع البلطيق فى المخابرات المركزية الأمريكية يتلقى رسائل متباعدة من ليتوانيا وكانت كى - جى - بى تستقبل كوناس كوكاوسكوس الذى خان لوكشا فى إرسال تقارير استخبارية وطلبات بالمساعدة بواسطة جهاز الإرسال الذى تم الاستيلاء عليه قبل تدمير المخبأ .

ولكن رغم وجود العميل باولوس سيرفيس وهو فنى يعمل على جهاز الإرسال حراً طليقاً فى الغابات فإن المخابرات الأمريكية كانت متأكدة منذ وقت طويل أن جميع عملائها قد لقوا حتفهم وأن الرسائل التى تصل عن طريق أجهزة الإرسال بالراديو مصدرها كى - جى - بى .

وفى وقت لاحق من عام ١٩٥٤ وصل خطاب من سيرفيس ورغم تعرضه للخيانة والقبض عليه فى وقت لاحق من ذلك العام إلا أن محلى المخابرات الأمريكية ارتبكوا فى الحكم على ما إذا كانت شكوكهم بعد ذلك كله قائمة على أساس قوى .

وخوفاً من فقد عميلين جديدين تم إنزالهما فى استونيا قرر بيليك إيفاد لويزا بيدرا فاس وهى أمريكية من أصل ليتوانى إلى لندن لمقارنة الرسائل الواردة إلى المخابرات الأمريكية بتلك التى وصلت إلى اس - آى - اس من البلطيق .

أمضت بدرا فاس ثلاثة أسابيع فى برودواى خلال شهر مايو ١٩٥٤ . كان هناك تناقضات طفيفة فى الرسائل الواردة إلى الوكالتين ونقص فى صلب الموضوعات الهامة طوال الفترة وتطابق مدهل فى المعلومات الواردة من مجموعة البارتيزان فى الغابات بتقريرها كان بيليك وهارتمان وفايفادا يتوقعون ما هو أسوأ .

على أى حال وافق هارتمان على خطة أخيرة بإجلاء برومبج وبعث برسلة إلى « العميل » تخبره أنه سيتم إرسال طائرة صغيرة إلى حقل قريب من الشاطئ ، وعند اقتراب الطائرة عليه أن يقوم بإضاءة ثلاث مشاعل توضح مكان الهبوط .

بناء على تعليمات بوندوليس تم إبلاغ برومبج الرسالة وصدق على الخطة ، وفى الليل غادر مقره فى لينين ستريت . وفى الحقل تم مد حبل من السلك حول منطقة الهبوط حيث ينتظر رجال كى - جى - بى .

وكما هو متوقع سمع صوت طائرة صغيرة وتم إضاءة المشاعل وكان العملاء السريون يراقبون الطائرة وهي تدور ثم تبدأ في الهبوط وسرعان ما عادت إلى الاختفاء في ظلام الليل الدامس .

وفي تبادل لاحق للرسائل أبرقت المخابرات الامريكية في المانيا الغربية أن طاقم الطائرة أبلغهم بفشلهم في رؤية المشاعل .

اعتقد بوندوليس أن الطيارين كانوا خائفين وفضلا العودة لكن الحقيقة أنهم تلقوا أوامر بعدم الهبوط . فقد كان هدف الرحلة هو الإبقاء على برومبيرج حياً .

سرعان ما تبذرت جهود سى - أى - إيه للإبقاء على الاتصالات مع برومبيرج للتخطيط لهروبه عبر ميناء مورمانسك رغم العواقب المحتملة على حياة العميل الذي تعتمد عليه الخطة .

لقد كان شعور هارتمان متبلد إزاء هذه الخسارة ، وفي أعقاب ذلك تم تعيينه ليتولى منصب في مجال مكافحة أنشطة التجسس المضاد تحت قيادة انجليتون .

لقد جاء إنهاء عمليات المخابرات المركزية الامريكية في البلطيق متزامنا مع بيان علني ألقاه جون فوستر دالاس أمام الكونجرس قال فيه : « إن الشعوب الأسيرة لابد أن تعرف أننا لم نتساهل » ورغم أن الأمر بقى سراً إلا أنه كان مفهوماً أن الإدارة الامريكية لن تفعل شيئاً حقيقياً لإنقاذ هذه الشعوب .

لقد صادفت محاولات زرع عملاء في روسيا عن طريق حدود فنلندا وتركيا وإيران فشلا ذريعا نتيجة العقبات القاهرة التي صادفت الجواسيس في روسيا والتي تتمثل في المساحة الجغرافية الشاسعة والطقس القارس والتوتر الرهيب ، علاوة على أن المخابرات المركزية الامريكية كانت على وشك استخدام طائرة التجسس يو ٢ مما قلل من أهمية العنصر البشري في التجسس باهظ الثمن .

وما أن تأكد بوندوليس أن رسائل المخابرات الامريكية أصبحت عديمة القيمة توقف عن ممارسة عملية الخداع . وتم الحكم بالسجن لمدة ٢٥ سنة على برومبيرج ونفيه إلى سيبيريا حيث مات على ما يبدو بأزمة قلبية وهو يلعب كرة السلة . أما سيريفيز فقد حكم عليه بالسجن لمدة ٢٥ سنة وتم إطلاق سراحه بعد قضاء ١٩ سنة .

لقد كانت أزمة إس - أى - إس أكثر خطورة . حيث هناك حاجة لنوعيات خاصة

إدانة خمسة أعوام من النجاح . ورغم أن التحقيقات المشتركة التي أجريت بالتعاون مع بيدار فاس قد أثارت شكوكاً جديّة استمرت شبكتا لاتفيا والشبكات الثلاث العاملة في ليتوانيا تتظاهر بالعمل في حرية .

أشار تحليل لعمليات ليتوانيا إلى أن الظروف التي أحاطت بالقبض على أحد العملاء في مارس ١٩٥٢ واسمه بول جانيتز كاس (جوارس) الذي وصل عام ١٩٥٠ للعمل لحساب ديكسنيس يمكن أن تنسب إلى سوء الحظ علاوة على أنه لا توجد شكوك تحيط باختفاء عميل آخر هو الجيس لوكماناس . كما ان أولئك الذين مازالوا يبعثون برسائل لم يضمنوها أى إشارات تفيد أنهم يعملون وهم تحت سيطرة كى - جي - بي . وجاء تقرير من زيجمانس كوديركا الذى عبر مع (ادموندس) في خريف عام ١٩٥٢ أفاد أنه يعيش مع أحد الحدادين في إحدى المزارع . لم يكن هناك شيء قد تغير خلال العامين الاخيرين حيث كان يختبئ في النهار تحت سطح المنزل ويغادره في الليل للتنزه وكان يرد على رسائل برودواى كما هو مقرر ، ويقوم بإرسال تقارير « ادموندس » التي تأتيه عن طريق وسيط متعاون . ونظراً للاعتقاد السائد أن كوديركا حر طليق لم يكن يرى برودواى أى سبب يدعو إلى التفكير في العكس .

اما اتصالات برودواى مع عميلين آخرين في ليتوانيا وهما البنياس (انستياس دوكايتيس) وميك (انستياس برشلوتاس) اللذين كانا يعيشان في مدن صغيرة فقد كانت تسير على نحو مريح كذلك .

ممثّل آخر عن البارتيزان - الأنصار - أمضى ستة أسابيع في لندن وكرمه زيجمانس عاد مع أحد الفنيين لتشغيل جهاز الإرسال .

وخلص سكوت بعد التشاور مع كار إلى انه نظراً لاختلاف خبرة اس - اى - اس عن ال - سى - اى - إيه فإنه سيكون من الخطأ التوصل إلى نتائج مفزعة رغم أن مؤشر الميزان يشير إلى تزايد الشكوك .

كإجراء وقائي قررت اس - اى - اس اختبار شبكة استونيا وأرسل ريبان رسالة إلى البارتيزان يطلب فيها ضرورة إرسال أحد قادتهم إلى لندن فوراً للتدريب .

وكإجراء ناجم عن الشك الطفيف من جانب اس - اى - اس من احتمال حدوث اختراق من جانب كى - جى - بي عندما جاء رد الاستونيين بأن جون يمكن أن يلتقط

بواسطة كلوس في الأول من نوفمبر في سيرديما تم اتخاذ قرار بإنزال عميل آخر هو - هارى - على نفس الرحلة .

كان من الواضح أن إس - إس - إس مازالت تعتقد أن الاختراق محصور في مجموعة روبرتس .

ذهب ريبان إلى كييل لاستقبال « جون » وبعد فترة إقامة قصيرة كشف الاستونى عن هويته باسم ولتر لوكس بعدها طار الرجلان إلى لندن ، وهناك تم استجواب عضو البارتيزان لعدة أيام ولم يتم الاستجواب باللغة الروسية كما طلب المحقق إنما بالاستونية حيث ادعى لوكس أن لغته الروسية ركيكة ، قام ريبان بدور المترجم في المحادثة التى أصبحت لحسن حظ لوكس الذى يتحدث الروسية بطلاقة محادثة ركيكة . جاءت الأسئلة بطريقة نمطية ودارت حول حياة العميل الاستونى وخلفيته العائلية .

وفي نهاية الأسبوع أكد ريبان والمحقق ارتياحهما إزاء عضو البارتيزان الذى تم إرساله إلى مدرسة هولاند بارك لتلقى التدريبات ، وهى المكان الذى كان حتى وقت قريب مخصصاً لتدريب الأوكرانيين .

اعتمد سكوت مثله في هذا مثل ماكبن على تقييم ريبان حول « بلدياته » نظراً لتوافر جميع الأسباب للثقة في تقييم ريبان الذى كان ضابطاً بارزاً سابقاً في إس - إس - إس وقادراً على شم رائحة الشيوعية والتجسس وهو نفس الرأى الذى يحمله ريبان في نفسه . إن كان ريبان يعتقد أن خبرته الطويلة لاتجعل شيئاً يغيب عن ملاحظته .

وفي أعقاب تدريبات عادية قام ريبان بتقديم لوكس إلى أوجست تورما سفير استونيا في لندن .

وكما هو مطلوب انحنى الزائر تحية لسعادة السفير وقدم المهاجر ومعه صندوق صغير بداخله حفنة تراب وقال لوكس : « إن هذا تراب من وطنك الحبيب » بعد أن تلقى السفير الهدية - وكان أقل سفراء دول البلطيق واقعية - أخذ يسرح بنظره ويناجى نفسه حول ضرورة وحتمية الحرب في المستقبل القريب لتحرير الوطن .

وكان اللقاء الثانى للرجلين في الحفلة التى أقيمت في مقر البعثة يوم ٢٤ فبراير ١٩٥٤ للاحتفال بالعيد الوطنى لاستونيا ، وكان ريبان يقف في وسط الاحتفال بين أفراد الجالية الاستونية في الملتقى يتراقص على عقبه كالعادة بعد أن كان قد احتسى زجاجة سكوتش .

بالقرب من ريبان وقف لوكس الذى حرص على إخفاء سبب وجوده في لندن يتحدث بحماس عن فضائح الشيوعية وفجأة قام أحد الضيوف بأخذ ريبان جانباً وهمس في أذنه وهو يشير إلى لوكس .. هل ترى هذا الرجل ؟ إننى أعرفه من استونيا حيث التحق بالجيش الأحمر عام ١٩٤١ ووصل إلى رتبة ميajor .

هراء ! رد بذلك عميل اس - اس - اس السكران وقال لقد كان جندياً هرب من وحدات الرماية وبعدها بقى لوكس لمدة أربعة أشهر في لندن .

في الجانب الآخر من كينسينجتون تأكدت الثقة مرة أخرى في أعضاء البارتيان في مقر مفوضية لاتفيا وخلال تناول الشاي في أيام الاحاد المتعاقبة حيث كان يتم دعوة فيتولنيس لمقابلة زارنيس وسيلاراجاس . في حين تقوم ماريان زارنيس ابنة السفير بالعزف على البيانو في أحد اطراف صالة الاستقبال الواسعة يناقش الرجال الثلاثة على أنغام الموسيقى مستقبل حكومة لاتفيا الحرة ، وعندما حان وقت مغادرة فيتولنيس بعد تسعة أسابيع لم يكن لدى أى مهاجر أدنى شك حول مصداقية ضيفهم .

مع مرور الوقت تأكدت شكوك سكوت إلا أن فيتولنيس الغارق في السعادة لم يكن مدركاً بما يخبئون ، وطوال فترة إقامة فيتولنيس دعاه سكوت عدة مرات لتناول وجبات الطعام ورافقه إلى كمبريدج وهو يشير إليه بسعادة « هذه هى كليتي القديمة » وكرر وهو يقف في المدينة العتيقة موجهاً كلامه إلى فيتولنيس - ساكون دائماً على ثقة فيك - وقد بدا هذا الكلام لفيتولنيس دليل على الاخلاص .

بدا على فيتولنيس الاقتناع بنجاح مهمته عندما أخبره سكوت أنه بعد قضاء أسبوع إجازة سيعود إلى بلاده .

وقبل أن يغادر فيتولنيس أكد سيلاراجاس ثقته فيه من جديد وطلب منه أن يحمل رسالة إلى رجالهم هناك وقام بتسليمه مظروف وعلبة مملوءة بالأدوية وفي هامبورج قضى ليلة تقليدية ممتعة ، وقبل أن يغادر مباشرة عرض عليه حبوب السيانيد ولكنه رفض . بعد أن ارتدى ملابسه التي جاء بها سافر وحده على ظهر ٢٠٨ اس إلى بورنهولم انتظاراً لتحسن حالة الطقس ثم تم إنزاله على ساحل لاتفيا .

إن التقارير التي قدمها فيتولنيس في شارع لينين والتي بدأت في مطلع يناير عام ١٩٥٤ واستمرت لمدة شهرين لم ترض لوكاسيفكس بسهولة رغم أن الميجور حاول إخفاء عدم ارتياحه .

وفي حين بدأ من الواضح ان فيتولنيس حاز ثقة سكوت فإن الأسباب التي اختير على أساسها مثل الجهل والبراءة كانت تمثل نقصا وعبئا في التقارير التي قدمها .

ورغم أن فيتولنيس ضابط مخابرات محترف إلا أنه كان أيضاً فناناً ربما بدأ إخلاصه الحقيقي حمل اقتناع في لندن . إلا أن هذا الاخلاص أثار الشك فيه بعد عودته . كان فيتولنيس متاكداً من نجاح مهمته إلا أن عودته بدون مواد أو عملاء جدد توحى بالعكس . وانحصر أمل لوكاسيفكس في إمكانية احتواء الأضرار باستمرار وصول المعلومات الاستخبارية والحفاظ على عملية الخداع بالنسبة لعملاء اس - آى - اس الاثنى عشر الذين مازالوا يعيشون مع البارتيزان ، وكتجربة إضافية أصدر أوامره بإلقاء القبض على كورت كروميس عميل اس - آى - اس الذى يعيش مع مجموعة روبرت وتكهن أن تؤدي عملية القبض هذه إلى إرباك إس - آى - إس إلا أن الحقيقة التي لم يستطع أن يعترف بها هو أو فيفيرز أن عملية لارسن اس قد تغيرت جذرياً .

لم تعد أنشطة لوكاسيفكس بعد الآن مناورات لخداع اس - آى - اس ولكن محاولات للحد من الإضرار التي تلحق بـ كى - جى - بى واكتشاف الأخطاء لتي وقعت .

وهكذا أصبحت سمات التباهى بالنجاح في لينين ستريت فاسدة بسبب الإحساس بالإحباط وعدم الجدوى ، فمع عدم وصول أى عملاء جدد خلال شهور الشتاء واحتمالات الخمول في الخريف ومارافقتها من سيل الطلبات الواردة من برودواى لحصول على معلومات من مجموعة ماكسيس تستلزم السفر إلى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى .

بدأ المركز في موسكو يشك فعلاً أن البريطانيين بدأوا يمارسون اللعبة بالعكس وتريد تحليل المعلومات المزيفة التي تلفقها كى - جى - بى ، وخلص إلى أن تحليل أبعاد المعلومات المزيفة التي تبعث بها كى - جى - بى يمكن أن يكون ضاراً بنفس الدرجة التي تنجم عن المعلومات الصادقة التي تتلقاها اس - آى - اس .

أدى انعدام وصول أى معلومات موثوق بها من لندن إلى تعقيد مهمة كى - جى - بى ومع ذلك ظل لوكاسيفكس يعتقد في إمكانية الوصول إلى حل يتمثل في العودة إلى منهج دزيرزهنيسكى التقليدى في زرع عميل بين صفوف اس - آى - اس لاستعادة ثقتهم ، وكان المرشح المثالى لهذه المهمة هو كليمانس الذى أدت علاقاته الوثيقة مع زارنيس وسيلارجاس إلى إبرام اتفاق لندن .

خلص لوكاسيفكس إلى أن وجود كليمكانس في برودواى هو الطريق الوحيد لبعث
عملية أو إلحاق ضرر دائم بـ إس - إس - إس .

وتقوم خطة العمليات « التي تمت لمساتها الأخيرة في ترست » على اتخاذ خطوات
جديدة في اللحظة المناسبة عند اكتشاف عملية الخداع لمضاعفة متاعب الضحية وهو
ماحدث عام ١٩٢٩ عندما نجحت كى - جى - بى عن طريق أحد عملائها الذين طلبوا
حق اللجوء الذاتى بعد اعتراف تلقائى في تحويل انتباه أجهزة المخابرات الغربية عندما
اعترف أن - ترست - قد أقامها ديزيرزهنيسكى عمداً لخداع المخابرات الغربية بعد أن
أدلى بتفاصيل مؤكدة اختفى ليعاود الظهور في موسكو بعد أن نجحت كى - جى - بى في
تحويل انتباه الغرب . عن منشقين حقيقيين والتركيز على علاج أخطائهم الذاتية .

في عام ١٩٥٥ بناء على أوامر من الدائرة الثانية في مركز موسكو كلف لوكاسيفكس
كليمكانس بأداء مهمة مماثلة للتغلب على بدء تفكك مصيدة كى - جى - بى الأصلية
بإعداد مصيدة جديدة عن طريق مهمة كليمكانس لتدمير العلاقة بين اللاجئتين
المهاجرين و اس - إس - إس عن أنشطة أخرى تنفذها كى - جى - بى وإثارة الشكوك
حول علاقة اس - إس - إس مع مصادر المعلومات الأخرى .

بدأ تنفيذ المؤامرة الجديدة بإرسال إشارة في يونيو ١٩٥٥ من ماكسيس إلى
جبرائيل تقترح عودة كليمكانس إلى لندن مع زوجته للعمل كضابط اتصال لفترة طويلة
في ٢٢ اغسطس جاء الرد من سيلاراجاس . « موافقون ولكن هناك خطر » واستطرد
قائلاً : « لقد تعرضت مجموعة روبرتس لعدد من حوادث القبض على أعضائها ،
ولا يمكن إرسال قارب إلى كورزيم ولأسباب أمنية أنصحك بالبحث عن طريق آخر سواء
عن طريق السويد أو ألمانيا . وبسبب شعور لوكاسيفكس بعدم الجدوى فقد تقبل الرد
على معناه الظاهري إلا أن حسابات المركز في موسكو كانت أكثر واقعية .

مع حلول عام ١٩٥٥ شددت الرقابة حول حدود الاتحاد السوفيتى البرية مع
الدول المجاورة وأصبح من المستحيل تأمين طريق برى للخروج كما أن الاقتراح بإيجاد
أو سرقة قارب صيد لعبور بحر البلطيق لم يعد طريقة مأمونة ، وخلص لوكاسيفكس
إلى أن السماح بمرور بعض الوقت حتى يمكن التغلب على مشكلة العبور يجعل لندن
أكثر اقتناعاً .

بعد ذلك وصلت رسالة من ماركسيس إلى برودواى تفيد أن كليمكانس مازال

يبحث عن طريق آمن وسيكون على اتصال وفي ريجا كان لوكاسيفكس على ثقة من نجاح الخدعة الجديدة .

في غضون ذلك كانت عمليات إعادة تنظيم المركز في موسكو تجري على قدم وساق بعد وفاة ستالين وبيريا مما أدى إلى موافقة المركز على الاقتراح دون تدقيق أو تعليق وتم إبلاغه أن فرع كى - جى - بى في استونيا في محاولة لإعادة ثقة اس - أى - اس في شبكات البارتيزان قد سمح بعودة هنيوكاريمان عميل اس - أى - اس إلى لندن مع كلوس عندما حمل القارب لوكس عائداً من لندن .

ولما كان لوكاسيفكس معزولاً عن الغرب فقد فشل في فهم مغزى التغيرات التي حدثت في صفوف العاملين في برودواي خاصة في المنطقة الشمالية .

جاء تقاعد ميترزيس عام ١٩٥٢ وانتهاء مواقع القوة مثل كار وجيبسون وآخرون في الدور الرابع من الذين انضموا إلى الخدمة في اس - أى - اس بعد الثورة البلشفية قضى تماماً وإلى الأبد حلم توجيه ضربة واحدة قاضية إلى الشيوعية . أما خلفاؤهم الذين عملوا كخبراء في الشؤون السوفيتية مثل جون بروس لوكهارت وهارولد شيرجولد وجاك ايستون وهم شهود عيان على تفوق الاتحاد السوفيتي في ألمانيا فقد كانوا أكثر حماسة وأقل عاطفة من أسلافهم .

ورغم أن هؤلاء العاملين الجدد سيعانون من هزائم أمام كى - جى - بى وسيوصمون بالاختراقات المخزية إلا أنهم مثل معظم أبناء جيل ما بعد الحرب كانوا كثيرى الانتقاد لأسلافهم وأبائهم وجاءت عودة كاريمان لتؤكد شكوكهم في هؤلاء الأسلاف .

جاءت تقارير كاريمان في لندن بمثابة صدمة لكل من ريبان وسكوت حيث كشفت النقاب عن أنه عرف كل شيء عن عمليات اس - أى - اس في الاتحاد السوفيتي فور وصوله إلى هناك قادماً من لندن .

وأخذ يشرح بالتفصيل كيف أن جميع الشبكات مخترقة من كى - جى - بى وكيف استطاع إخفاء شكوكه طوال فترة إقامته في استونيا وإقناع البارتيزان أنه بمجرد عودته سيشرح إس - أى - إس على تقديم المزيد من المساعدات .

لقد كان وصول لوكس وفرصة التبديل الروتيني تمثل فرصة تدبير هروبه .

جاء رد فعل اس - اى - اس إزاء ماكشف عنه كاركمان متحفظاً وتم استدعاء
ماكبن لإجراء استجواب مفصل وتم إرسال النتائج إلى سى - اى - ايه والتي ألفت
باللوم على العملاء وماكبن دون الاعتراف بمهارة الخصوم أو إلقاء اللوم على كار .

وعند هذه النقطة اراد خلفاء مكيبين وكار دفن القصة المحزنة برمتها حيث تأكدوا
أن المكاسب من وراء استمرار هذه التمثيلية المملوءة بالالغاز قليلة جداً . إلى جانب ذلك
توصلوا إلى أنه لا توجد أى فرصة لإنقاذ عملاء اس - اى - اس والذين يوجد منهم على
الأقل أحد عشر عميلاً داخل دول البلطيق .

بصعوبة شديدة أعطى الضباط البريطانيون اهتماماً إلى أولئك من أمثال زيجماس
كوديركا الذى كان يعيش في فيلينيوس وأرسل العديد من الخطابات خلال عام ١٩٥٥
يطلب عودته بسبب نفاذ النقود كما كتب خطابات إلى زيماناس وحتى ادموندس
اعترف فيها بعدم وجود فرصة لعمل أى شيء ذى قيمة .

جاء رد برودواى إلى ادموندس حاسماً : « لم يعد من الممكن تنفيذ عمليات عن
طريق البحر » وكان تبرير برودواى للتخلي عن العملاء بأنهم متطوعون من تلقاء
انفسهم ويعرفون حجم الاخطار ولا يمكنهم أن يحتجوا على النتائج .

على النقيض من ذلك ركز سكوت على اقتراح ماكسيس الأخير بضرورة عودة
كليمانس إلى لندن حيث أن وجوده سيكون فرصة جاءت من السماء لاختبار جميع
الشكوك إلا أن برودواى كانت تخشى من قيام كى - جى - بى بإغراء ٢٠٨ اس لدخول
المياه الإقليمية السوفيتية وأسر كلوس وهذه مخاطرة غير مقبولة إلا أن الذى أدهش
سكوت هو إصرار ماكسيس على سفر كليمانس إلى بريطانيا .

في بداية عام ١٩٥٦ تحدثت ماكسيس مرة ثانية عن المشاكل التى تحول دون
توفير قارب وطلبوا بالحاح ارسال ٢٠٨ اس إلا أن جبرائيل رد بوجود أسباب سياسية
تحول دون إرسال القارب وكان السبب الذى قدم قريباً من الحقيقة وهو الزيارة
المرتقبة للزعماء السوفيت بولجانين وخروشوف .

فقد طلب مكتب رئيس الوزراء من اس - اى - اس عدم تنفيذ أى عمليات قبل أو
خلال الزيارة التاريخية حتى لا يتم إحراج الضيوف .

أرغمت رسالة اس - اى - اس الحازمة لوكاسيفكس ومركز موسكو على إعادة
دراسة كيفية إثارة البريطانيين لقبول مسئولية عملية السفر إلا أن هذه الأفكار تعرضت

لقاطعة بسبب رسالة غير متوقعة من سيلاراجس في ٢٢ يونيو ١٩٥٦ تنص : « لن نستطيع مساعدتك بعد الآن ، وتؤكد : لن نرسل لك بعد الآن أى مساعدات مادية أو معنوية لأن جميع المنازل الآمنة نسفت ويتعين عليك يافيستورز - الاسم الكودى لكيمكانس لدى إس - أى - إس - ألا تحضر وتبقى في منزلك .

وتضمنت الرسالة مانصه : ان الرحلة في غاية الخطورة وستهدد جميع منظماتنا الأخرى .

دمروا أو احتفظوا بأجهزة الإرسال والشفرات وهذه آخر رسالة من طرفنا حتى تتحسن الأمور .. نحن على استعداد للاستماع إليك حتى يوم ٣٠ يونيو ، ومن الآن فصاعداً فليساعدك الله ! .

مثلت هذه الرسالة ضربة إلى لوكاسيفكس إلا انه بدأ التفكير في حلول طائشة حيث كانت عبارات رسالة سنيلاراجاس ودية جداً ولاتوحى بأى إشارة باكتشاف الحقيقة وربما يكون في ذلك بصيص من الأمل .

نظراً لان لوكاسيفكس لا يحيط بشيء من الشئون البريطانية كان من الصعب عليه ان يعرف خلفية رسالة سيلاراجاس فقد كانت اس - أى - اس تمر بمرحلة من الاضطراب .

خلال زيارة الزعماء السوفيت أرسلت اس - أى - اس ليونيل (بوستر) كراب وهو غطاس مسن لفحص جسم المدمرة السوفيتية الراسية في مرسى بورت سموث إلا أن كراب اختفى وإزاء الاحتجاجات السوفيتية وتسرب أنباء المغامرة واجهت المخابرات البريطانية فضيحة غير مسبوقة لعصيان أوامر رئيس الوزراء . سرعان ماتكشفت الأخطاء الفادحة لـ اس - أى - اس عندما أعلن السوفيت عن نجاح كبير لمخابراتهم في بولين من خلال حفر نفق للتجسس على الغرب تحت مقار القيادة السوفيتية إضافة إلى وجود أخطاء فادحة للمخابرات البريطانية في الشرق الأوسط .

ونتيجة لذلك أصبح ثمن الإدارة الخاطئة معروفاً في اس - أى - اس وفي نهاية الأمر تم إحلال سير ديك وايت في رئاسة ام - أى - فايف (ام - أى - ٥) بدلا من السير جون سنيكلاير بعد تردد طويل نتيجة عدم تصديق الشك في قدراته .

وكان هدف هذا التغيير هو إعادة تنظيم جهاز المخابرات ليشمل الأفراد العاملين وأساليب العمل للحيلولة دون وقوع مزيد من الأخطاء والإحراج المربك .

نجح هارى كار فى ترتيب لقاء بعد مشقة مع المدير الجديد ليفوز بسبق إبلاغ وايت حول المراحل النهائية لعمليات البلطيق وكان كار معروفا بأنه يعمل بأسلوب يلائم الحقبة الامبراطورية ولايعرف شيئا عن توازن القوى الجديد فى العالم — وقد تمت المقابلة خلال إحدى زيارته الدورية من كوبنهاجن بهدف تقديم تقرير إلى وايت حول المراحل النهائية لإنهاء عمليات البلطيق .

فى واقع الأمر تمثل رسالة سيلاراجس الأخيرة إلى ماكسيس إحدى طرق برودواى لكنس الخزانة وتنظيفها قبل وصول الكنسة الجديدة إلا أن مثابرة لوكاسيفكس أدت إلى خنق الخطة فى مهدها بعد أن أعلنت المنطقة الشمالية أن عملياتها فى البلطيق تمت من منطلق الاهتمام التاريخى ! .

بعد أربعة أيام من رسالة سيلاراجس النهائية رد كيبورس وهو أحد العاملين فى تشغيل أجهزة الإرسال فى مجموعة ماكسيس وفى أول فرصة لتنفيذ الخطة المتفق عليها أرسل رداً قال فيه : « نحن نواجه كثيراً من الأخطار والمشاكل وأنتك طعننا بسكين من الخلف .. نحن فى انتظار مساعدتك ولايمكنك أن تتخلى عنا .. فيستوس سيصل بمفرده نظراً للأخطار التى تواجهنا » .

إن إرسال كليمكانس فى ظل الظروف السائدة - كعملية استخبارية بحتة - هو عمل طائش إلا أن لوكاسيفكس كان غير قادر أو غير راغب فى تصديق أن فيتولنيس لم يحقق على الأقل نجاحاً جزئياً . بالفعل تم فى الساعات الأولى من صباح الثانى من يوليو ١٩٥٦ إنزال كليمكانس على شاطئ جوتلاند .

وما أن وطأت قدماه رمال الشاطئ حتى استسلم للشرطة المحلية وطلب نقله إلى لندن لمقابلة تشالز زارينس .

ولما كان السويديون لايعرفون شيئا عن خلفية هذا اللاجئ لذا لم يكونوا فى عجلة من أمرهم ويريدون بشدة معرفة مايدور لدى جارهم المباشر وتم وضع كليمكانس رهن الاحتجاز لمدة شهرين لإجراء استجابات عادية غير مؤثرة وفى شهر سبتمبر تم السماح له بالمغادرة إلى لندن .

بعد وصوله قام كليمكانس بتسليم نفسه إلى اس - أى - اس لاستجوابه . اعتقد لوكاسيفكس أن العام الناجح الذى قضاه العميل فى لندن سيرجع بشدة كافة مزاياه إلا أن تجربة فيتولنيس والأحد عشر عاما الماضية من سذاجة اس - أى - اس دفعته إلى التقليل من جبروت وقدرة اس - أى - اس عند اللزوم .. ورغم أن مسار الأحداث

سيكون مختلفاً إلا أنه كان هناك اتفاق على أن استقبال فاتر لكليمانس قد جرى في الدقائق الأولى .

بدا موقف سيلاراجس متراوحاً بين العصبية والسخرية فقد كان من الواضح أن اللاتفي يفضل بقاء كليمانس بعيداً عن لندن . فإذا ماتم اكتشاف حقيقة كليمانس واستمر سكوت شفوفاً للبحث عن الحقيقة فإن سيلاراجس نفسه سيكون هو الضحية القادمة .

توقع سيلاراجس ألا يعامل « سكوت » هذا الوافد الجديد بنفس الأدب الانجليزي المعروف الذي عامل به من قبل فيتولنيس وتأكد من ذلك مباشرة بعد رفض سكوت طلبه بالسماح لكليمانس بزيارة تشارلز زارنيس . ومع توقع سيلاراجس لما هو أسوأ قام بإفشاء الأخبار إلى السفير .. وكتب زارمنس في مفكرته اليومية فيما بعد « لقد تعرضنا للخيانة من شخصيات لاتفية بارزة .. مما عرض بعض من الشباب الصغار للسجن أو للقتل » .

كانت مهمة سكوت الخاصة تتمثل في ضرورة اكتشاف كيف نفذت كى - جى - بي عمليات الخداع .. تم نقل كليمانس إلى إحدى الشقق المعزولة سيئة التهوية في لندن حيث بقى هناك لمدة ثلاثة أشهر يتم استجوابه يومياً بالنهار وأحياناً في الليل دون أن يتعرض لأى ممارسات تعذيب وحشية . إلا أن عملية الاستجواب كانت منظمة جداً وتهدف إلى ممارسة ضغوط نفسية حتى يصاب بالإرهاق حتى يعترف وفي نهاية الأسبوع الرابع بدأت قوة تحمله البدنية تنهار . واستمرت عملية الاستجواب ثمانية أسابيع أخرى .

رواية ماحدث خلال هذه الأسابيع والتي ضمنها لوكاسيفكس في ملفاته اتسمت بحرص لوكاسيفكس على مصالحه الذاتية وحماية سمعته أمام رؤسياه الذين أمضوا سنوات قاسية في الغابات بعيداً عن عائلاتهم وتضمنت الرواية مايشير إلى أن كليمانس قد تعرض لأعنف شكل من أشكال الاستجواب الممكن .

وكتب لوكاسيفكس أن كليمانس قد وقع في زنزانية بدون نوافذ في لندن وتعرض للتعذيب الوحشى حتى يعترف بالحقيقة ثم تطورت عملية الاستجواب إلى عملية أكثر وحشية بعد حرمانه من النوم وتقديم الطعام المملح إليه ليأكله وأخيراً تم حقنه بمواد كيميائية . وقد حكى لوكاسيفكس بعض العاملين معه أن المحقق أخذ يلوح بمسدس محشو بالطلقات في مواجهة كليمانس . وفي نهاية الشهور الثلاثة أصبح كليمانس

حطام انسان ورغم الشجاعة التي أبدتها وسط نوبات من فقدان الوعي إلا انه فقد قدرته على المقاومة وبدأ في الإدلاء باعترافات كاملة .

واكد لوكاسيفكس في حديث مع كيبورس أن الرجل استطاع أن يصمد أمام تعذيب وحشى لا يمكن ان يطيقه أى انسان إلا أن كيبورس رأى من جانبه أن كليمكانس عند عودته قد تعرض لعملية إعادة توجيه وطلب علاجاً طبياً ومع ذلك رفض العرض الاخير من اس - اى - اس ليعود ليعمل عميلاً بريطانياً .

الحقيقة قد تكون مختلفة نسبياً عما قيل سابقاً حيث انهارت مقاومة الرجل بمجهود اقل مما ذكر وأدلى باعترافات كاملة ليهدم بذلك آخر ذرة من ثقة اس - اى - اس في اللاجئين وعندما كرر تمسكه بعدم الإفصاح عن التفاصيل الكاملة للعملية عرض عليه سكوت فرصة العمل مع اس - اى - اس وفيما كان الرجل يفكر في قبول العرض حتى يضمن عودته سالما كانت خيوط اس - اى - اس مع مصيدة كى - جى - بى قد تمزقت تماماً.

في أغسطس وبعد إشارة بالراديو من لوكس إلى استونيا سافر تريبان إلى هلسنكى للقاء العميل ورافقه في الرحلة هنيوكاريمان الذى كان اول من كشف عملية خداع كى - جى - بى ولكن اللقاء لم يتم وبدلاً من ذلك تلقى ريبان إشارة أخرى من لوكس يطلب فيها أن يأتى إلى استونيا أو على الأقل يتم اللقاء في البحر . إلا ان ظهور نوايا كى - جى - بى أعاد ريبان إلى لندن خلفاً على الأقل أربعة من عملاء اس - اى - اس في استونيا واثّر إرساله رسالة نهائية توقف عن الاتصال بالراديو وترك بعدها اس - اى - اس .

وقد بقى كاريمان في اسكندنافيا وعمل على سفينة تجارية سويدية كضابط اتصال وبعد ذلك بوقت قصير تم اغتياله .

في غضون ذلك كانت العمليات في ليتوانيا في طريقها إلى الزوال ففي الرد على استغاثات زجماس كوديركا من أجل إنقاذه أرسل إليه زيماننتاس إشارة في يوليو قائلاً : (لأنستطيع تدبير إعادتك إن موقفك ليس سيئاً حاول تدبير هروبك عن طريق السويد) وفي شهر سبتمبر وفور وصول كليمكانس إلى لندن تم إلقاء القبض على كوديركا .

وهو في حالة من الرعب واجه اثنين من المحققين هما الجنرال جورمونراموف وبيتيوركاربوتشين ومتبعاً قواعد اس - اى - اس في الاكتفاء بعرض قصة الغلاف

وانكار أية اتهامات ولكن الحضور الذين يدخلون بشراسة سخروا منه وقال كاربوتشين : « نحن نعرف كل شيء .. خذ سيجارة واستمع » وخلال حوالى ربع ساعة قام ضابط كى - جى - بى بشرح أدق تفاصيل مهام كوديركا فى اس - أى - اس واستطرد قائلاً : « إن ادموندس رجلنا عليك أن تعترف بما حدث تماماً وهذا سيساعدك فى المحاكمة والرفض لن يفيدك فى شيء » ورد كوديركا : إن كل ماكنت أريده هو مساعدة بلادى والدراسة فى الجامعة . وقد طلب الادعاء خلال محاكمته توقيع عقوبة السجن لمدة ٢٥ عاما إلا أن المحكمة قضت عليه بالسجن لمدة ١٥ عاما فقط .

على الجانب الآخر انتهت محنة كليكانس بصورة أسرع فمع حلول شهر نوفمبر وبعد ان أكل واستراح نظم له سكوت حفل وداع . ووفقا لما رواه لوكاسيفكس قال ضابط اس - أى - اس : « سنعيد إرسالك إلى روسيا ولكننا نريدك أن تحمل معك رسالة أبلغ أساتذتك أننا شاكرون لهم الدروس إلا أننا لسنا حمقى وأخيراً أبلغهم أن يعاملوا رجالنا كما عاملناك »

لم يكن هناك أى إحياء على عقد صفقة أو استرداد عملاء بريطانيين مقابل ضابط كى - جى - بى .

ونظراً لخوف اس - أى - اس المفهوم من أن إجراء أى محاكمات علنية لعملائها فى روسيا سيؤدى إلى فضيحة دولية مخزية فقد كانت تفتقد إلى أى قوة تفاوض .

وكانت مصادفة أن يتم حل العقدة نهائياً فى لندن متزامناً مع انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى فى موسكو حيث أدان نيكيتا خروشوف عن الجرائم التى ارتكبتها كى - جى - بى فى عهد ستالين . ووجدت القيادة السوفيتية الجديدة عدم فائدة تذكر من وراء تمجيد انتصارات نظام بيريا .

وهكذا تم اقتياد كليكانس بواسطة ضباط اس - أى - اس إلى مطار حربى خارج لندن وهناك انتظر العميل السوفيتى فى قلق حتى استوت الطائرة فى الارتفاع ليعرف الاتجاه الأخير .

ثم بدأ فى الاسترخاء عندما طارت فى اتجاه الشرق وبعد الهبوط والخروج من مطار استوكهولم كانت هناك سيارة ليموزين ذات مقاعد مريحة انطلقت بركابها بسرعة إلى داخل المدينة حيث توقفت أمام السفارة الروسية فى ١٧ فيلا جاتان وهناك قال المرافق

البريطاني بسعادة هانحن قد وصلنا إلى المكان الذي نقول لك فيه مع السلامة .

خرج كليمانس من السيارة وطرق باب السفارة وغادرت السيارة قبل أن يسمع صوت قفل الباب يفتح ليدخل إلى مبنى السفارة .

بعد عودته إلى روسيا مكث في المستشفى عدة أسابيع وبعد أن تعافى حصل على نجمة حمراء ودعى إلى الانضمام إلى الحزب الشيوعي أما كيبورس الذي ذكاه فقد حصل على نجمتين .

اما العملاء البريطانيون فلم يكن موقفهم واحداً ففي حين تم تنفيذ حكم الإعدام في بعضهم وقضى آخرون عشرين عاماً في السجون خارج موسكو تم معاملة عدد منهم برفق . على سبيل المثال جوناثان جانيترز كاس وهو ليتواني أرسل لتشغيل جهاز الإرسال مع جوناثان ديكنيز تم الإفراج عنهم بدون محاكمة بعد أن قضى عاماً في السجن وأفرج عن زيجماس كوديركا بعد عامين فقط رغم الحكم عليه بالسجن لمدة ١٥ عاماً .

وفي صدفة غير متوقعة التقى مع ادموندس على رصيف المحطة في فيلينيوس بعد رحلة دامت ١٤ ساعة بالقطار من موسكو وذهب معا إلى إحدى المتنزهات القريبة حيث شرح له ادموندس عملية الإفراج عنه مبكراً وقال له ضابط الـ كى - جى - بى إنك لم تقتل أحداً ولم تكن شيئاً .

لقد قتل العديد من الناس خلال سنوات ما بعد الحرب ولذلك فإنك سعيد الحظ لأنك لم تواجه سوى عقوبة السجن . وقال : إن الطريق الوحيد الذي كان لدينا لوضع نهاية للحرب كانت هو السيطرة على الناس الذين يحاولون إشعال النار .

بعد هذه الحادثة ترك كليمانس المنتزه متوجهاً للقاء عشيقته التي لم تكن تعلم بالقبض عليه وليرى ابنه لأول مرة والذي ولد بعد القبض عليه . وخلال سنوات إعادة التكيف لم يواجه غضبه إلى الـ كى - جى - بى إنما إلى البريطانيين وأبر عائلته أن البريطانيين هم الذين أوقعوه في الشرك وتخلوا عنه بعد ذلك تماماً وقال : « إنهم لم يعيدوا إلى حتى ممتلكاتي الشخصية » .

لقد واجه عملاء اس - آى - اس المهاجرون الثلاثة مصيراً مختلفاً بعد أن طردوا جميعاً من الخدمة في نهاية عام ١٩٥٥ . سيلاراجس فكر في بداية الأمر في افتتاح محل تجارى في بيكونيسفيلد إلا أنه فعل مثل غيره من الأوروبيين الشرقيين الذين خافوا من

انتقام كى - جى - بى وبحثوا عن حياة جديدة وهوية جديدة فى كندا حيث توفى فى نهاية السبعينات .

أما زيمانيتس الليتوانى فقد رفض عرضاً للتدريس فى جامعة اكسفورد وفضل الهجرة إلى لوس انجلوس وسافر وهو محطم روحياً وعاطفياً بعد كشف النقاب عن حالات الفشل والموت والخداع وعمل طوال أحد عشر عاماً بعد ذلك بستانى وحفار قبور فى مقبرة محلية ومات مخبولاً عام ١٩٧٢ .

وهاجر ألفونس ريبان من بريطانيا بعد طرده من الخدمة إلى مدينة اوجسبرج فى ألمانيا الغربية وباعتباره ضابط اس - اس سابق فى ألمانيا فقد استحق بطريقة تلقائية الحصول على معاش وقبل أن يسقط ميتاً بسبب إسرافه فى شرب الكحول قام بإحراق جميع أوراقه الخاصة بطريقة منظمة - وكما أخبر أحد زملائه أنه قام بهذا على أمل عدم اكتشاف كى - جى - بى لمصيبته .

على الجانب الآخر رقى لوكاسيفكس إلى رتبة جنرال وقضى عقد الستينات فى مركز موسكو وفى ديسمبر عام ١٩٧٢ وصل إلى لندن ليعمل سكرتيراً أول للسفارة السوفيتية باسم ياكوف كونستا نتيوفيتش بوكاشيف وطوال ثمانية سنوات تولى إدارة عمليات مكافحة التجسس فى بريطانيا ولم يتنبه أى واحد فى جهاز اس - أى - اس للعلاقة بين بوكاشيف وكارثة البلطيق .

ولسخرية الأقدار كان يسكن فى منزل يقع فى ٢٤ هولاند بارك على بعد مرمى حجر من مبنى مفوضيات دول البلطيق الثلاث التى أصبحت أشباحاً من مخلفات فترة منسية وفى بعض الأحيان خلال نزهته الليلية كان يمر بالمباني المزخرفة المهجورة لتذكره بنجاحه .

ولدى عودته إلى ريجا عام ١٩٨٠ عبأ حقيقية بأشياء تذكارية من بريطانيا وحتى وفاته عام ١٩٨٨ كانت حوائط شقته المريحة تحمل شواهد من إقامته السعيدة فى لندن .

وتردد أن لوكاسيفكس أصبح عاشقاً لانجلترا وعند تقاعده بالغ فى تصوير أساطير نجاحه العظيم وزعم أن آخر رسالة تلقاها من برودواى للإعلان عن عودة كليمانس عام ١٩٥٥ تضمنت « باسم الملكة نرجوك أن تحفظ هذه المسألة سراً » .

فى نوفمبر ١٩٥٧ زار كيم فيلبى لوكاسيفكس فى ريجا حيث قام بهذه الزيارة بعد

أن وهن وضعف في سن الخامسة والسبعين وكان سبب الزيارة جزئياً أن يقدم تحياته إلى منزل رئيسه في كى - جى - بى في اسبانيا جانيس بيرزنيس إلى جانب القيام بنوع من الخداع السياسى للإيحاء من خلال التليفزيون الممل أن المظاهرات القومية التى تجتاح دول البلطيق تتم بتدبير من جهاز المخابرات البريطانية .

وكذلك الظهور في برنامج تليفزيونى خاص يعده لوكاسيفكس للاحتفال بالذكرى السبعين لإنشاء كى - جى - بى وقال في البرنامج مخاطباً المشاهدين من أبناء لاتفيا في تفسير الاحتجاجات القومية في الشوارع : « إنهم يفعلون بالضبط الآن ماكانوا يفعلونه على أيامى وأنا أعرف كل شيء عن ذلك » ولكن كما أسر فيلبى فيما بعد إلى لوكاسيفكس خلال حوار دار معه وتم تسجيله بناء على طلب الثانى اعترف فيلبى أنه لم يشارك أبداً في عمليات كار في البلطيق بعد عام ١٩٤٧ ولم يكن يملك أى دليل على فشلهم .

ان المزاعم غير المباشرة التى وردت في سيرته الذاتية المعتمدة من كى - جى - بى بأنه السبب وراء إلقاء القبض على عملاء المخابرات البريطانية كانت في ذلك الوقت محاولة أخرى من أساتذته للتعتيم على دوره الحقيقى الذى كان يتمثل في إعلام مركز موسكو حول نجاح خطط الخداع .

قبل عودته إلى موسكو قام فيلبى برفقة لوكاسيفكس بجولة في المدينة تاركا أبناء البلطيق غير مصدقين أن المظاهرات التى تسير في الشوارع تنادى بحق تقرير المصير يدبرها محرضون رأسماليون حتى لوكاسيفكس نفسه لم يكن يصدق هذا التفسير .

في واقع الأمر أفضى ضابط كى - جى - بى إلى زملائه بمساندته لسياسة الجلاسنوست الجديدة لدرجة أن البعض شك في أنه يؤيد حدوث نوع من بعث جديد لاستقلال لاتفيا . ومع ذلك لم يرد حد أنه منذ أربعين عام قام عملاء المخابرات البريطانية والمشرفين عليهم بالسعى لتحقيق نفس الأهداف التى يسعى إليها القوميون خلال عهد الجلاسنوست الذى أعرب عن ترحيبه به .

أما كار الذى كان متقاعداً في منزله فلم يشعر بارتياح إزاء الأنباء الواردة من دول البلطيق وكان قد بلغ سن الثامنة والثمانين يكافح بشق النفس ليعيش يومه علاوة على أنه عكس لوكاسيفكس لم يكن سعيداً باجترار ذكريات الماضى .

كان مدير المنطقة الشمالية قد تقاعد عام ١٩٦١ دون أن يتلقى أى تكريم جديد وكان يحيط نفسه بذكريات الطفولة والميداليات الرياضية التى حصل عليها في المدرسة ويستطيع فقط الاستماع إلى أغانى بيوتر لشنكوا ومستغرق إلى مالانهاية في التفكير

حول أين ولماذا تم الكشف عن أسرار عملياته . وكانت إجابته التي لم تتغير أنه فيلبي الذي كان لجوئه إلى موسكو تفسيراً مريحاً لجميع مصائبه . كان يحمل مقتاً مميّزاً لفيلبي - وحسب ما جاء في التاييمز في نعيه أن خيانة فيلبي كانت سبباً في وفاة العديد من الذين عرفهم كار في روسيا ، وسواء كان كار يعرف الخطأ المجهول أم لا فإنه عندما جاء المؤرخون الشباب من المكتب لاستكمال التفاصيل المفقودة من سجل حياته الشخصية وجد كار من المناسب التعظيم واستند على سمعته بأنه مغرق في السرية . لقد أصبحت القيم مختلفة جداً حالياً عما كانت عليه في أيامه حتى المبنى تم نقله من سانتا جيمس إلى مكان كثيب يسمى سنيشرى هاوس ولا يوجد أحد في هذا المكان يفهم معنى المصيدة الحمراء .. لقد خدم بلاده وقضيته بإخلاص وأمانة وحب وهذا كل ما يحتاج العالم إلى معرفته .

توفي كار في مارس عام ١٩٨٨ وتم دفن جثمانه في احتفال خاص بسيط في جويلفورد وكانت صفحة الوفيات في التاييمز أول من عرّف ولديه وأخيه عن عمله وعذابه طوال الثلاثين عاماً الماضية إلا أنهم لم يدركوا بسهولة طبيعة الجراح .

بعد ذلك بشهرين توفي كيم فيلبي في موسكو وفي موكب مهيب تم تكريم أحد خونة الأمة علناً فقد جنبه كار المحاكمة وبعد ستة أشهر وفي العاشر من نوفمبر مات جانيس لوكاسيفكس في ريجا . وهكذا بعد سبعين عاماً من الثورة البلشفية ورث ناسج المصيدة « ترست » لجيل جديد من المجرمين .

بدون شك سيجدون أيضاً جيلاً جديداً ليكون ضحية لهم .

فهرس الكتاب

صفحة	
٥	* تقديم
٧	* مقدمة
	* المصطلحات المختصرة لأجهزة المخابرات
١١	والتنظيمات المختلفة التي ورد ذكرها في الكتاب
١٢	* الشخصيات الرئيسية والأماكن الهامة التي ذكرت في الكتاب
١٢	* شخصيات الفصل الأول
١٨	* شخصيات الفصل الثاني
٢١	* شخصيات الفصل الثالث
٢٥	* شخصيات الفصل الرابع
٢٧	* شخصيات الفصل الخامس
٢٩	* شخصيات الفصل السادس
٣٠	* شخصيات الفصل السابع
٣١	* شخصيات الفصل الثامن
٣٣	* صور الشخصيات الهامة
	فصول الكتاب
٥١	* الفصل الأول - اندلاع الحرب الضروس
٨٩	* الفصل الثاني - شبكات الاستخبارات في زمن الحرب
١١٧	* الفصل الثالث - الخطأ القاتل
١٥٩	* الفصل الرابع - تحالفات غامضة
١٩٥	* الفصل الخامس - نسيج خيوط العش
٢٣١	* الفصل السادس - الخداع الكامل
٢٥٥	* الفصل السابع - ورطة في موسكو
٢٧٧	* الفصل الثامن - المصيدة تتمزق
٣٠٣	* فهرس الكتاب
